

# حكايات فارسية



الدكتور مجدى المنشاوى





الْأَلْفُ كِتَابٌ

(٢٣٠)

حَكَایاتُ  
فَارسیَّةٍ

---

بِإشرافِ ادارَةِ الظَّفَافَةِ  
بِوزَارَةِ التَّرْبِيَّةِ وَالْعَلَامَ

---



الْأَلْفُ كِتَابٌ

(٢٣٠)

حَكَایاتُ  
فَارسیَّةٍ

للدكتور حیدری اخشاب



الطبعة الثانية



المناشر: دار المعلم



# الفهرس

صفحة	صفحة
السلطان محمود والألقاب ... ١١٤	مزدك ... ... ... ١
الملك والسائل ... ... ... ١٢٠	الجوز والرجلان ٣١
يوم القيمة والصلصال ... ١٢١	الحاكم الساهر ٣٢
المريض والبيطار ... ... ... ١٢٣	المجاج والبروبيت ٤١
الأمير الفقير ... ... ... ١٢٤	المرأة ٤٢
سلمان الفارسي ... ... ... ١٢٦	يوسف وكرسف ٤٨
الأصل الوضيع ... ... ... ١٢٧	阿森 في بيت درويش ٥١
بزرجهر والحكاء ... ... ... ١٣٠	جعفر البرمكي ٥٢
في عدل الملك وسيتهم ... ١٣١	النصح الأليم ٥٨
النوروز ... ١٣٦	المعصم وأخياط الملوك ٥٩
أعاد الفرس / المهرجان ... ١٤١	آذان في غير أوان ٦٤
الروزetter ... ١٤٤	الجوز والوال وأوشروان ٦٨
أخوان ... ... ... ١٤٥	الملك والقروى ٧٧
الملكظالم والدهقان ... ١٤٦	أسد الدولة وقاضي نيبور ٧٨
الصوت التذكر ... ... ... ١٥٢	السلطان محمود وقطع الطريق ٨٤
الفط والفأر ... ١٥٣	لهمان وحكمه ٨٩
أوشروان العادل ... ١٥٩	السلطان محمود والقاضى والرقاء ٩٠
الفرد الحكيم ... ... ... ١٦٠	الحمد لله ٩٦
سر ... ... ... ١٧٠	رقيق أصبح ملكا ٦٧
البروبيت والقاضى ... ... ... ١٧١	شيخ الطريقة ١١٣

صفحة	صفحة
٢١١ ... ... ... ...	جنة ... ... ... ... ١٧٥
٢١٣ ... ... ... ...	الزاهدوالدنيا... ١٧٦
٢١٥ ... ... ... ...	الصاد والسلة ١٧٩
٢١٦ ... ... ... ...	زاك ... ... ... ... ١٨٠
أبطال زران	أبطال زران رسم ... ... ... ... ١٨٣
٢٢٥ ... ... ... ...	سهراب ... ... ... ... ١٨٥
٢٣٤ ... ... ... ...	دولة الفلم ... ... ... ... ١٨٥
٢٤٦ ... ... ... ...	الرازي والأمير المريض ... ١٨٦
٢٤٨ ... ... ... ...	آخرة ... ... ... ... ١٨٩
٢٥٠ ... ... ... ...	دواء الملك المريض ... ... ١٩٠
٢٥٦ ... ... ... ...	حام الطائى والمطاحب ... ١٩٢
٢٥٧ ... ... ... ...	الناسب ... ... ... ... ١٩٣
٢٦٠ ... ... ... ...	الدروش والملك ... ... ١٩٤
٢٦١ ... ... ... ...	الملك والراهد... ... ... ١٩٦
٢٦٤ ... ... ... ...	قصةالعلم الإبرانى ... ... ١٩٧
٢٦٦ ... ... ... ...	الأسير ... ... ... ... ٢٠٦
٢٦٨ ... ... ... ...	الملائكةوالظلام العديد... ... ٢٠٧
٢٦٩ ... ... ... ...	الأمير البقرة والطيب... ... ٢٠٨
	الرزق الحال ... ... ... ... ٢١٠



## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُمثِّلُ الأدبُ الفارسيَّ في القصصِ فِي ثُورَانٍ أَرْبَعَةَ.

أوْلَاهَا قصصُ الْحَكَامِ الَّذِي يَدُورُ حَوْلَ مَا يَجِبُ  
لِلْحَكَمِ مِنْ رِعْيَتِهِ وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ نَحْوُهَا،  
وَالثَّانِي قصصُ هَدْفَهُ الْعِبْرَةُ وَالْعَظَةُ، وَالثَّالِثُ  
قصصٌ يُرَى إِلَى الْإِيمَاءِ وَالرَّمْزِ فِي تَصْوِيرِ  
أَحْدَاثِ التَّارِيخِ الَّتِي تَحُولُ الظَّرُوفَ دُونَ  
تَصْوِيرِهَا فِي صِرَاطِهِ وَجَلَاءِهِ، وَالرَّابِعُ قصصٌ  
تَارِيَخِي يَقْصُدُ بِهِ إِذْكَارَ الرُّوحِ الْوَطَنِ فِي  
سَامِعِيهِ فَتَخْتَلِطُ فِيهِ حَقَّاتُ التَّارِيخِ بِالْخَرَافَاتِ  
وَفَهْأَلِماً يَرِيدُ الْمُؤْلِفُ مِنْ تَأْثِيرِ فِي سَامِعِيهِ.

وَلَقَدْ اخْتَرَنَا فِي هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الَّتِي نَخْرُجُ جَهَا  
لِقِرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ جَمْلَةً مِنَ الْقَصصِ فِي كُلِّ مِنْ هَذِهِ

الفنون ، أردنا أن نخرج منها بصورة عامة عن  
فن القصة في الأدب الفارسي . ولما كان لشكل  
من هذه الفنون كتب في الفارسية آثره فقد  
رجعنا إلى أشهرها في كل باب ، واختربنا منه  
مارأيناه يلام النون العرب أكثر من غيره ،  
وآثربنا أن نذيل كل قصة بذكر الكتاب  
الذى أخذت عنه ليعود إلى الأصل من شاء ،  
أما القصص المشهورة التي يعرفها كل ذى إلمام  
بالأدب الفارسي فقد رجعنا فيها إلى أكثر من  
مصدر لتعدد ذكرها وكثرته لتأخذ من كل هذا  
صورة عامة للقصة تخرجها عليها .

وليس هذه القصص ترجمة في الواقع ،  
فنحن لم تقييد بالنص الفارسي ذلك التقييد  
الدقيق الذى تفرضه أمانة الترجمة اللغوية ،  
لأننا آثربنا أن نخرج هذه القصص إلى الأمة  
العربية أقرب ما تكون إلى نفوس أهلها .

---

وإنا لنتعرف أن ما قدمنا ليس إلا محاولة  
لم ترد بها أكثر من إحياء ذلك العهد الذي  
طواه الزمن .. عهد اتصال الفرس بالعرب  
اتصالاً قريباً وثيقاً، أيام كان العرب يعنون  
بنقل آثار الفرس إلى لغتهم ويحرصون على  
ذلك حرصاً شديداً تمليه عليهم نهضتهم العظيمة  
ليفيوا من هذا الأدب القديم الغنى كل  
ما يمكن أن يفيده، وأيام كان الفرس ينقلون  
عن العرب كل ما يمكن أن يحيي أمتهما وأن يرد  
إليها مجدها القديم .

بخي الكتاب



## ١ مزدك

قال ملکشاه لوزیره نظام الملک : أسمعت القصة التي يرويها عمر  
الخیام عن الجماعة التي تقيم في پامیر وتدعى الإسلام ولا تعمل به  
وتقول إن أبا مسلم سیبعث حيًّا وسيكون وزیره مزدک ؟

قال الوزیر: نعم سمعت يامولای ، قال السلطان: واتخذت للأمر  
عدته؟ قال الوزیر: نعم ، قال ملکشاه: تعال إذا للعشاء وحدثنا عن  
مزدک هذا من يكون . قال نظام الملک :

كان ذلك الرجل أول من نادى بالشیوعیة في أخبث معانیها ،  
وقد كان من كبار رجال الدين الأذکیاء ، أيام الملك قباد الساساني ،  
وقد أبصر الرجل فوج الشعب الإيرانی ما زال يُن من قحط الْمَهْ  
به أيام الملك فیروز ، وطبقة الآثریاء ، من الأشراف ورجال الدين ،  
تعم بخیرات إیران وتستأثر بها دون سائر الناس ؛ ثم أبصر قباد  
إذا به حائق على الأشراف لأن قوذهم امتد على الملوك وأصبح لهم  
على العرش سلطان ، وحائق على رجال الدين أيضًا لأنهم ينتصرون

الأشراف ويشاركونهم في الجشع الذي لا يعرف حدًا ، فهم يثرون الدنيا على الدين ويدعون هداية الناس ويحاولون بشتى الطرق أن يزيدوا أملأ كهم ويوسعوا امتيازاتهم ؛ وأدرك أن الملك ضعيف القياد ، لين العريكة ، ليس من العسير التغلب عليه .

وكان مزدك علم بال مجرم وأحكامها ، وقد عرف من كتبها أن نبياً سيرسل ، فرأى أن يكون هو هذا النبي ، وأخذ يفكر في طريقة لإثبات نبوته ؛ فأمر خلمه بحفر قنطرة تبدأ من مكان أخفاه وتمتد إلى حيث النار في المعد ، بحيث لا يستطيع أحد أن يراها ، ويستطيع تابع له أن يتكلم من الطرف الخفي فيسمع صوته ينبعث من وسط النار كأنها تتكلم . ثم أعلن نبوته وادعى أن يزدان « الإله » قد أرسله ليجدد دين زرداشت وليحدد معانيه وبين أحكامه . ويهدى الناس إلى الأوصياء والزندقة كتابهم المقدس وفسيره ، ولم يكن بعثه بين الأنبياء بدءاً ، فمن قبل بعث الله نبياً ليهدي بن إسرائيل إلى أحكام التوراة .

وبلغت الدعوة الملك قباد فجمع رجال الدين جميعاً ليسمعهم قصة بعث واحد منهم نبياً وليسوا ضحهم الأمر ، وجاء مزدك وقد افتحت أوداجه ، فادره الملك بالسؤال عن نبوته فأكذبها ودعاه إلى طاعته . قال : لقد بعثني الله لاقضي على ما يبنكم من خلاف في أمر الدين ، فقد رأيتم تختلفون في تفسير أحكام الأوصياء اختلافاً

أفسد حكمتها ، وأضاع من فنون الناس هبّتها ، ثم رأيتم تسرون  
في أمور الدنيا سيراً يتجاهي مع أوامر « يزدان » ، ويتناهى مع حقوق  
الناس في متعة الدنيا .

قال الملك : وما معجزتك ؟

قال مزدك : إنى قادر على أن أحمل النار التي هي في محابكم  
و قبلتكم على الكلام ، وأنا كلام الله أسأله أن يأمر النار لتحذّكم عن  
رسالتي وتشهد بصدق نبوتي .

والتفت الملك إلى المواجهة وقال : أقوتي في أمر رجلكم هذا ..  
إنه يدعى النبيوة ويشر بدین جدید . قالوا : إننا قرأتنا في كتابنا أن  
نبياً يبعث فيظهر دينه على سائر الأديان ، وإننا سمعنا من مزدك أنه  
بعث ليجدد دین زردهشت ; فهو لا يحارب دیننا ، ولا يدعه لإله غير  
إلينا . ثم إنه يقول إنه قد أتى بتفسير للأوستا يضع للجدال فيها  
حداً وهذا أمر كانا راغب فيه ، ثم هو يقول : إنه قادر على أن  
يحمل النار على الكلام ، وليس هذا في طاقة البشر ، إلا أن يكون  
رسولاً نبياً ، وإننا قد دعانا الملك لنسمع مزدك ودعوته ، نفرض  
الأمر للملائكة وندعوه له بال توفيق والسداد .

قال الملك لمزدك : إن أنت أسطقت النار أمامنا صدقنا نبوتك  
وآمنا برسائلتك .

وتواعد الجماع على اللقاء في الغد في بيت النار ليروا معجزة النبي الجديد . . وخرج مزدك فاتصل بأخلص أتباعه إليه وأقر بهم منه ، وأمره بأن يذهب إلى حيث فتحة القناة بخباة ، وأن يجرب حين يسأل مزدك النار « بأن النار التي هي خير عابدى يزدان ، تأمر الناس بأن يطيعوا مزدك ويخلصوا له الدين ليلقوا السعادة في الدنيا ولينعموا بالجنة في الآخرة » .

وجاء الغد فاجتمع الموابنة وعلى رأسهم الملك في بيت النار ، ودخل مزدك فاتخذ مكانه قريباً منها ، فدعى يزدان وأثنى على زردهشت ثم سكت . وإذا بصوت يخرج من وسط النار يدعو الناس إلى طاعة مزدك والدخول في دينه . فبها الحاضرون ، والتفت بعضهم إلى بعض يتأمسون . أما قباد فقد آمن بنبوة مزدك ، وأما رجال الدين فنهم من آمن ومنهم من شك فيما سمع .

وزادت مكانة مزدك عند الملك فأعاد له كرسياً من ذهب فوق العرش ، فكان إذا جلس يستمع إلى قضايا الناس جاء مزدك فاتخذ مكانه على كرسيه الذي علا كرسى الملك . أما الشعب فقد دخل في الدين الجديد أفواجاً ، فقد بدأ مزدك رسالته بالدعوة إلى المساواة بين الناس ، تعلقاً لهم ، وهي دعوة تبرأ المجاهير وتندعو إلى أن يكونوا جميعاً مع صاحبها ، مهما أخفت من خداع ورياء تحت

مظهرها البراق ، وأما رجال الدين فقد خرجو من بيت النار وهم  
بین مصدق ومكذب .

و حينما عادوا إلى أنفسهم أنكروا صاحبهم ورسالته ، ولكنهم  
أثروا أضعف الإيمان فاكتفوا بما تحدث به قلوبهم ، وأما رجال  
ال亥اشية فلم يتحمسوا للدعوة الجديدة ولكنهم ساروا وراء الملك  
أو وراء ابنه ، معلقين أنهم على دين ملوكهم .

قال مزدك : إن الثروة ينبغي أن تكون ملكاً للجميع ،  
لكل نصيب منها حسب حاجته ، لأن الناس جميعاً أبوهم آدم وأمهم  
حواء ، ولأن خيرات إيران أتتتها أرض إيران التي أنبتهم جميعاً ،  
وسقطها سماء إيران التي ظلمهم جميعاً ، فالعدل أن يكونوا في بلدهم  
سواسية ، ينعمون بنعيمها فلا ترى فيهم فقيراً محروماً .. وزاد هذا  
النداء في التفاف الناس حوله ومسارعتهم في قبول دعوه ..

ثم نادى بيدعة جديدة ، الشيوع في النساء ، فنعا الناس إلى أن  
تكون النساء شركة بينهن ولا وزن للأنساب . وكان قليل من الناس  
يملك مئات من الجواري وله بعض زوجات ، وكثير من الناس  
لا يجد وفرة في الرزق تمكنه من أن يكون زوجاً لأمرأة واحدة .  
وإذا فالسوداد الأعظم راغب في المرأة لأنها محروم منها ، فلم يكدر  
مزدك يعلن هذا الرأي حتى هرع الناس من الأقاليم ليعيشه والعمل

بدعوته ، ووضع لهم مزدك نظاماً لهذه الإباحة ، فإذا استضاف الرجل عشرين رجلاً في بيته فإن عليه أن يقدم زوجه كاً يقدم صنفاً من الطعام ، ثم إن على الضيوف إذا دخل أحدهم غرفتها أن يضع قلنسوته على بابها حتى لا يطرق الباب عليه طارق .

وهكذا التف الناس حول مزدك ، ونظر العقلاء فإذا الدرجات بين الناس أو شكت على الزوال وإذا الرابطة بينهم قد قربت الضياع ، ونظروا فإذا الغوغاء تسود ، وإذا الأشراف والنبلاء قد أخرجوها من ديارهم وحرمت عليهم أموالهم وأهدرت حرمات نسائهم وما ملكت أيديهم .

\* \* \*

وكان للملك ولد اسمه نوشروان ، يقيم بعيداً عن أبيه ، في إقليم فارس ، فلما سمع بما جرى في عاصمة إيران من فساد ، كاد يتميز من الغيظ ، فكتب إلى الموابذة يسألهم أن ينصحوا الملك بالقضاء على مزدك ودعوته ، فإنه قد أضاع الثروات واستباح النساء ومكثن للغوغاء ، ثم حثهم على مجادلة مزدك وإظهار فسقه . وكتب إلى النبلاء محدثاً عما جرى من موافقته أبيه لهذا الفاسق ، مؤكداً أن أباها لا يفرق بين الحق والباطل ولا يميز الخبيث من الطيب ، ونصحهم بأن يجمعوا أمرهم طرأ وأن يطلبوا منه التخلص

من مزدك ومحى آثاره ، فإنه كاد يقضى على الدولة والدين معاً ، وقرن نوشروان الوعد في كتابه بالوعيد ، فذكرهم بآلا يخرجوا منج أية ، فإنه مخدوع بدعوة فاسق ، ودعوة الفسق وإن أفلحت ساعه فإنها إلى الزوال تسير ، وأكدهم أن الغد لناظره قريب .

وتأثر كثير من النبلاء بقول الأمير الشاب ، وعاد إلى صوابه من حدثه نفسه منهم بقبول دعوة مزدك ، وتراسوا وتوصوا وبعثوا إليه قاتلين « إنا معك » .

واجتمع النبلاء والموابنة وقابلوا الملك وقالوا له : إننا قرأنا في كتبنا ونظرنا في علومنا ، منذ آدم حتى زردشت ، ثنا وجدنا نيا دعا دعوة مزدك ، هذه الدعوة التي أودت بالبلاد وبالعباد ، وإنما نصح للملك بآلا يمكن له ، وأن يعمل على إبعاده عنه ، فأمر الملك بعقد بجمع دين ، وسأل مزدك عن رأيه في قوله ، فقال : إن رسول يزدان ، بعض الإحياء دين زردشت ولا جدد فيه يدخل المبدئين اللذين ناديت بهما واللذين صادقا من الملك قبولا ، فإن كذبتموني فسلوا النار تجيزكم عا لا تفهون ، ثم سأل مزدك النار ، فإذا هي تجيب آمرة الحاضرين بطاعته والانقياد له ؛ فأسقط في أيديهم وخرجوا مرة أخرى وهم في حيرة مما سمعوا ، أما قباد فراد بمزدك إيماناً .

وعلم مزدك أن نوشروان الأمير لم يدخل في دينه فنصح للملك

أن يحمل ول عهده على المداية فليس من الخير أن يبقى في ضلالة ،  
وليس من الأدب أن يخالف آباء . وكان الملك مشفقاً حتاً على  
ولده لأنه لم يؤمن برسالة مزدك ، فاداه ونصح له ، بالعنف حيناً  
وباللين أحياناً ، فلم يظفر منه بشيء ، فلما أخذ عليه عقوبة قال :  
لقد بدأت يا أمير  
ألم تر أنك باتابع مزدك قد خالفت سنن آبائك جميعاً وكان عليك  
الآلا تخافهم لتطبيع الدجال الخادع ١

وكان مزدك حاضراً هذا النقاش فقال للأمير : إن عليك أن  
ثبت ، كما يبدو لك ، أنني دجال خادع . فقال نوشروان : أملاكي  
أربعين يوماً أعد فيها عذرني . قال مزدك : ولكنك أن تختار رجلاً تتق  
به لمناظرتي ، فإن أثبتت رأيك في قتلتنى وإن عجزت عن ذلك  
قتلت لتكون عبرة للناس وعظة ، حتى لا يحذث أحد نفسه بالتجنى  
على رسول يزدان الأمين .

وسافر نوشروان إلى فارس ، فكتب إليه موبدها ، وهو  
صديق بارع في علوم الدين ، وحدثه بما جرى بيده وبين مزدك  
والملك . وفي اليوم الأربعين كان نوشروان في بلاط أبيه ، فقد  
كان معه على ميعاد .

قال مزدك : تحدث يا أميرنا وأثبت ما ذهبت إليه من الاقرارات

علينا والطعن في رسالتنا . قال نوشروان : إن لي اقتراحاً ،  
فقطاعه مزدك صائحاً . لا اقتراح وقد انقضى الأجل ، خنوه فغلوه .  
فهيجم عليه جماعة من حرس مزدك وأرادوا قيده وقتلها ، ولكن  
الأمير دفعهم عن نفسه وقال لأبيه الملك : « فيم العجلة ؟ ألم أشترط  
أربعين يوماً كاملة ، إن اليوم من حق فأمهلاني إلى الغد . » فصدق  
قادة الجيش على قول الأمير ، وصادف الرأى قبولاً من الملك فإنه  
يحب ابنه ويذكره أن يقتله بيده ، وعاد رجال مزدك إلى أماكنهم ،  
وانقض الجموع على أن يلتقي في اليوم التالي .

\* \* \*

وفي المساء بلغ مويبد فارس العاصمة ، ودخل القصر وقابل  
نوشروان ، فقص عليه هذا ما كان في اجتماع الصباح وقال إنه  
ذاهب غداً ليتقى حتفه وليرقابل ربه راضياً مرضياً في سيل وطنه  
ودينه . قال المويبد : هدى من روحك يا أميرنا وأعلم أن الحق معك  
وأن مزدك غرئي مبين ، وطلب منه أن يمكنه من مقابلة الملك قبل  
أن يحضر مزدك ، فهياً الأمير هذه المقابلة .

قال المويبد للملك : إن صاحبك يا مولاي قرأ في علم النجوم  
قليلاً ، وقد قرأ أن نبياً يبعث في هذا الزمان فحسب نفسه ذلك النبي  
وخن علىه أن النبي سيكون صاحب رسالة جديدة ، وسيكون له

باب من عند الله ، ومن معجزاته أن ينشق القمر ، وسوف ينسخ  
دينه دين المجرس وسائر الأديان ، وسيعد المؤمنين بالجنة وسينذر  
الكافر بالخلود في نار جهنم ، ومن مبادته أن الله خلق الناس ورفع  
بعضهم فوق بعض درجات ، وسيأمر بالزواج بواحدة وسيشترط  
العدل بين الزوجات لمن يرغب في المزيد منها ، على ألا يزد  
على أربع ، وسيحذر الناس من الشيطان ، وسيتصالب جبريل ، ويهدى  
بيوت النار ، وسيكون دينه للناس كافة وسيبقى حتى يوم القيمة ،  
وستشهد على رسالته السموات والأرض . يظن مزدك يا مولاى  
أنه هو هذا النبي وخفي عليه أنه فارسي ولن يكون النبي فارسياً ، ثم  
إن مزدك يدعى أنه يقُوم دين زرداشت ويدعو إلى عبادة النار ،  
والنبي القادم يدعى للقضاء عليهم ، وسيوحى إلى النبي بواسطته  
جبريل (سروش) ، أما مزدك فيدعى أنه يستمد حجته من شهادة  
النار ... فإذا سمح مولاى حضرت للقاءه ومناظرته وسترون أنه  
لا يقصد إقامة شريعة إنما يقصد هدم الدين والإفساد في الأرض .

واجتمع مزدك وزرشن وموبد في قاعة العرش ، حيث  
رأس الملك المناظرة ، قال الملك : من يبدأ منك؟ قال مزدك : هو  
يسأل وأنا أجيب .

قال الموبد : إذاً تعال مكانى وأنا آخذ مكانك ، فغضب مزدك  
وقال هذا مكان أجلسنى فيه الملك فلا أنحول عنه . قال الموبد :

إنك يا صاحبِي تنادي بشيوعية المال فهـلا علمت أن الناس  
يشيدون الأربطة ويتيمون الجسور ويبنون بيوت النار ابتغاء  
الثراب يوم القيمة ؟  
قال مزدك : نعم .

قال الموبد : فإذا كان المال شيئاً بين الناس وأراد أحدهم أن  
يشيد بيته للعبادة فمن أين يأتي بالنفقات ؟ فلم يحر مزدك جواباً .

قال الموبد : إنك ترى الملك تباد الذي يجلس على العرش قد  
ورث هذا الملك عن أبيه فیروز وهذا ورثه عن آبائه ، وأنت اليوم  
تنادي بياحة النساء وهدم النسب فكيف يتحقق هنا والمحافظة على  
نسب الساسانيين ؟ فلم يحر مزدك جواباً .

قال الموبد : وأنت تنادي بشيوع المال بين الناس ، ألا ترى  
أن الله قد خلّاتهم ومنهم الغنى ومنهم الفقير ، وأن الفقير يجد عيلاً  
عند الغنى فينقدر عليه أجراً ، وإذا انعدم التفاوت بين الناس فأى  
سلطان يبيت على الناس ؟

فلم يحر جواباً ، فصاح تباد : ما جوابك ؟

فقال مزدك : جوابي أن تأمر بقتله في الحال صبراً .

قال الملك : ولكنني لا أمر بقتل آدمي لم يثبت عليه جرم .

قال مزدك : فوعدنا إذا غداً في بيت النار لنسمع حكمها .

وانصرف الجميع من المجلس وقد طابت نفوس أصدقاء  
نوشروان إذ خيال الموبد من القتل ، أما مزدك بخرج حافقاً حافداً  
على قباد لأنه لم ينفذ أمره ويقتل الموبد ، وقد أسر إلى نفسه أن  
أنصاره من حوله قد زادوا عدداً وأن إتحماء الملك عن عرشه قد  
أصبح مستطاعاً ، وأنه سيأتي العون كل العون من الشعب الذي  
غرته المبادئ التي نادى بها .

\* \* \*

نادى مزدك رجلين من أنصاره المقربين فأخذ عليهما ميثاقاً بأن  
لا ييوح أحد بالسر الذي يأتمهما عليه ، ووعد كلاً منهم بما يألف  
دينار وبأن يرفعهما إلى رتبة سباها سلار « قائد » ، أما السر فهو أن  
يحضرا جلسة الغد في بيت النار وأن يخفي كل منهما سيفاً تحت ثوبه ،  
فإن حمل السلاح لم يكن مباحاً في بيت النار ، فإذا ما سأله مزدك  
النار فأجاب بقتل قباد فيان عليهم أن يسرعا إليه بالسيف تنفيذاً  
لقول النار .

وأما الموبد فقد طلب من نوشروان أن يأمر عشرة من رجاله  
بحمل سيفهم تحت ثيابهم استعداداً لما قد يقدم عليه مزدك وهو مغيط .  
وعقد المجلس في بيت النار فقال مزدك للموبد : سل النار إن  
كانت تصفع إليك ، فسألها الموبد فلم تنطق ، فصاح بها مزدك :

الأخرين ياخير بنات أهورا مزدا ويا أطيب عباد يزدان مارأيك  
فيها جرى بالأمس ؟

فارتفع صوت منها يقول: «إتي ضعيفة منذ الأمس ، لا حطرا  
في هواي وأذكوري بقلب قياد وكبدك لاحكم بينكم ، الافتبيع مزدك  
من اهتدى وأراد الآخرة ،

فصاح مزدك : ذكروا النار ذكرها ، فانقض صاحباه على الملك  
يعيان قتلها ، فدفعهم ما أنصار نوشروان العشرة ، وانقسم الحاضرون  
إلى فريقين ، فريق يرى إحراق قياد وفريق يرى أن يتذرر الأمر ..  
وانقض الجمجم .

\*\*\*

بات قياد حزيناً تلك الليلة ، فهو ولاشك قد ارتكب وزرًا  
ثقيلاً لأن النار طالب بقلبه وكبده وقوداً لها ، وخير له أن يقدم  
نفسه وقرداً في الدنيا من أن يصلها جحشاً في الآخرة . ولكن  
المولود نوشروان زاراه في الصباح الباكر ، وأخذ الموبد يبين له  
سعى مزدك في انزعاع الملك لنفسه ، وكيف حاول باديء ذي بدء  
أن يقضي على نوشروان ففشل ، فلما لم يفلح أراد أن يقضى على  
الملك نفسه . ثم التفت إلى نوشروان ونصحه بأن يتصل بوأحد من  
أنصار مزدك وأن يستدل منه على سر تكلم النار .

و عمل نوشروان بنصيحة الموبد ، قال له مخدعه — بعد أن مناه إذا قال الحق وأو عده إذا كذب — إن أمام بيت النار أرض أقيمت عليها أسوار صعبة النزول وأن قبة تحت الأرض تبدأ داخل هذه الأسوار و تنتهي بغاية المدة عند فرحة النار ، وهى التي يتحدث بواسطتها مزدك فيسمعه تابع له يقيم داخل سور فيتكلم بما اتفق معه فيه عليه ، فيظن الحاضرون أن النار تتكلم .

وأبلغ نوشروان هذا السر للموبد ، وأخذ ثلاثة ، الملك وفرشروان والموبد ، يشاورون في الأمر ، فإن القضية لم تكن قضية مزدك خسب ، لأن هذا المتنبي قد نجح في كسب جماعة كبيرة من الشعب ، ومنهم فتة خطيرة تحمل السيف ، وينبغى أن تستأصل هذه الفتنة ، وأن يقضى على العقائد التي أحبها الشعب ، ثم ينبعى أن تعاد الأوضاع إلى سابق عهدها ، وبعد تنظيم الجباية وإدارة المرافق العامة . واتفقوا على أن يدعى مزدك في مجمع دين ، وأن يعلن الموبد في هذا المجمع عجزه عن مناظرة مزدك ، ثم يسافر إلى فارس ، ثم يتبع بعد ذلك ما يرسم نوشروان من خطط .

وعند المجمع وتكلم الموابذة ثم وقف موبد فارس وقال : إنني عجبت للنار كيف تتكلم ؟ قال مزدك : ليس الأمر في هذا عجيباً فإن الله ينطقها ، ألم تر إلى موسى وقد أصار عصاه حية تسعى ، أو لم تر كيف بخر من الصخرة اثنى عشرة عينا ، أما سمعت أنه استعان ربه

لهم لاك فرعون وأهله فابتلعهم أيم ؟ أما سمعت كيف أحيا عيسى المرنى .. و هذه كلها معجزات ليس في طاقة البشر أن يأتى بها ولكننا أعمال ربك يتمناها على يد رساله ، وهو الذى أنطق ياسىدى الناس كارأيت ، فآمن بالذى دعوتك إ إليه والذى أمرت به النار ، فإن عصيتنى فإن الله يعذبك عذاباً أليماً .

فقام الموبد فأعلن طاعته للذى بعثه وصدّقه النار ، ثم سافر إلى فارس .

\* \* \*

واجتمع الملك بعد ذلك بمزدك فقال له : إن نوشروان منذ سمع قوله موبد فارس وهو يميل إليك ويريد أن يعلن إيمانه برسالتك وأن يندم ويتب عما فات من كفره ، وإنى أرى الناس متعلقة به ملتفة حوله فإذا رأوه آمن آمنوا بك إطاعة لأمره وسيرأ على هداه .

فسر هذا القول مزدك وقال للملك : إن شفيع لنوشروان لدى النار وهى تشفع له عند يزدان ، فقال الملك : إنك تسدى إلى جحيل لا أنساء ، فهو ولدى ، وهو وارث عرشى ، وهو فوق ذلك على رأس الجيش والناس تحبه ، وستقام الفتنة يايمانه ، فإن أحداً لن يجد عذراً للكفر بدينه مادام هو يحميه .. وخرج مزدك وهو

يوصى قباد بأن يهدى ابنه ، فاستعمله أسبوغا ليفز إلية بشري  
دخول نوشروان في دينه

وفي نهاية الأسبوع تصر قباد على مزدك أن نوشروان رأى في  
منامه ناراً تسرع إليه تقاد تلهمه بفزع ، فإذا برجل جميل الصورة  
يأتى فيمنه منها ، وقد سأله نوشروان ماذا تقصد النار بي ، قال إنها  
غاضبة عليك لأنك كذبتها . ثم أخبر الملك مزدك : إن نوشروان  
عازم على الذهاب لبيت النار ، حاملاً المسك والعود والعنبر ،  
 وسيقف على خدمة البيت ثلاثة أيام ، مذكراً النار مسبحاً يزدان ،  
 ولتكنه يحاف إن هو أعلن رأيه وكان أنصار دينك قلة في البلد  
أن تشيع الفتنة ، ويضطرب الأمن ، ولذا فإنه يرى أن يعرف بالدقائق  
عدد أنصارك هنا وفي الأقاليم ، حتى يقدم على إعلان الدين الجديد  
وهو بصير بالعواقب وأرى أن تعد سجلاً تكتب فيه أسماء من  
آمنوا بك ، فإنه يريد أن يعرف عددهم ومدى قوتهم ! فراقت الفكرة  
لمزدك وكتب سجلاً بأسماء أنصاره وأودعه قصر الملك .

وبعد أسبوع قابل الملك مزدك فقال له : إن نوشروان سر  
سروراً عظيماً عندما رأى سجل أنصارك وعلم أن عدمه إنما عشر  
ال ألفاً ، فقد أبى أن هذا العدد كاف لحفظ الأمن ونشر الدين بحد  
السيف ، وكان يخشى أن يقل عددهم عن خمسة آلاف فيضطر إلى  
إرجاء إعلان دحوله في الدين الجديد . وقد اتفقت معه على أن

تكون علامه إعلانه المذكورة أن يقمع الطبل من برج القصر .  
 وقمع الطبل وعلم مزدك أن أقرى رجل في الدولة قد اعتنق  
 مبادته ، وأنه قد أصبح ذا شوكة وأن مذهبة سيفرض على الناس  
 فرضاً .

\* \* \*

وفي الصباح ذهب إلى القصر فقابل الملك ونوشران ، قدم له  
 هذا المدايا والتحف ورجاه أن يغفر له سابق هفوهه . ثم قال للملك  
 ول Mizdak : إن الأمر يديكما ، فأولكما ملك إيران وثانيكما نبيها ، فإذا  
 شئتما أن أعمل على نشر هذا الدين الجديد فامتحناني من السلطان  
 ما يكفل طاعة الناس لي .  
 قالا : لك ما تشاء .

قال : فالرأي أن يبعث مزدك إلى أنصاره في الأقاليم يدعوهم  
 للحضور هنا بعد ثلاثة أشهر وذلك لكي أكسوهم وأمددهم بالسلاح  
 وأستعين بهم على الجهاد في سبيل يزدان .

. وتم الاتفاق على أن يحضر الانصار من شتى البلاد في اليوم  
 الموعود وأن تقام لهم ولية كبيرة لإظهاراً لمبدأ المساواة والإخاء  
 ولسوف يدعون بعد ذلك إلى الشراب الفاخر ثم يذهبون زرافات  
 إلى القصر الثالث ليأخذوا أكسيتهم وأسلحتهم وخيوطهم .

و جاء الائتني عشر ألف مزدكى فرجدوا المرايد قد أعدت في  
في جناح من القصر خلسوها يأكلون ويسموون ، وكان نوشروان  
خفياً بهم ، ثم دعاهم إلى الدخول في قاعات الشراب فدارت عليهم  
الكثيرس سبع مرات . ودخل وهم يشربون مائة خادم يحملون  
أثواب الحرير والكتان ، فأمرهم نوشروان بالذهاب إلى الجناح  
الثالث حيث توزع الأكسيه .

ثم أمر فقسم المدعرون جماعات من ثلاثةين رجلاً وساق كل  
جماعة إلى حيث الكساء والسلاح . وكان قد أمر أربعينه من الجنود  
الأشداء بأن يحفروا في الميدان حفرة كثيرة ، وأن يدعوا ما يخرج  
منها من التراب بجوارها ، وأمر بالاً يخرج أحد من هؤلاء الجنود  
من الميدان . . .

و دخل المزدكية جماعة جماعة فقادهم حرس نوشروان إلى هذه  
الحفر فأودعوا فيها أحياء وتقد أقيموا فيها على رؤوسهم ثم غطوا  
بالتراب حتى صدورهم وظهرت أرجلهم تأرجح في الهواء كأنها جندو  
نخل خاوية .

وصعد نوشروان إلى قاعة العرش حيث كان أبوه ومزدك ،  
فروى لمزدك ما أعدد له رجاله من كرم الضيافة وما هم عليه من سرور  
بعد أن أكلوا وشربوا ولبسو ، وطلب إليه أن يطل عليهم وهم في  
الميدان في أزهى حلقة لبسوها .

خرج مزدك فأبصر أرجلًا تأرجح في الماء، فخدجه نوشروان  
بنظره وقال :

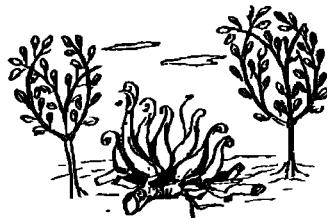
ها يا زينا قد ألبست المزدكية الكسوة التي يستحقون ، أما  
أنت ، فعلى هذا المرتفع الذي أغيم في وسط الميدان ، سلقي كسامك .  
إنك دجال مخادع كما قلت لك أول مرة لقيتك فيها ، وقد جئت  
لتقضى على ثروات الناس وتستبيح نساءهم وتهدم ما أتي به زرداشت  
من قراعد المدينة وال عمران ، ثم يخلو لك الجو فتجلس على عرش  
إيران الخربة كما يجلس ال يوم على أطلال القصور .  
وساقه الجندي إلى حيث حفرة أعدت له وسط الميدان ، فدفن  
حيًّا ، ورأسه في التراب .

والتفت نوشروان إلى أبيه فقال له : آن يا أبا لك أن تقع  
في تصرُّك فإن ضعفك هو الذي أدى إلى أن تقع هذه الفوضى  
المiserة في البلاد ، فمن الخير لك ولها أن تبعد عن حكمها حتى تهدأ  
الأحوال وتعاد النظم إلى سابق عهدها أيام جدنا أردشير . ثم أمر  
فتحت أبواب الميدان ليتاح للناس أن يروا المصير الذي لقيته  
زمرة الفساد ، وأمر بجمع النبلاء ورجال الدين فوعدهم بإصلاح  
حالمهم وإعادة أمراهم إليهم ورد نسلتهم إلى بيوتهم ، وحكم إيران  
بعد ذلك فكان عهده أزهى عهودها .

• • •

قال ملکشاه : أحسنت يا نظام الملك فيما رویت وإن عليك  
 أن تعمل على إبادة جماعة بامیر أو أن يعودوا إلى الإسلام ،  
 أما أنا فلن أغمد هذا السيف حتى أنشر دین محمد كما أنزله الله .  
 وكان الليل قد اتصف فقام ملکشاه وانصرف الوزير والظاهر  
 فذهب كل إلى بيته .

(سياسة نامہ ۴۴)



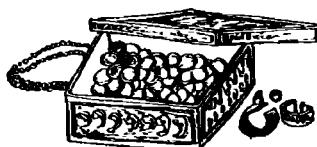
العِجُوزُ وَ الرِّجْلَانِ

ذهب رجلان إلى عجوز وقالا لها : إنا نستودعك هذا المال ،  
على أن تعطيه لنا إذا جتنا معاً نطلبه . وبعد فترة جاء أحد هما وطلب  
المال من العجوز وقال لها إن صاحبه قد قتل ، فإن لصوصاً هاجحوها  
في الطريق ، قتلواه . وصدقت العجوز كلام الرجل فأعادت إليه المال .

ثم جاء الثاني عند العجوز وطلب المال ، فقالت إن صاحبك قال إنك قلت وقد أعطيته الوديعة ، فليس لك شيء عندى .

فذهب الرجل إلى الحاكم وشكا العجوز، لأنها أمنت عن تسليم  
ماله له، فشكراً الحاكم طويلاً ثم قال:

( جامع المكاليم )



قال نظام الملك مخاطباً السلطان ملکشاه :

وعلى الحاكم أن يتحرى سلوك عماله ، وألا يتراهى في تقصي  
سيرهم ، ليتأكد من نزاهتهم ، ومن رعاية الأمانة التي عهد بها إليهم ،  
والثقة التي أولاهم إياها . وعلى العمال أن يسيراوا في الناس بالحسنى ،  
وألا يطالبو الحرات بالأموال قبل أن تؤتى الأرض ثمارها ،  
وإلا اضطر الحرات أن يبيع معجلاً مالا علم له بمقداره وقدره ،  
فيبيع بالثمن البخس جده المضن . ثم على العمال أن يعاونوا الحراثين  
إذا احتاجوا إلى البنور أو المرواشى ، فإن من يعن الحرات على  
إنتاج الخيرات التي تنبتها الأرض يعن الشعب على عيشه ، ويوفر له  
غذاءه . وحرام على الحكمة وعلى الناس أن يتركوا قطعة من  
الأرض بورأ ، فإن من يعمر أرض الله يخدم دينه ووطنه ونفسه ،  
ومن ير أرضاً صالحة للزراعة ولا يعمرها يغضب الله والوطن والحاكم  
إذا سار العمال هذه السيرة في الحراثين سعدت الدولة ، وكثرت

خبراتها ، وأمن الناس شر الفاقة والجوع والموت ، إذا ما جفت الأنهار وانقطعت الأمطار ووقع الفحط العظيم .

ألم تر يا مولاي إلى قباد وقد جف الزرع في عهده سبع سنين ، فلم تنتج الأرض خلالها حبة واحدة ، فكانت شدة لا مخرج منها ، فاستطاع بما لدى عاله من الحيرات المخزونة أن يوفر لشعبه الغذاء طوال السنوات الشداد ؟ فقد أمرهم ببيع ما لديهم من مخزون الحبوب بأثمان رخيصة ، وسهر على عدالة التوزيع بين الناس ، فلم يمتن من إيران فرد واحد بسبب الفحط .

وعلى الحاكم ألا يتهاون مطلقاً في مراقبة هؤلاء العمال ، وإذا رأى أحدهم استولى من حرثه على أكثر مما ينبغي عليه دفعه ، رد ما اغتصب إليه ، حتى يعلم الناس أن العدل قائم وإن جار العمال . وإذا كان للعامل المغتصب مال أخذ منه أضعاف ما اغتصب من الرعية ، وقد يرى الحاكم نفسه في حل من أن ينزع جميع أموال العامل الظالم ، ليعلم الشعب أن الظلم مرتعبه وخيم . وأما إذا كان العامل قد قصر تقديرأً يسيراً ، فإن على الحاكم أن يقرمه ويصلحه ويجازيه حسب مسؤوليته .

وأما إشراف الحاكم على الوزير وحكام الأقاليم فإنه أكثر وجوباً وأبعد أثراً ، لأن أخطاء هؤلاء تمحض على الحاكم نفسه ، وتنسب إليه وإلى حكومته . ولذا وجب أن يكون الوزير والحاكم

من ذوى العدل وإصالة الرأى ، ووجب أن يكون الحاكم يقتظاً  
محاسباً .

وكم أتعجب منظرك وسلوكك مني يا مولاي يوم جستى ، وقد  
أنسلك كيك رجلان يشكون إيليك ظلم والى بلدھما ، وكانت  
النوع تترافق في عينيك وأنت تقول : كيف يكون حالاً خداً عند  
الله إذا طلبت بحقوق المسلمين ، وقد قلدتك هذا الأمر لتسكفيني  
مثل هذا الموقف ؟ وكم أسعده إنصافهما عملاً بأمرك وعدلك  
يا مولاي . وأنا أسوق إيليك قصة الوزير رست روش الذى اتخذه  
الملك بيرام كور وزيرأً فلم يرع النزاهة في حكمه . فطغى وبغى  
وتکبر ، ولكن انظر كيف كانت عاقبته .

وأنت تعلم يا مولاي أن بيرام كور قد اندفع في نزق الشباب  
فترك شتون الملك وانصرف إلى الصيد والنساء والشراب ، وأقام  
مقامه أميراً ضعيفاً لم يكن يستطيع أن يعارض لوزير رست روش  
رأياً أو يعصى له أمراً . وقد استغله رست روش أسباب استغلال ،  
وصور له أن ما تبديه الحكمة من الشفقة بالناس قد أفسد خلقهم  
وأطمع في الولاية أشرارهم ، وأن الأمر إذا لم يدارك بالحزم  
ويتوخذ بالشدة فلن تحمد عواليه ، فالواجب ألا ندع على قيد  
الحياة مفسداً ، وألا ترك لذينهم ما يثير الغرور في نفسه فيخرج

علينا ، ولنستحي نساءهم ولننذبح أولادهم ، حتى لا يبق لأحد منهم سلطان . وامتسلات السجون بالاشراف ، وخللت القصور من ساكنيها ، وولى كثيرون من الأمراء فراداً من إيران ، وتم دملترا من ظلم الوزير رعياً . ونظر رست روش حوله ، فإذا سلطانه يمتد على الشعب وحكر ملته ، وإذا به يرى باب الإثراء مفتوحاً على مصراعيه له ولذويه ، فأخذ يمنح الحرية لمن سجنهما الأمير الذي كان يشغل مكان الملك ، على أن يعنوه ضياعهم وأموالهم ثناً لحربيهم ، وأخذ ينهب ويسلب كما يشاء ، وكلما أرادت الحكومة القيام بشروع امتلاء جيوبه وعمرت خزاناته بالرشوة المستوردة والرشوة المفضوحة ، حتى أصبح ترفه حديث الناس في إيران وغير إيران .

وظل الوزير على هذه السياسة المدamaة سنين عديدة ، حتى افترق الشعب ، وتخلل روحه ، واحتلت الشقة المتبادلة بين الحاكم والمحكومين ، وخرجت من بيت الأشرف التحف النادرة ، والخيول المطممة ، والجواري الحسان ، وكل ما لدى الناس من الخيرات ، لتدخل كلها في بيت الوزير رست روش .

وكان ملك إيران منافس يقف له بالمرصاد ، فاتصل به الوزير الخائن ، ليخلع الأسرة الساسانية وليله هو العرش ، فسارع العدو مليأاً دعوه وأغار على إيران . كل هذا وبرام كور غافل عن أمر نفسه وبلاه .

وأفاق الملك من غفلته وأمر بتهيئة الجيش ، والتوسيع على رجاله ، لتقوى روحهم وتشتد عزيمتهم ؛ ولكن خازن المال وجد خزينة الدولة خاوية ، وافتقد ورير الحرب الأشرف والنبلاء وهم القادة فلم يجد منهم أحداً . منهم المسجون ، ومنهم من هاجر ومنهم من قتل . ونظر بهرام فإذا إيران يعيم عليها الفقر ، ويفت في عضدها البؤس واليأس . فسأل مادا دهى المال وأقى الرجال ؟ . فلم يجرؤ أحد أن يذكر له ما جرته سياسة الوزير على الدولة من الدمار والفناء .. وبات الملك ليه ساهراً يفكـر في قلعته المتداعية وعدوه يقترب .

ولم يكـد الصبح ينفس حتى كان متطلاً صهوة جواده الأشـهب وسط الصحراء . هناك في الفضاء الذى لا يجد أبصار نارا فوق قل فاتجه إليها ، وهناك رأى قطبيعاً من الأغنام ورأى حيمة على بابها كلب مصلوب اوجلس الملك – وهو مستكر – للإفطار مع صاحب الحـيمة واستمع إلى الرجل يحـدثه عن الكلب المصلوب . قال :

كان لي من قطبيع القم هذا رقـكـير ، وكانت أعتمـد على هذا الكلب في حمايته ، وكان من القوة بحيث يغلـب عشرة ذئاب ، وكانت أثـقـه حتى أني حين أضطر إلى السفر ، كنت أتركـه ليقود الأغنام إلى حيث ترعـى وليعود بها إلى حيث تـيت ، وأنا آمن هادـيـه البال . ولكنـ لاحظـت أنـ القطـيع يـتـانـخـص ، ولاـحـظـتـ

الكلب فلم أهتد إلى تقصير في رعايته أو فرور في واجبه ؛ حتى إذا  
 جاء محصل الخراج وجدت القططىع كله لا ينفع بما على من مال ، فأخذته  
 المحصل وصَّيرَنى راعياً للقططىع الذى كان ملكى بالأمس. وتقربت  
 لرعاة الأغنام فطممت ماغاب عنى ، وهو أن الكلب قد وقع في  
 شباك ذئبة غادرة ماكرة . رأيتها معها وأنا أحطب فوق ربوة عالية  
 رأيتها تندو من القططىع ، ورأيتها يبرع لاستقبالها ، ثم أخذ يداعبها  
 حتى إذا بلغ منه الميام مبلغه انتهى بها ناحية ؛ فلا تلبث الذئبة أن  
 تعود فتقرب أقرب الأغنام إليها وتنهم من لحمه ما تشاء ، ثم تمضى  
 في سيلها ، والكلب ينظر إليها نظرة المتم الوهان . وهكذا كان  
 ينفِضُ القططىع رويداً رويداً ، لأن الكلب غلبه شهوته فقد أداماته  
 وضاعت رعايته . فرأيت أن أقل ما يجازى به هو أن يصلب كأنرى  
 جراء ضعفه وخياته .

\* \* \*

عاد الملك إلى العاصمة متفكراً في هذا الذي رأى وسمع ؛ أليس  
 هو صاحب القططىع الذى ملكه الله على الشعب ليعمِّر الأرض ؟  
 أليس وزيره رست روش هو الكلب الذى عهد إليه برعاية الشعب  
 والعناية به ؟ أليس الجشع الذى حل الوزير على ارتكاب ما ارتكب  
 وتضييع ما ضيع من دولته ، هو تلك الذئبة الغادرة ؟

ورأى الملك خزانه خاوية ، وجيشه مسرحة ، ورجاله  
مشردة ، والشعب في بؤس مقيم ، ولكن لم يهد إلى خيانة وزيره  
كما اهتدى الراعي إلى خيانة كابه ، فإن الحاشية كانت تخاف على نفسها  
من غدر الوزير الماكر الجبار . فأمر أن ترفع إلى التقارير اليومية  
التي كان الوزير يخفيها ، فإذا به يرى البطش والظلم والبغى ؛ فدرك  
أن ما أصاب شعبه من محن مصدره الوزير وأن عليه إذا أراد أن  
يعيد للشعب مكانته وثقته بنفسه وبحكامه أن يقتضي من رست  
روش ، فلما دخل عليه ابنته قائلة: ماذا جرى لشعبي ، علاه الفقر  
والهم ، واتعدت المحن والمظالم ، وماذا اتاب خزانه أنيفت وكانت  
بالخير تقىض ؟ أوليتك لقتل الناس وتنتك حرماً منهم وتقيد  
حرماً منهم ؟ ولقد وليتك عامر القلب خاوي الوضاض ، وكان هذا  
نخرك ، فإذا بجاه الوزارة يضللوك وإذا بك غبي ضال . دخلت  
 بالأمس فقيراً عزيزاً وهو أنت ذاتخرج اليوم منها ثرياً لازفاً فيك .  
وحاول رست روشن أن يجيب ولكن الكلام لم يواهه ، خفته  
السماء البريئة التي سفكها ، والحريات الغالية التي أضاعها ، والأمانة  
التي خانها . فأمر الملك بسجنه ، وأخذ ينظر شكاوى الناس منه ،  
ولم يلبث أن علم أن رست روشن قد تآمر مع عدوه للغدر به ليظفر  
بسلطان أوسع ، فأمر بقتله وإشيل به .

ثم التفت إلى أهل إيران فأصلاح أحواهم ، وتدارك ما فسد من

أمورهم ، وأبعد عنهم الوزير الذى أغراه الجشع خان وطنه وملكه  
كما أبعد الراوى الكلب الذى أنسنه الذئبة الغادرة حسن الرعاية .  
أما أتباع رست روش من الموظفين فقد عزلوا ، ثم أُسند الملك  
وزارته إلى رجل عرف بالتقى والزاهة وحب ملكه ووطنه .

\* \* \*

والآن أعود بك يا مولاي إلى قصة الراوى الذى صلب كابه ،  
فإن برام عندما سمع منه قصته أخرج من جعبته سهما ورماه أمامه  
وقال له : لقد أكلت معك وشربت ، ووقفت منك على ما اعتراك  
من غم ، وما أصابك من خسائر . وسأعمل على تخفيف ما أصابك  
واعلم أنى من حجاب الملك برام كور ، يعرقى كل عظامه  
بلاطه ، نفذ هذا السهم معك ، وأره من تقابل في بلاط الملك ،  
وعند ما يرونـه سيحضرـونـك إلى وسأعوضـك خيراً .

وبعد أيام قالت زوج الراوى — وقد باتت فى ضيق بعد أن  
فقد زوجها قطـيعـه — : قم إلى حيث أمرك هذا الفارس الذى زارنا  
منذ زمان ، وخذ معك السهم ، فإن عليه سيماء العزم والقوة ، وإن  
قليلـا يعطيـه من فضـله لـكـثيرـ لـدـيـنـا . خرج الراوى فاـصـداـ زـائـرـه  
الـكـرـيمـ .

وكان الملك قد نبه رجال حاشيته إلى قدمـ رـجـلـ يـحـمـلـ سـهـماـ .

من سهامه ، فلم يكدر الراعي يرجم السهم حتى رحبو به وساروا معه إلى الملوك ، فلما رأاه الراعي ازتعدت فرائصه ، وأرجح عليه ، لأنه لم يعامله بما ينبغي للملوك فقد كان جاهلاً شخصيته . وانحنى الرجل على قدمي الملك . فابتسم هذا وقص على الحاشية قصته ، وقال إنه مستبشر به ، لأنه نبهه من غفلته ، ولفته إلى شئون دولته ، وكانت قصته سبباً في خلاص البلاد من البلاء الذي ألم بها زماناً طويلاً . ثم أمر أن تخلع عليه الخلع الملكية ، وأن يعطي سبعاً نة رأس من الأغنام ، وأن يعفى من الضرائب .

(سياست نامه ٤)



## ٤ الحجاج والدرويش

ظهر في بغداد درويش مستجاب الدعوة ، فتاداه الحجاج  
ابن يوسف ، وقال له : ادع لي بالخير .

قال الدرويش : اللهم أقض روحه .

فقال الحجاج : بحق الله ما هذا الدعاء ؟

فقال الدرويش : هذا الدعاء خير لك ول كافة المسلمين .  
(كلستان)



## ٥ المرأة

قال نظام الملك للسلطان ملڪشاه :

قد سمعت أن السيدات المحجبات اللاقى لا ذكاء لهن يتدخلن في شئون الدولة ، ولادخل لهن فيها . والذى أعرفه يا مولاي أن كل ما نطلبه إلى النساء هو أن ينجبن لنا الأبناء ليبق النسل الطيب ، وكلما علا أصل السيدة زاد تقدير السلطان لها ، وكلما تشدت في الحجاب طاب النساء عليها . وليعلم الملك أن نصائح سيدات القصر مبنية على ما يسمعون من لم تخليص نياتهم ، وأنهن لا يرين ما يحرى في الخارج ، فيتخذن من هؤلاء المفسدين عيونا ، ويستقين من الصاحبة أو الخادمة أو الخادم الأبناء ! ولذا فإن أوامرهن تكون بعيدة عن العدل والصواب ، وهكذا ينفعن في الدولة الفساد . وفي هذا يا مولاي مسام بتفوذهك ، وفيه مضره للشعب ، إذ أن به تحتل أمور الدنيا والدين ، فقد تلف — إذا استمع الحاكم إلى قول أمرأته — أحوال الناس وتسفك دماء عظامهم .

وإن أنعمت النظر في التاريخ يا مولاي وجدت أنه ما من مرة

وقع السلطان فيها تحت تأثير المرأة إلا حل في دولته الفساد والفتنة وصنوف الشر . ولن أطيل عليك في حديثي عن سوء أثر تدخل المرأة في شئون الدولة . فهذه قضية مشهورة والشاهد عليها كثيرة وهي قديمة قدم الإنسان ، منذ مس آدم الضر حين استمع إلى قول أمنا حواء ! ومنذ أجيال لقيت المملكة التي تحكمها ألواناً من الشر ، زهقت فيها أرواح الآلوف من الترك والفرس ، لأن كيكاووس الملك خضع لأمر أنه سودبة ، فكان ما كان من شر أعود بالله من أن توقدنا النساء فيه ، في هذه الأيام التي اتسعت فيها ملستنا ، وأصبحت كعبة القصاد .

كانت سودبة امرأة جميلة ، وقد وقعت كيكاووس في حبائلها ، لأنه شيخ كبير ولأنها زوج لعوب فاتنة ، فسيطرت عليه حتى أصبح لا يقهى أمراً بغير مشورتها . وكان للملك ولد من زوجة الأولى ، اسمه سياوخش ، عهد بتربيته إلى رستم القائد المشهور ، وكان إذ ذاك واليآ على سistan . وشب سياوخش بطلأ ، فذاع صيته وتحدى بفتحوته الناس ، وبلغ مسامع سودبة أنه ذو جمال رائع فالت إليه واشتافت إلى روياه ولقياه ، فأوحىت إلى كيكاووس أن يدعوا ابنه لجواره ، ليستعين به في عمله ، وليرتدع نفسه بالنظر إليه . فصدق الملك نصحتها وبعث إلى ولده خفاء المداشر حيث استقبله الشعب أروع استقبال .

وكان سودة مشوقة إلى مقابلة سياوخش فطلبت من الملك أن يأمره بالدخول في المخاج المخصص لها ليرى إخوته ، وكانت امرأة فاسدة الخلق قبيحة السيرة ، وكان سياوخش يسمع عن قصص غرامها وبكلظم غيظه منها ؛ فلما طلب إليه الملك أن يدخل جناحها أحس أن أمراً يدبر له في المخاء ، فرجا والده لا يدخل وأن تخرج إخوته لتحيته ، ولكن الملك لم يوافقه على رأيه وأمره بالدخول فدخل طاعة له .

ولم يكد سياوخش يدخل حتى أسرعت سودة إليه واحتضنته بذراعيها وراودته عن نفسه فدفعها مستعضاً وخرج . . . ودخل الملك عند زوجه فوجدها مضطربة غاضبة ، فسألها فاتهمت ابنه بأنه ضمها إلى صدره فدفعته ونهرته وأمرته بالخروج طرداً

وغضب الملك نفرج إلى حيث ابنه ، وسأله في عنة عما كان منه فقال : هي راودتني عن نفسى فدفعتها عنى وفررت منها . قال الملك : النار تحكم يدتنا يابنى ، إن النار أحرقتك فهي صادقة وأنت من الكاذبين ، وإن كانت عليك برداً وسلاماً فهو كاذبة وأنت من الصادقين .

وأقيم حفل الابتهاج ، وأشعلت النار في وسط الميدان ، وصعد طيبها حتى علا قم الجبال ، واصطف قادة الجيش ورجال الدين على الجانبين انتظاراً لما تحكم به النار ، وجاء سياوخش راكباً فرسه

ـ شب رنڭ ، فاقتجم النار وخرج منها من غير سوء ، فصل الناس  
ودعوا ربهم ، وجمع الموابذة الخطب المختلف من المغل وبعثوا  
به إلى بيوت النار في أطراف إيران ، تبركا وتقرباً من الله .

ـ وأدى ذلك الملك برامة ولده وخيانة زوجه ، فدخل القصر غائباً  
حانقاً ولكن سوذبة استطاعت بخداعها ومكرها أن تجعل غضبه  
فرحاً وحنقه رضا ، ففاغعنها ونسى ما كان منها .. ثم أمر بأن يولى  
ابنه إمارة بلخ ترضية له .

ـ خرج سياوخش من النار وكان يعلن أن الملك سيقتل سوذبة  
جزاء خياتها وكذبها ، فلما رأى مارأى من تساح ووالده معها لم  
يستطيع صبراً على البقاء في المملكة وأخذ يفكر في بلد يلتجأ إليه .

ـ وكان لأفراسياپ ملك الترك وزير عاقل اسمه ويران ، وقد علم  
هذا الوزير قصة الأمير الإيراني فاتصل به وحجب إليه الاتجاه  
إلى توران ، فهاجر . وهناك استقبله أفراسياپ أجمل استقبال ،  
وزوجه من ابنته ، واختصه بحبه ، وأصبح لا يعقد أمراً في بلاده  
من غير مشورة سياوخش .

ـ وكان ملك الترك ولد ضعيف الهمة ، سقيم الرأى ، مريض  
النفس اسمه كرسفر ، وقد رحب بسياوخش أول الأمر ولكنه  
حين رأى مكانته في هبوط مكانة زوج أخته في صعود وليس

ما ينهم من فارق ، في الفروسيه ورجاحة الرأي وبعد النظر ،  
حق عليه أشد الحق وأخذ يتحين الفرص ليُرْقِع بينه وبين والده  
وقد استطاع أن يفهم سياوش بتهمة قبيحة عند أفراسياب فأهانه  
فأمر بقتله فقتلوه . وهكذا قتل ملك الترك أمير إيران وبطلاها  
سياوش .

وبلغت الأنباء إيران وعلم الناس أن دم أميرهم قد أريق  
في بلاد الترك ، فقضبت أرواح الأبطال ودوى اللحن الحزين في  
الأسماع . أما رستم ، والى سistan ، ومربي سياوش ، فإنه لم يكُد  
يسمع بالنبأ حتى امتطى صهوة جواهه وسار قديماً نحو المدائن فلما  
بلغها اتجه نحو قصر الملك فدخل غير مستأذن وصعد إلى جناح  
سودبه فدخل غرفتها فجذبها من شعرها وساقهَا إلى الميدان قطعها  
بسيفه إرباً إرباً . ثم رفع العلم الحكاوياني وتقدم الجيش واتجه به  
نحو بلاد الترك لمحاربة ملوكهم ، ودامَت الحرب بين الشعدين سنوات  
قتل فيها آلاف من الترك والفرس .

كل هذا لأن كيكاووس كان ضعيفاً أمام زوجه سودبه فأسلماها  
زمام نفسه .

\* \* \*

ولو تبعـت يامـولاـي تـارـيخـ العـظـماءـ لـماـ وجـدتـ أحـدـهـ استـودـعـ  
أمـرأـةـ سـراـ أوـ اـخـذـهـ مشـيـرةـ . وـاقـظـرـ يـامـولاـيـ إـلـىـ الإـسـكـنـدرـ وقدـ نـهـرـ

دارا واستولى على ملوكه فأراد بعض رجاله أن يزوجوه من ابنة الملك المقهور ، فأشاروا عليه بدخول « الحريم » حيث ابنة دارا التي ذاع حديث جمالها وعنوبتها ، وبجانبها بنات الأشراف وكاهن على جانب عظيم من الجمال ، فقال الاسكندر لقد تفتنا رجالهم فلا تفتنا نساؤهم ! ومضى في الغزو نحو الهند ولم يدخل « حريم » دارا .

\* \* \*

وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم : « شاوروهن وخالفوهن » . وجاء في التاريخ أنه حين اشتدت على الرسول الكريم وطأة المرض كان بجواره السيدتان عائشه وحفصة عليهما السلام ، فسألتهما عن يصل بالناس في أثناء مرضه فقال : أبو بكر . فأعادتا سؤالها فقال : أبو بكر قالت عائشه لحفصة : قرلي له إن أبي بكر رجل ضعيف رقيق القلب ، وإنه أقرب الصحابة إليك ، فإذا رأى مكانك من الناس شاغراً غلبه البكاء فتضيع صلاته وصلة الناس ، فالآولى يا مامتهم غير فإنه قوى رابط الجأش . فغضب النبي عليه الصلاة والسلام وقال ما معناه مثلكما كمثل يوسف وكرسف ، وإني لن أسمع لك كارأيا وقد أمرت بما فيه خير المسلمين ، اذهبا إلى أبي بكر وقولا له يوم الناس للصلوة . هذا مع ما كان لعائشة من رأى وعلم ، فما بالك يا مولاي بسائر النساء !

قال ملكشاه : وما قصة يوسف هذه يا أبي الحسن ؟

## يُوسف وَكُرْسِف

٦

فقال نظام الملك :

كان ذلك أيام بنى إسرائيل ، وقد قيل إن الله تعالى يستجيب  
ثلاث دعوات لمن يعبد الله أربعين سنة ولا يرتكب كبيرة  
أو صغيرة . وكان يوسف رجلاً متبعداً زاهداً يخشي الله ولا يسيء  
إلى أحد .

وكان يعيش مع زوجه كرسف وأولاده في قناعة وسعادة ،  
وقد آن ليوسف أن يدعى رب ثلات دعوات ، ولم يجد غير زوجه  
مشيرة بالذى يدعوه ، فإن صلاحها من صلاحه ، وليس أصدق منها  
ناحجاً له .

فليا سألهما قالت : ليس لي في هذه الدنيا سواك ، وأنت مني  
نور العين ، ويطيب بصحبتي عيشك ، فادع ربك أن يجعل لي جمالاً  
ليس مثله جمال حتى أدخل على نفسك السرور كلها وقع نظرك على .  
فدعياً يوسف ربه أن يمتحن كرسف جمالاً ليس لواحدة من بنات  
حواء ، فصارت .

وأبصرت كرسف وجهها ذات يوم في المرأة فإذا هي كالملاك  
الكريم جمالاً ورقه، وألفت نفسها زوجاً لهذا الزاهد المنعدي القانع  
الذى لا يجد عنده غير شظف العيش، والذى لا يعرف إلى كسب الحياة  
سبلاً، ورأت أن جمالها جدير بملك عظيم يوفر لها أسباب السعادة  
الحقة، ويندق عليها من الخيرات والنعم، ويبرها من اللآلئ والجرائم  
ما يزدان به جمالها. هكذا وسوس لها الشيطان فأخذت تُوبَّ زوجها  
على فقره وتقاعده عن الكسب، وأهملت أطفالها.

وأحس يوسف مافي زوجه من صلف وغور ، ورآها تهمل  
يتها وأولادها ولا تستمع لنصحه ، فرفع إلى السماء رأسه ودعا  
ربه أن يعاقب كرسف يجعلها دبة تهيم على وجهها ، فصارت .

وأخذت الدبة تحوم حول البيت وتلتصق بجدرانه والملمع من عينيها ينهر ، واضطرب يوسف أن يرعى أولاده ويتسلّه بنفسه ، وأصبح لا يقدر على تأدية الصلاة في وقتها ، ورأى أطفاله وقد امتلأت قلوبهم حزناً لفقد أمهم .

فرفع رأسه إلى السماء مرة ثالثة ، ودعا ربها أن يعيد كرسف  
كما كانت من قبل ، فعادت إلى حالتها الأولى ، واتهت الدعوات الثلاث  
وأصبح يوسف وقد ضاع عليه نسك أربعين سنة ١  
كل هذا لأنها اتخذت من زوجها مشيراً .

100

وأختتم حديثي بأن أذكر مولاى بالآية الكريمة : « الرجال  
قوامون على النساء ، فلا تستمع لشريتهن يا مولاى ، واجعل من  
ابنك بركيارق خلفاً لك ، يحافظ على دولتك ويخلد اسمك ، فإن له  
من كبر سنه ، ووفرة تجربة ومرانه على فن الحكم ما يؤهله لوراثة  
ملك العظيم » .

وحذار يا مولاى من الإيهات لتركان خاتون ، فإنها تزيد أن  
تغريك بجهالها وفتنها وأن تحملك على جعل ولاية العهد لطفلها منك  
وتبعد ولدك بركيارق عن عرشك ، فاجعل العهد له ، واعقلها  
يا مولاى وتوكل .

(سياسة نامه ٤٣)



## ٧

## لص في بيت درويش

سطا لص على بيت درويش بالليل ، وأخذ يفتش لعله يجد شيئاً  
يسرقه ، وكان الدرويش مستيقظاً واللص ينقب فصاح به :  
إني في ضوء النهار لا أجد في هذا البيت شيئاً فإذا تربى أن تجد  
في ظلمة الليل البهيم ؟

(كمان)



اجتمع سليمان بن عبد الملك من أسباب الملك مالم يكن لأحد من آبائه ، وقد جلس يوماً ومن حوله حاشيته وكأن بنفسه أن يقول: إن الله وله من الملك ما وله سليمان الحكيم، إلا أنه لا تذعن له الطير ولا تطيعه الجن . وبينما هو يفكّر في هذا إذ بادره أحد خاصته بقوله : إن الخليفة مع ما أتيح له من عظمة الملك وأبهة السلطان ينقصه شيء واحد هو زينة البلاط عند التلوك السابعين . قال سليمان : أفصح ، قال الرجل : ينقضك يا مولاي وزير من أبناء الوزراء الأقدمين تزدان به كلّكتك وتستعين به في إدارتها .

**قال الخليفة : ولكن أين أجد هذا الوزير ؟**

قال المتحدث : إنه يليخ واسمها جعفر بن برمك (الجده) وهو من نسل البرامكة الذين وزروا للساسانيين منذ أيام أردشير بن بايك وقد زالت عنهم الوزارة حين ذهب ملك آل ساسان ، وهم يتراوّهون — منذ الفتح العربي للبلادم — القرامة على بيت ناد التوبهار ، كا

يتوارثون كتبًا في أصول الحكم وواجبات الوزير ، وضعها الآباء  
وزاد فيها الآباء ما جد من تجاربهم . ولست أرى من هو أجدر من  
جعفر هذا بوزارتك ، والرأى لمولاي .

وراقت الفكرة لسليمان فأسر والي بلخ أن ينادي جعفر بن  
برمك وأن يعطيه مائة ألف دينار ثم يوجه إلى دمشق . وتعوّل  
البرمكي في رحلته الطويلة أحسن الاستقبال ، فقد شاع أنه ذا هب  
ليقلد الوزارة . وأمر الخليفة باستقباله استقبالاً رسميًّا في البلاط  
فاجتمع الأمراء ورؤساء القبائل وذوو الرأى لمقابلته ، فلما بلغ  
جعفر القصر فتحت له الأبواب ، ولم يكيد يدخل قاعة العرش حتى  
ونف الحاضرون تحية وإجلالاً .

ولكن الخليفة تجهّم ، وأمر بطرده شر طردة ، وقد استشاط  
غضبًا وقال : خنوه قلوه . وساقه الحرس خارج المقاعة ، وظل  
الخليفة عابسًا . وأما الحاضرون فكان على رؤوسهم الطير ، إلى أن  
حان وقت الشراب ، ولعبت الكشرس بالرموص ، وفتحت  
أسارير سليمان ، وأمن الحاضرون غضبه .

قال أحدهم : بعثت يا مولاي في طلب جعفر ، وأحبطته في  
رحلته بعطفك ورعايتك ، وجلست تنتظر حضوره ، وهو شرف  
لم تتحله أحداً من قبل ، ثم طردته من مجلسك وأنت غاضب عليه  
فهل لا شرحت لنا الحكمة في ذلك يا مولاي ؟

قال الخليفة : إنه دخل بلاطنا وفي يده السم ، ولو لا أنه من أبناء الوزراء السابقين ، وقد أمرنا يا حضاره من بلد تحيى ، لأمرنا بقتله صبراً <sup>(١)</sup>

قال صاحبنا : إذا أذن مولاي سرت إليه لاستبين الأمر فإذا أرى فيه سراً ، فأذن الخليفة له .

وأجاب جعفر سائله بأنه يحمل السم في خانمه ولكن سم لا يضر حشرة حقيقة في الأرض وهو لا يفتك في إيماء مخلوق به ، وقال إنه ورث الخاتم وما يحتويه عن آبائه الوزراء الذين حملوه لازدراد ما فيه من السم إذا انتهى الحال ذلك ، فكثيراً ما كان الملك يغضبون عليهم فيصادرون أموالهم ، ويعرضون للبرار أرواحهم ، قال : وحين نادى الخليفة خشيت أن يطلب إلى ما لا تقبل لي به ، وخفت أن يأمر بتعذيب عذاباً لا قدرة لي على احتماله ، فلبست الخاتم لأسرع إلى موت بابتلاع سمه قبل العذاب الأليم .

وعلم الخليفة سر حمل جعفر السم في خانمه ، فراقت له الفكرة ورضي عنه ، وأمر بأن يرسل إليه حسان من خيوله المطهمة وبأن

---

(١) لم يرد اسم البرامكة أيام الساسين فيما نعلم من مصادر تاريخهم ، والمعروف أن جعفر البرمكي (الجد) وقد على عبد الملك كظيب للأمير مسلمة (٨٦ - ٧٠٥) . وسموا البرامكة من قبل برمك بن بمعنى المس أو من السم . اظر مادة برمك في : (فرمتك الجمن آرای ناصری) .

يحضر راكباً إلى البلاط .. واستقبله أجمل استقبال، ثم أمر بإعداد غرفة الشراب فزينة بالذهب والفضة وفرشت بالبسط المنسوجة من الذهب الحالص ، وبدت القاعة في أبهى حلة ظهرت بها .

ثم انتقل الخليفة ووزيره الجديد والخاشية إليها وأخذوا في الشراب .

ولما اطمأن جعفر إلى الخليفة سأله : كيف عرفت يامولاي أنني أحمل السم مع أن أحداً لم يفطن لذلك ؟

قال الخليفة : إن معي سواراً هو أثمن كنزى جميعاً، لا أنفصل عنه، ولا هو ينفك عنى، وهو عشر صدفات تشبه الجزع (نوع من الصدف) وليس منه، وجدته في خزانة أحد الملوك فإذا أدخل في غرقى طعام أو شراب مسموم أو دخل من يحمل سماً، انطربت الصدفات وفقدت هدوءها، وبفضل هذا السوار عرفت أنك تحمل السم، وقد كان يزداد اضطراب صدفاته كلما تقدمت من ، ثم نزع الخليفة السوار من يده وأراه جعفر ، وسأله إذا كان قد رأى في حياته شيئاً أعجب بما يرى .

قال البرمكي : نعم يامولاي ، ما رأيت مع حاكم طبرستان .

\* \* \*

عربت على آمد وأنا في الطريق إلى دمشق عملاً بأمر مولاي

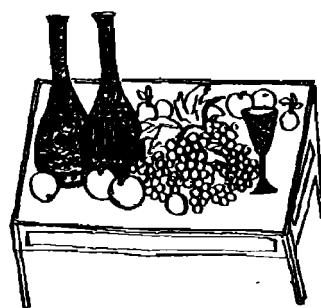
فاستقبلني حاكمها وأنزلني ضيفاً عليه وأحاطني بالرعاية والعناية ، وقد سأله إذا كنت أرغب في رحلة بحرية ترويحاً عن النفس من مشقة الطريق فرافقته وركبنا السفن ومعنا أهل الموسيقى والغناء ، ومن حوانا السقاة يديرون كثرس الشراب ، والجو صحو جميل ، وكنا في سفينته واحدة وهو قريب من ، فرأيت في إصبعه خاتماً لم أر أجمل من ذلك الذي يزدان به ، فقدت فيه طويلاً ، فلما لاحظ ذلك انزعه من إصبعه وقدمه هدية لي ، وخشيت أن تكون إطالة نظرى فيه قد أخرجته ، فرددته شاكراً معتذراً ، فألح فالمحبت في الاعتذار عن القبيل ، فقال : إن ما يخرج من يدى هدية لا يعود إليها ، فاكتنت اعتذاري فأخذ الخام من يدى وألقاه في الماء فصحت آسفةً وقلت : لو عرفت أنك ملكيه في البحر لأخذه .

قال : إياك حين أطلت النظر فيه علمت أنه راق في نظرك أكثر عما يروق لي . وما أنت ذا تخزن لقراره في قاع البحر ، ولكن واجد الوسيلة لإخراجه ورده إليك . أمر خادمه بأن يعود إلى البر وأن يذهب إلى التصر ويطلب من الخازن أن يعطيه الصندوق الفضي الذي في الخزانة ، وأمر ربان السفينة التي كنا بها بالتمهل . وعاد الخادم يحمل صندوقاً فضياً صغيراً ، فتناوله الخام وأخرج من منطقته مفتاحاً ففتح به الصندوق وأخرج منه سمكة من الذهب الخامص ، وألقاها في الماء ، وبعد لحظة عادت السمكة وفي فها الخام

المفقود .. ثم نزع جعفر الخاتم من إصبعه وأرأه للخطيفة ، فأعجب  
هذا به وردها إليه وقال : إن ذكرى كرم هذا الوالي لا يجوز أن تضيع.

ولبث شأن البرامكة في الارتفاع حتى قلب لهم الدهر ظهر المجن  
فزالت دولتهم . وماقصدت بهذا الحديث أن أعرض على مولاي  
من شهير من قصصهم بما يعرف وإنماقصدت ذكر القواعد الالازمة  
لاختيار الوزير الكفء الذي يعلم واجبه نحو الدولة . وما التقصص  
إلا ليسهل على مولاي القراءة ، وفتوك الله وأرشدك إلى ما فيه  
صلاح الدولة والدين .

( سياسة ثانية ٤٢ )



## ٩ النصح الأشيم

سمعت أن ملكاً أمر بقتل أسير ، فأخذ هذا يشتم الملك ، فإنه وقد ينس من حياته لم يقم وزناً لقدر أحد ، وإذا ينس الإنسان طال لسانه .

وكان الملك يحمل لغة الأسير ، فسأل ماذا يتول : قتال وزير طيب إنه يقول : «والكافرين الغيظ والمافيون عن الناس» فأشفق الملك عليه وعفا عنه .

وكان في الحضرة وزير خبيث فقال : لا يليق بنا نحن الوزراء أن نكذب على الملك : إن الأسير يشتم الملك ويطيل لسانه في سبه . فتجهم وجه الملك وقال لهذا الوزير الخبيث : إن كذب صاحبك أحب إلىّ من صدقك ، فقد قصد الخير وقصدت الشر ، ولم يعدل الملك عن عفوه .

( كلستان )



## ١٠ **مُعْتَصِمُ وَخَيَاطُ الْمُلُوك**

حدثك يا مولاي عما ينبعى على السلطان من رقابة وزرائه  
وولاته ، واليوم أسعد بالتحدث إليك عن موقفك من الماليك  
الأتراك الذين كثروا في الدولة منذ أيام الخليفة المعتصم . فقد كان  
هذا الخليفة يجههم ويؤثرهم على سائر مواليه ، واتسع نفوذهم حتى  
لقي الناس منهم كثيراً من النظم والآلام ، وقد ازداد عددهم في عهدك  
السعيد يا مولاي ، ولا عجب فإن انضمام القبائل التركية للدولة  
السلجوقية وارقة الظلال كان أمراً لا بد منه ، والماليك الترك  
هم خير من يدافع عن حدود البلاد ، وخير من يفتح ويعزو ،  
وبفضلهم تسع الدولة وبكثر عدد المسلمين فيعز الإسلام ، وقد  
أشرت على مولاي باتابع سياسة والده العظيم «ألب أرسلان»  
في استغلال قوتهم وحجمهم للنظام وميلهم إلى الحرب والفروسيّة  
وتعصيم الشديد للدين الحنيف ، فتكون الحدود لهم مستقرة  
ليحموها ويدفعوا أعداءنا عنها ، وليسهل قيامهم منها للغزو والجهاد  
في سبيل الله .

وعلى الملك الصالح أن يراقبهم أدق المراقبة ، وأن يسأل عن سلوكهم ، وألا يتوازن في توقيع أشد العقوبات على من يعتدى منهم على الناس . فإنهم طغاة في الحرب ، بغاة في السلم ، لا يقف في سبيل شهوتهم قازرون أو سلطان . فإذا وجدوا الملك يقتذل في محاسبتهم خافوا بأسه وشدة مراسته وخضروا لما يفرض عليهم من نظم .

هكذا كانت سيرة المعتصم منهم ، فإنه بقدر تدليله لهم والإسراف في متعهم وتمييزهم على بقية مرالله ، لم يكن بتوازن عن الضرب على أيديهم إذا ما ابتدروا أحداً باعتداءه . ولعلك سمعت عن ملوك بغداد وما جرى منه وكيف عاقبه الخليفة المعتصم .

\*\*\*

فقد حدث أن أميراً تركياً من الملوك - وكثيراً ما كان المعتصم يرفع عيده إلى هذه المرتبة - طلب من نائبه أن يدلله على تاجر يقرضه خمسة دينار على أن يردها إليه حين « يفرجها الكريم » . ويأتي ربع الإقطاع . قال الوكيل : إنني أعرف تاجراً متوسط الحال لديه المبلغ الذي تريده . فإذا ماداه الأمير وأجلسه في مكان الشرف من مجلسه ، وطلب منه أن يقرضه هذا المال فإنه لا يتأخر . فبعث الأمير رسوله للتاجر وتقابل معه في قصره مقابلة ودية ، وقد أخذ الأمير في الناء على التاجر ووصنه بالأمانة والتقوى وحسن السمعة ، وقال : إنه لئته به يفك في أن يشركه

في مشروعاته انتالية ، وطلب إليه أن يعتبر قصره بيته له وأن يعامله كما يعامل الأخ أخاه . وجاء وقت الغداء فأجلسه الأمير على يمينه وأخذ يختار له ما طاب من كل صنف ، وبلغ عليه أن يأكل وأحاطه بكل إجلال وعجمة .

وأتهى الغداء ، وانصرفت حاشية الأمير ، فبقي مع التاجر على افراد خدمته عن سبب استدعائه ، وأخبره أنه يعرف أثرياء بغداد جيماً ، وأنهم يجرونه ويرغبون في أن يشركهم في أعماله ، قال : « وأنا أستطيع أن أقرض منهم عشرة آلاف دينار ، إلا أنني آثرتك فأقرضك ألف دينار ، وأنا أردها إليك بعد خمسة أشهر ، ومعها كسوة كاملة » . فلم يستطع التاجر أن يرفض ، ولو أنه اعتذر عن عدم وجود المبلغ كله ، إلا أنه يستطيع دفع ستة دينار ادخرها مع الزمن الطويل المزبور . فقبل الأمير هذا القدر وأعطاه إصلاحاً وتعهدآً بردء مع الكسوة ، ثم انصرف التاجر .

ومضت الأشهر الخمسة ، وكثير تردد التاجر على الأمير ، فلم يجد هذا أية إشارة على تذكره الدين الذي افترض ... . وينس التاجر من التلبيح فكتب التماساً وقدمه للأمير فأجابه بأنه متذكر ، وأنه أمر فرايه بدفعه ... . وانتظر صاحبنا على غير جلوسي ... . وجلأ إلى الوسطاء من أصدقاء الأمير فذهبت جهوده وجهودهم عيناً ... ففرع إلى القضاء ، وبذل القاضي كل ما يملك من وسيلة ، ولكنك

فشل في أن يرد للتاجر درهماً من دينه . . . فيئس الرجل وأسلم أمره لله .

وذهب إلى الجامع يصلّى ويُثبّت ربه شفاعة ، ورفع يديه للسماء  
ودعى ربّه أن يظلّه بمحاباته وأن يرد إليه حقوقه . . . وسمعه دروיש  
بابه فسألّه عن أمره فقصّ عليه قصته .

قال الدرويش : هدى من روحك يا صاحبى ولا تيأس فإن  
الحق في هذا العهد لا يضيع ، اذهب إلى « حى الجامع » ، وادخل  
الدكان الصغير المجاور للباب ، تجد خياطاً متراضعًا ، فاستأذن وقص  
عليه قصتك ، يحضر إليك مالك من الأمير .

فذهب التاجر ، ولقي الخياط وقص عليه قضيته ، فأمر هذا  
أحد الصبيان أن يترك الإبرة وأن يذهب إلى قصر الأمير ويخبره  
أن الخياط يطلب إليه أن يرد مال التاجر الذي استدنه فقد انقضى  
أجله . وبقى التاجر متوجهاً بما يرى ويسمع ، وعاد صبي الخياط  
فأخبره أن الأمير حاضر ليرد للتاجر ماله وليعتذر إليه عن تأخير  
السداد . وبعد لحظات جاء الأمير فنزل عن حصانه وقبلَ يد  
الخياط ، وحيا التاجر وأعطاه ما عليه من دين معترضاً ، وانصرف .  
لم يدر بخلد التاجر أنه سيصل إلى حقه ، ولم يلْجأ إلى الخياط  
إلا اتسيلية ومحاولة يأس . فلما رأى مارأى ، عرض عليه أن يأخذ

مائة دينار ، فنظر إليه الخياط مزاحزاً وربت على كتفه معذراً ...  
فعاد التاجر يلح وأعاد الخياط الاعتذار والرفض ... وذهب التاجر  
إلى بيته يتفكير فيمن يكون هذا الخياط ، وما شأنه ؟ وفي اليوم  
الثالي أحضر حلا مشوياً ، وأصنافاً من الحلوى وسار إلى الخياط ،  
ورجاه أن يأكل مما أعد له ، فطيب هذا خاطره ، وتناول بعض  
الطعام ثم أعطى باقيه للصيام . . .

\* \* \*



ثم سأل التاجر الخياط عن قوته وسر سلطانه على الأمير مع  
عجز القاضي عن تحقيق العدالة حاله ، فسكت الخياط قليلا ثم قال  
إن لهذا تصلة سأنصها عليك ، قال :

\* \* \*

كان يعداد أمير تركي ذو سطوة وجبروت ، ولم يكن أحد  
يمحرو على مراجعته أو نقد أعماله ، وكان الحكام يخشون بأسه  
فلا ينصنون لشاك منه . فطغى الترك وبغي وتكبر .. وحدث أن  
كنت في الدكان ذات يوم ، وإذا بالأمير يمحر سيدة من شعرها ،  
والسيدة تصرخ ، وكلما رأت جماعة منا في السوق رفت صوتها  
بأنها سيدة شريفة وزوجة ذات عفاف ، وأن الأمير يخطفها لأمر  
في نفسه ، وأن زوجها يطلقها إذا عرف أن الأمير اغتصبها غصبًا .  
وعلا صرخ المرأة ، وأتباع الأمير من حرله يبعثون الرعب في  
قلوب الناس ، فلم يمحرو أحد منا على تخليصها من يدي هذا الوحش  
النادر .. فسرنا ورأمه حتى إذا دخل القصر ، بعثنا إليه بأنما نريد

مقابلته ملتمسين تسرّع هذه السيدة ، فرداً بخشونة وأمر جنده بطردنا وضربنا فانصرفنا أو قل ولينا منهم فراراً .

ذهبت إلى بيتي فلم أستطع النوم ، وكان من عادق أن أؤذن الفجر في الجامع المجاور لي ، وأنا تعلم أن السكران إذا اشتت عليه وطأة السكر غلبه النوم ، فإذا أفاق لم يدر في أي ساعة يكون بحال بخاطري أن أصعد المئذنة وأنادي لصلاة الفجر ، قبل ميعاده عسى أن يحسب الأمير أن الفجر لاح ، فيترك للسيدة حريتها فتعود إلى ييتها .. فضحت على المئذنة ورفعت صوتي مؤذنا ، في غير وقت الأذان ..

كان الخليفة المعتصم مستيقظاً وقتذاك ، فلما سمع الأذان في غير الأوان غضب ، فنادى حاجبه فأمره أن يحضر هذا المؤذن الجرىء الذي يبعث بالدين وبيت الله .. خمام الحاجب وساقني غاضباً إلى الخليفة الذي لم يكدر يراني حتى نهرني مستكراً ما أتيت من وزر ثقيل .. قلت فليهداً مولاي وليس معنى قضي ؟ فلما سمع القصة ووقف على قصدي من الأذان في غير الأوان ، هدأت نفسه وشكري وقرني منه .. ثم أمر الحراس أن يذهبوا إلى قصر الأمير ، وأن يحضروه مبكلاً ، وأن ينحرجوها السيدة وينذهبوا بها إلى يتها وأن يعتذروا الزوجها عن اعتداء الأمير ، وأن يبلغوه أن الخليفة مقتض منه قصاصاً عادلاً ..

وجاء الأمير فلم يستطع أن يدحض ماروى عنه ، فأمر الخليفة  
بأن يوضع في كيس وأن يضرب بالعصى ، فظلوا يضربونه حتى  
دق عظامه وصارت هشيمًا ... ثم ألقوه في دجلة . وأمر الخليفة  
يإذاعة قصته بين الناس ليعلموا أن الأمراء الترك الماليك ، مهبا  
بلغوا من القوة والباس ، فإن الخليفة حامي المسلمين والقائم على  
تنفيذ شريعة الله قادر على أن يخضعم ويذيقهم من العذاب بما يأتون .

وأما أنا فقد علت مكانى عند الخليفة ، وحمد لى شجاعى فى الحق  
ولإيمانى بالله ، وطلب إلى أذن أوذن كلما رأيت ظلماً لم أستطع له دفعاً .  
ولذا أذعن - يا صاحبى - للأمير الذى أخذ نقودك ، عندما طلبت منه  
أن يرد دينك إليك ، ولو لا ذلك لاذنت ولدفع الثمن غالياً من حياته .

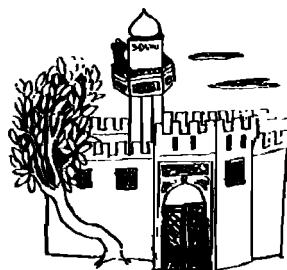
\* \* \*

هكذا يامولاي ينبغي أن يكون سلوك الملك من ماليكه ، وإذا  
كان هذا سلوك المعتصم الذى سبقتك بأكثرب من قرنين ، حين كان  
الأتراء قلة وكان وجودهم بوصفهم موالي للخليفة ، فما بالك وأنت  
اليوم فى دولة تقام على الأتراء من القبائل التى انضمت إلى أسرتك  
الرفيقة ..

إن على الملك الصالح ألا يفرق بين أمير وصغرى فى مملكته ،  
فكلهم رعاياه ، وكلهم يشارك فى عظمة الدولة ، وقد يكون نصيب

الصغير في مجدها أعظم من نصيب الأمير .. فلا تدعن أحداً منهم  
يعلو في الأرض ، ولا تصرن على ضيم أصاب أحد رعاياك ...  
واضرب على يد من يستكبر على أخيه ، إذا لعب برأسه جاه المنصب  
أو ماطلعت عليه من نعم ... فإن الواحد القهار أقامك فيما ناصر  
بالمعرف وتهى عن المنكر ، وأما كيف يكون ذلك فحسبك من  
سيرة المعتصم مرشدًا ودليلًا .

« سياسة نامه » .



رأى السلامة حين صار الأمر كله إليهم في الشرق الإسلامي أن يقسموه إلى إقطاعات ، وأن يولى رؤساء القبائل التركية إدارته ، على أن يعمل هؤلاء الرؤساء على تعمير إقطاعاتهم وجيابية الأموال المستحقة عليها ، وليس لهم أن يأخذوا من الناس غير الضرائب المفروضة ، وعليهم جبايتها بالحسنى ، وإذا دفع الحرات ما عليه من الضريبة فلن حقه أن يكون آمناً على نفسه وأمواله وعياله .

ولكى يتوفى الناس الضمان فى أن السلطان يرعاهم ، إذا مسهم من أصحاب الإقطاع ضر ، وجب ألا يتحول أحدهم دون دخول الأفراد القصر لرفع مظلمة أو إثبات حالة . وإذا خالف أحد أصحاب الإقطاعات ذلك نزع منه إقطاعه ، وناله عقاب شديد ، ليكون مثلاً لغيره وعظة للآخرين . وعلى الناس أن يعلموا أن الإقطاعات وساكنيها ملك السلطان ، وأن أصحاب الإقطاعات والحكام حراس عليها من قبله .

وأنا أحدثك يا مولاي عن أنوشروان وسيرته في الرعية ويقطنه في حاليها من جور العمال . فقد ولـى أنوشروان العرش شاباً

في الثامنة عشرة من عمره ، وكان أبوه قباد متساهلاً مع الحكام ، منغمساً في اللهو ، حتى فشلت في أيامه آراء مزدك التي ثبتت في إيران الأوضاع فأفسنتها كما قدمت يا مولاي .

وكان أنوشروان عادلاً بطبعه منذ صباه ، يحق الحق ويدحض الباطل ، فليا خلف والده ، وخلص له العرش ، جمع حكام الأقاليم والأشراف ونصحهم بالرفق بالرعية ، وإقامة العدل بين الناس ، يعزل من يخرج على نصيحة ، ويقتل من يعتدى على أحد رعاياه .. وانصرف الحكم إلى ولاياتهم ، فساروا سيرتهم الأولى ، يظلمون الناس ، ولا يعانون بتصح الملك ، واستمر الحال على هذا المنوال خمس سنين ، وأنوشروان يعلم ما يرتكبون من أساليب الجور وفتن الظلم ، ولكنه اتبع الصبر والمداراة .

وكان أقرى هؤلاء الحكام وأكثرهم ثراء وجاهًا قائد ولاية آذربيجان ، وقد أراد هذا ، أن ينشئ لنفسه حدائق ومنازلاً صغيرةً في ضواحي البلد الذي يقيم به ، وكان جزءً من الجهة التي اختارها ملوكًا لجوز قفيرة .

كانت الجوز قانعة بما تملك ، فقد كان كافياً لأن تدفع من غلته الضريبة التي يتقاضاها الملك وأجر الحراث الذي يعمل في المزرعة ، وينتicip بعد ذلك ما يكفل لها أربعة أرغفة كل يوم ، فكانت تعطى رغيفاً لباني اللبن والخضروات مقابل ما تأخذه

منهما ، ورغيفاً للبقال ظير ما تأخذ من الزيت لتضيء سراجها ، ورغيفاً تأكله في خداتها ورغيفاً في عشائتها . أما ملابسها فكانت تأتيها صدقة من جيرانها ، وكانت تؤثر الوحدة ، فهي حبيسة كونها لا تخرج منه إلا حاجة ماسة ، ولا تكلم أحداً إلا كارهة ، ولكنها مع هذا الفقر كانت قريرة العين ، شاكرة لربها جزيل نعمه عليها .

وأراد الحكم أن يأخذ مزرعتها الصغيرة والكون الذي تسكنه ، فأرسل إليها من يبلغها رغبته وأنه يسره شراء كونها والمزرعة ، فأجابـتـ بأنـهـ يـسـرـهـ أـكـثـرـ أـنـ تـحـفـظـ بـهـماـ ، لأنـهاـ لاـ تـمـلـكـ منـ حـطـامـ الدـنـيـاـ غـيـرـهـماـ ، ولـأنـهاـ تـأـكـلـ مـنـ المـزـرـعـةـ وـمـنـ ذـاـ الذـىـ يـبـيعـ موـرـدـ رـزـقـهـ ؟

قال رسول الحكم : إنـاـ سـتـدـفـعـ لـكـ ثـمـنـ ماـ تـأـخـذـ وإنـ شـتـتـ نـعـطـيـكـ مـزـرـعـةـ بدـلاـ مـنـ مـزـرـعـتكـ ؛ فـاعـتـدـتـ العـجـوزـ بـأـنـهاـ وـرـثـتـ مـزـرـعـةـ عنـ وـالـدـيـهاـ ، وـأـنـ مـاـ الرـىـ قـرـيبـ مـنـهـ ، وـأـنـهاـ سـعـيـدةـ بـجـيـرـانـهـ لـأـنـهـ يـحـتـرـمـونـ بـوـسـهـاـ ، وـهـذـهـ كـلـاـهـ مـيـزـاتـ لـاـ تـوـافـرـ فـيـ مـزـرـعـةـ أـخـرىـ ، وـنـاشـدـ رسـلـ الحـكـمـ أـنـ يـتـرـكـواـ مـزـرـعـهـاـ .

وـعـلـمـ الحـكـمـ أـنـهـ رـفـضـتـ أـنـ تـعـطـيـهـ مـزـرـعـةـ وـالـكـونـ ، فـلـمـ يـتوـانـ فـيـ اـسـتـغـلـالـ قـوـهـ ، فـأـخـذـ مـزـرـعـةـ عـنـهـ وـهـذـهـ الـكـونـ وـأـقـامـ السـورـ حـولـ الـحـدـيـقـةـ الـغـنـاءـ الـتـيـ غـرـسـهـاـ !

أما العجوز فقد أبصرت نفسها ولا يبيت يتوهيا ولا منزعة  
تأكل منها ، وألفت الحاكم قد غضب عليها ، فلم يبق لها حام  
ولا راع ، فراح تتوسل إليه أن يعطيها ثمن ما غصب أو بدلا  
ما أخذ ، وكلما خرج إلى الصيد انتظرته في الطريق ورفعت بالشکوى  
والتوسل صوتها ، فكان في آذانه وقرأ فهو أصم لا يسمع ، والتست  
من ضباطه أن يبلغوه شکواها . قالوا : إننا فاعلون ، سخرية منها .

ومضى عامان والعجوز في قفر مدقع ، تأكل من فتات الناس  
وتعيش على عطفهم ، وكل لحظة تستكى إلى الله ، حتى كادت تيأس  
من رحمة ... إلى أن مر بخاطرها ذات يوم أن في « المدائن »  
ملكآ هو ملك الملوك ، وهو فوق حاكم آذريجان ، وهو قادر  
على أن يرد لها مزرعتها أو ثمنها أو مزرعة أخرى بدلا منها ،  
ولكن كيف تسمعه شکواها ؟

فعزمت على السير إلى المدائن ، ولم تطلع أحداً على عزمها ،  
ثم مشت قدمآ ، يضئيها بعد الشقة ، وتشد أزرها الأمل ، حتى بلغت  
المدائن وأشرفت على قصر الملك . ولكن كيف السبيل إلى دخول  
هذا القصر ومقابلة سيده ، ومن قبل كانت عاجزة عن دخول قصر  
حاكم آذريجان الذي هو خادم للملك ؟

ورأت أن من الخير أن تلجم إلى مكان قريب من القصر ، وأن

تَسْأَلُ عَنْ مَوْعِدٍ خَرْجَ الْمَلَكِ لِلصَّيْدِ ، وَأَنْ تَقْدُمَ إِلَيْهِ بِقَضِيَّتِهَا  
حِينَ تَقَابِلُهُ وَجْهًا لِوْجَهٍ .

وَيَشَاءُ الْقَدْرُ أَنْ يُخْرِجَ الْمَلَكَ إِلَى الصَّيْدِ وَفِي حَاشِيَّتِهِ حُكَّامُ  
الْوَلَايَاتِ جَمِيعًا ؛ فَذَهَبَتِ الْعَجُوزُ وَأَخْبَاتُ وَرَاءَ شَجَرَةَ ، وَحِينَ  
بَلَغَ أَنُوْشَرَوانَ مَكَانَهُ ، بَادَرَتْهُ — وَلَا يَنْزَلُ عَنْ حَصَانِهِ — قَاتِلَةً :  
إِذَا كُنْتَ مَلَكَ الدُّنْيَا فَارْحَمْ الَّتِي جَاءَتْكَ تَشْكُوكَ ظُلْمًا وَالْيُكَ ! فَأَدْرَكَ  
أَنُوْشَرَوانَ أَنْ أَمْرًا ذَا بَالَ حَلَّهَا عَلَى أَنْ تَلْجُأَ إِلَيْهِ وَأَنْ تَسْلُكَ هَذَا  
السَّبِيلَ الصَّعِبَ لِمَقْبِلَتِهِ ، فَاقْتَرَبَ مِنْهَا ، وَهَذَا رَوْعَهَا ثُمَّ اسْتَمَعَ  
إِلَيْهَا . . . وَاغْرَوْرَقَتِ بِالسَّمْعِ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ : خَفْقَ عَنْ نَفْسِكِ  
يَا أَمَاهُ فَإِنْ قَضَيْتَكِ بِالْأَمْسِ هِيَ قَضِيَّةُ الْمَلَكِ مِنْذِ الْيَوْمِ . . .

ثُمَّ أَمْرَ أَحَدَ حَجَابِهِ أَنْ يَعْنِي بِأَمْرِ الْعَجُوزِ الْبَائِسَةِ وَأَنْ يَحْمِلْهَا  
عَلَى حَصَانِهِ إِلَى رَئِيسِ الْقَرْيَةِ لِتَقْيِيمِ فِي بَيْتِهِ ، حَتَّى تَسْتَرِيحَ ، وَأَمْرَ  
بِأَنْ تَعْطِي كُلَّ يَوْمٍ عَشَرَةَ أَمْنَانَ مِنَ الْخِبَرِ وَمِنَ الْحُمْ ، وَخَسْنَ  
قَطْعَ مِنَ النَّذْهَبِ كُلَّ شَهْرٍ . . .

وَعَادَ الْمَلَكُ مِنَ الصَّيْدِ وَهُوَ يَفْكُرُ فِي شَكُوكِ الْعَجُوزِ وَكَيْفَ  
يَحْقِقُهَا .

اخْتَارَ أَنُوْشَرَوانَ غَلَامًا ذِيَّا مِنْ خَدْمَهِ وَكَفَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى  
آذْرِيْجَانَ وَأَنْ يَسْأَلَ عَنْ قَصَّةِ الْعَجُوزِ . . . وَأَظْهَرَ أَمَامَ الْحُكَّامِ

— ومنهم حاكم آذريجان — أنه أوفد الغلام ليطلعه على حال المدن والقرى ومقدار ما ينتظر من غلات . . .

وجاء الغلام فأخبر ملكه أن العجوز الشاكية سيدة من أسرة نبيلة ، كانت تعيش مع زوجها وبنها ، ولكنهم ماتوا جميعاً وتركوها وحيدة . . . وأناخ عليها الدهر فستها الفاقة ولم يبق لها إلا المزرعة التي كانت تأكل منها ، والكوخ الذي تأوى إليه .

وقضى أنوشروان نهاره وليله يفكّر في العقوبة التي ينزلها بهذا الحاكم الظالم ، وفي اليوم التالي أمر حاجبه بأن يطلب إلى والي آذريجان أن ينتظر حتى يناديه الملك ، وأن يدع بقية الأشراف يدخلون القاعة حيث جلس المواجهة .

ودخل الملك القاعة فقام الجميع إجلالاً ، وحين جلس وأشار إليهم بالجلوس فجلسوا ، ثم قال : أريد أن أسألكم أسئلة وأن تجيبوني عليها بضمائركم ، فقالوا : سمعاً وطاعة . قال : كم يملك حاكم آذريجان من النقود ؟ قالوا : ألف ألف مرتين من الدنانير فوق حاجته . وكم له من الآنية والأدوات ؟ له منها ما يساوى خمساته ألف دينار ، وهي من الذهب والفضة . وكم له من الصنائع والعقار ؟ ليس في خراسان والعراق وفارس وآذريجان مدينة أو ناحية إلا وله فيها القصور والأربطة وغيرهما مما يستغل .

وكم له من الخيل والبغال ؟ ثلاثة ألفاً .

وكم له من الغنم ؟ مائتا ألف .

وكم له من الجمال ؟ ثلاثة ألفاً .

وكم له من العبيد ؟ له ألف وسبعين غلام منهم الترك والرومى  
والخشى ، وله أربعينات جارية .

قال الملك : الرجل الذى عنده هذه الثروة والنوى تجدون على  
مائته كل يوم عشرين صنفاً من الطعام ، عدا الخراف والحلوى ،  
بماذا يعاقب إذا اغتصب رغيفين من الخبز القفار ، هما قوت عجوز  
ضعيفة من عباد الله الصالحة ؟

فأجابوا جميعاً : إنه يستوجب أشد عقوبة .

فأمر أتو شروان بسلخ حاكم آذربيجان ، وياعطاه لمه للكلاب  
وبخشوا جلده بالتبن . وأن يعلق على باب القصر . ثم أمر بأن ينادى  
المندون سبعة أيام بأن من يسلب غيره مالاً مهما كان تافهاً ، يلق  
مالق هذا الحاكم الطاغية من عقاب ..

\* \* \*

والتفت أتو شروان إلى الحكم والأشراف وقال : لا حين المخل  
من الذئب ، ولا قطعن الأيدي التي تطاول معدية ، ولا قضين على

المفسدين في الأرض ، ولأغمي نا بالعدل والأمن ، فن أجل هذا  
وليت العرش ، ولو كان للقوى أن يفعل بالضعف ما يشاء ما أمند  
الله الملوك بتأييد من عنده ليقيموا العدل بين الناس .

ثم أمر بأن تعطى العجوز القصر الذي بناه الحكم في مزرعتها  
وما يتبعه من بساتين وأن تمنح الركائب والنفقات الازمة لعودتها  
سلامة إلى بلدها ، ثم ودعها وسألها أن تدعوه له في صلاتها . وأمر  
بعد ذلك بفتح باب قصره للمظلومين من شعبه ، وقال : إن الأمراء  
والرعيية جميعاً شعبي ، ولكن أفراد الرعية يدفعون المال والأمراء  
يأخذونه وينبغى أن تفتح أبواب قصرى للمعطين أكثر من فتحها  
للآخرين ..

ولو كانت أبواب القصر مفتوحة أمام المظلومين لما جأت  
العجوز إلى الاختباء وراء الشجرة متطرفة ملاقاة ملكها وهو في  
رحلة يصطاد . ثم أمر الملك بعد سلسلة من باب القصر إلى قاعة  
العرش ، بحيث يستطيع طفل في السابعة من عمره أن يمسكها بيده  
وتنهى هذه السلسلة بناقوس يدق في القاعة ، فإذا أراد مظلم أن  
يسمع الملك شكواه ، فعليه أن يمسك السلسلة ..

\* \* \*

وظل الناس يتمتعون بالأمن ، ولم يتلق الملك أى تظلم ، إلى أن  
كان ذات يوم ، سمع الملك الناقوس فأسر عدين له بأن يذهبها للباب

ويرى من الشاكي . وعاد الرجال فأخبرا أنو شروان أنهما لم يجدَا  
شاكي ولكنها وجدا حمارا ضعيفاً أجرب يحلك جسده بجأط  
القصر فيمس السلسلة فينق المرض . فقال أنو شروان : بل إنه  
مظلوم جاء يشكو ظلم الإنسان له ، اذهبا إلى السوق وانظرا ما كان  
من أمره مع صاحبه .

فلما ذهب الخادمان إلى السوق عرفا أن الحمار كان لنسال  
في السوق ، وأنه ظل يستخدمه في نقل أحمال الملابس عشرين  
عاماً وكان يعلفه ويعتنى به في هذه المدة فلما كبر الحمار وأصبح غير قادر  
على العمل ، ولا فائدة فيه ، سرحة صاحبه . وقد ظل سنة ونصف  
سنة يحيط في الطرقات ، ويأكل كل ما يجود به الخيرون عليه ، ولكنه  
منذ يومين لم يأكل .. فعاد الرجال وأخبار الملك بالقصة ، فأمرها  
ياحضار الغسال ومه أربعة من أرباب العائلات في السوق ،  
فلما جاءوا أمر الملك الغسال ، على مسمع من صحابه ، بأن يعني  
بالحمار ما عاش فإذا قصر في رعايته فإنه يقتضي له .

( سياسة ثامن ٥ )



خرج ملك مع جماعة من خاصته للصيد في فصل الشتاء ، فأوغروا في السير ، وأرخى الليل سوله ، وهم بعيدون عن المدينة ، فرأوا بيت قروى فاقترب الملك أن يذهبوا إليه ، حتى ينجو من البرد .

قال أحد الوزراء :

إنه لا يليق بقدر الملوك أن يلحوظوا إلى بيت قروى صغير ،  
إن استقيم خيامنا هنا ونوقد النيران فنحيت وتتدفأ .  
وسمع القروى بهذا الكلام فجهز ما لديه من طعام وحمله إلى  
السلطان وأدى له التحية ثم قال :

إن قدر السلطان لا ينزل بهذا القصر الضئيل من الطعام ولكنهم  
أرادوا ألا يرفع قدر القروى .

فتأثر الملك بقوله وانتقل إلى بيته فقضى ليه فيه وفي الصباح  
منهه النعم والخلع فقال وهو يسير في ركابه :  
لم يتضاع فدرك بشرييفك بيت القروى يا مولاي .  
بل إن عمامة القروى بلغت الشمس لأنك مددته بظلك .

(كتاب)

قال نظام الملك :

وعلى الملك أن يكون واسع الحيلة ، ذكي الفؤاد ، وألا يقف  
جامداً أمام ما يعرض عليه من أمور ، ومن حق الرعية عليه أن  
يسهر على شؤونها ، وأن يقضى الليل متفكرًا في قضائها ، وأننا  
أقص على مولاي ما عمله أسد الدولة مع قاضي نيسابور ، قال :

كان أسد الدولة من أكثر سلاطين الدياللة حرضاً على إقامة  
العدل بين الناس ورعاية مصالحهم ، وقد حدث أن كتب إليه أحد  
العيون يقول :

مولاي ! لم أكدر أسيير ماتني خطوة لتنفيذ ما أمرت به ، حتى  
قابلت شاباً شاحب اللون ، مغبر الوجه ، مثخناً بالجراح ، فابتدرني  
بالتحية خفته ، وسألته عن حاله فقال : «إنى أتمنى رفيقاً يصاحبني  
إلى بلد فيها ملك عادل وقاض لا يظلم » ، قلت : «أتريد ملكاً أقرب  
إلى العدل من أسد الدولة وقاضياً أوفى عدلاً من قاضي نيسابور ؟» ،  
 فقال : «نعم ، ولو كان أسد الدولة عادلاً ، مهتماً بأمر رعيته ، لاستقام

قاضيه ، ولكنه لم يفعل ، فهو غير عادل .. قلت : حدثني عن أمرك  
لعلك تقصـر بالحديث الطريق فقال :

اعلم أنى ابن فلان التاجر العظيم ، وكان يتسا فى حى كذا ،  
ويعرف أهل نيسابور ما ترک أبي من الثراء . وما خلف من خصم  
وعبيد . وقد ورثت عنه هذه الثروة الطائلة وأنا شاب . فعجشت  
ما شاء شبابى وفتقى أن أعبث ، حتى أصبت بداء عضال يئست من  
البرء منه ، فنذرت للرحمٰ نذرا ، أن أهُب للفقراء جانباً من ثروتى  
وأن أعتق مواليَّ وأن أذهب حاجاً ثم أن أنضم إلى المجاهدين في  
سييل الله ، إذا من ربى على بالشغاف . وشفيت فوفيت بالنذر ،  
فأعتقدت عبيدي نساء ورجالا ، وأعطيتهم من المال ما يكفيهم ،  
وزوجت من أراد الزواج منهم . ثم بعت أملاكى فوهبت جانباً  
للفقراء وبقي لدى خسون ألف دينار . ورأيت أن الخير أن  
أكتفى بثلاثين ألفاً أتفقها في رحلي ، وأن أودع العشرين ألفاً  
الباقية عند رجل أمين ، فاشترت إبريقين من النحاس وضع في  
كل واحد منها عشرة آلاف دينار ذهباً ، ورأيت أن أولى الناس  
في البلد برعاية أمانى هو القاضى ، فذهبت إليه ، وأوقفته على  
قصدى ، واستودعته الإبريقين وسلمت عليه وانصرفت .

أدبت فريضة الحج ، ثم سرت من المجاز إلى حيث الفرق  
التي تحارب الكفار فانضمت إليها ، وذهبنا لحرب الروم فوُقعت

في الأسر ، بعد أن أختفت في المجاهد بالجراح ، ومرض ملك الروم ،  
وخف أن يلقى ربه ظالماً فأفرج عن أسرى المسلمين ، فأخذت  
أتكسب عيشي بشق النفس ، وسرت من بلد إلى بلد حتى بلغت  
نيسابور بعد غيبة عشر سنوات .. وقابلت القاضي فأنكرني ، ولم  
أكن أستطيع أن أجأ إلى أقارب وصحي بعد أن طالت غيبي عنهم ،  
وقد تغير حال ما لقيت من ذل الفقر وقسوة الأيام ؛ فكنت أيدت  
في المسجد وأتواري عن الناس في النهار .. لا أطيل عليك الحديث ،  
ذهبت للقاضي المرة تلو المرة ، فكان يهربني ويطردني ويتهمني  
بالجنون ، فلم أر بدأ من أن أعرض عليه خمسة آلاف دينار مما  
استودعته ، فأبى .. فعرضت عليه إبريقاً بما فيه ، وذكرته بعذاب  
الله يوم القيمة فكان في آذانه وقرأ ، ثم الفت إلى وقال : إذا لم  
ترجع عن التحدث إلى في هذا فإني مخالفك أمام القضاء وسترى أن  
جنة بك .. نفرجت من عنده يائساً ، وأدركت أنه لن يرد إلى  
ذهبي ، وذكرت المثل السائر : إذا فسد اللحم أصلحوه بالملح  
ولكن ما الحيلة إذا الملح فسد ؟

وختم يا مولاى حديثه بقوله : لو أن أسد الدولة كان عادلاً  
لما يئس من تحصيل ذهبي .

\* \* \*

فلا اطلع أسد الدولة على هذا الخطاب أمر ياحضار الشاب

فسمع منه شكره فقصها كما رويت له في الخطاب من قبل ، وحار السلطان في هذه القضية ؛ فإنه كان يخشى معاقبة القاضي قبل التثبت من صحة أقوال الشاب ، وقد عرف القاضي بالقوى وسعة العلم ، فأخذ يفكر في طريقة ثبت بها خيانة قاضيه .

وفي ذلك الوقت كان القاضي سعيداً ، وكان يحدث نفسه بأن الشاب صاحب المال لن يمتد به العمر بعد ما لقى من هوان الفقر وخيبة الأمل ، وقد أخنته الحرب جراحاً وهدمت كيانته .. وأن المال الذي وقع غنيمة في يده لا سبيل إلى استرداده .

ودق باب القاضي فإذا برسول من أسد الدولة يناديه ، فلما ذهب عند السلطان قال هذا له :

أترى لماذا أرسلت في طلبك ؟ إنى يتزامى لى شبح الموت ، ومهم ما يكن فانا أخشي أن يسلط الله على ملكاً ينتزع مني ملكي كما انتزعته أنا من قبل ، أو أن يدركنى الموت الذى لا مفر منه ، وأنا أخشي الأمرين جميعاً ، فلتجعل كلامى إليك سراً لا يطلع عليه معنا غير ربك ذى الجلال ، إن لدى من الأموال ما لا يحصى ، وأريد أن أحفظه عندك ، فإذا كان أن غيت عن العرش لأحد الأمراء ، ووجدت ولدى ونسائى في يوم ذى مسغبة ، فاعطهم المال الذى لديك . ول يكن الله شاهداً على ما بيننا وهو نعم المولى ونعم الوكيل .

ثم أمره السلطان بأن يبني في بيته خزانة كبيرة تسع الصناديق  
التي تحوى اللآلئ والفضة، وأعطاه مائتي دينار ليجهز بها البناء.

وبعد أيام عاد القاضى ليخبر السلطان أنه أعد المكان، فشكوه  
وامتنح همته وشهادته واستقامته، ثم قال : إنني أعددت ألف  
ألف وخمسين ألف دينار، وما يساوى خمسين ألف دينار من  
الأمتعة التي سيشتريها التجار لتحتفظ بثمنها ذهباً، وإنى حاضر  
عندك غداً لأرى المكان الذى أعددته لحفظ المال ورأى  
السلطان منزل القاضى وأعجب بحسن إعداده لمكان النقود، وأمره  
أن يحضر يوم الثلاثاء ليدير نقل الأموال إلى الدار.

\* \* \*

عاد السلطان إلى قصره فأمر خازنه أن يهد مائة وأربعين إبريقاً  
 وأن يملأها ذهباً، وثلاثة أكياس من اللؤلؤ، وكأساً من الذهب  
ملوء الياقوت الأحمر، وآخر ملزه اللعل، وثالثاً ملزه الفيروز،  
وأن توضع هذه أمام الأباريق. وجاء القاضى في الموعد المحدد،  
فأراه أسد الدولة الأموال، وقال : عليك أن تنقلها في منتصف  
الليل في يوم الإثنين من الأسبوع المقبل.

أما القاضى فانصرف إلى بيته مسروراً، يؤمل في الثروة التي  
تكون له عند ما يموت السلطان، أو يخلع، فيتذكر لاولاده

ويستحوذ على أماته التي أودعها لديه بوثيقة من الشرف غير مسطورة ..

وأما السلطان فقد أمر الشاب أن يذهب إلى القاضي ، وأن يطالب بأماته عنده ، وأن يعود إليه ...

\* \* \*

دق باب القاضي فإذا بالشاب المريض يحيى، ويطلب الإبريقين اللذين أودعهما عنده قبل السفر ويهده برفع الأمر للسلطان ... ويوضح القاضي ويرى أن الخير أن تظل نيته خافية على السلطان، فيشتري مائة وأربعين إبريقاً مع كؤوس ملؤها الجواهر يابريقين فإذا أخذ الشاب من يده ويجلسه بمحواره، ويطيب خاطره، ويعتذر له بأنه لم يعرفه في المرات الأولى، ويسلمه الإبريقين بما فيهما ...  
ويعود الشاب إلى السلطان ويخبره أن القاضي أعطاه الإبريقين بما فيهما من ذهب، فيتأكد من صحة اتهام الشاب له.

ويأمر أسد الدولة بإحضار القاضي حافي القدمين ، عاري الرأس ، جفي به ، وقد لُفَ شالًّا عمامته على رقبته ، وسحب منه كاسحب البهائم ...

ويجرد القاضي من أمواله ، ويعرض الشاب من هذه الأموال بقدر ما لقي من ضيق ، ويُطاف بالقاضي في أسواق المدينة، وينادي في الناس أن هذا جراء من أوْتمن خنان.

( سياسة عامه ١٣٥ )

واعلم يا مولاي أن على الملك أن يعرف معرفة تامة ، أحوال بلاده من أقصاها إلى أقصاها ، وهذه بلا شك مهمة شاقة على ملك أتاح الله له ما أتاح لك من الفتح المبين حتى شملت دولتك بلاداً عدداً ، وهذه البلاد الواسعة تحتاج معرفتها إلى فسحة من الوقت ، ووفرة من الذكاء والعناء . . . ألا إن عبء الملك يا مولاي أثقل الأعباء طرأ . والملك ، وإن توفرت له مظاهر الآية والجلال ، فإنه في الحقيقة مثقل الكاهل بما ألقى عليه ربه من مسؤولية الحكم النزيه . . .

وعلى الملك ألا يعتمد على ولاته في المحافظة على الأمن ، بل عليه أن يشاركهم الرأي في ذلك ، وأن يرسم لهم خطتهم التي يتبعونها . ألم ت إلى محمود الغزنوى ، وقد اغروقت بالدعم عيناه ، حين أتته امرأة تشتكي من عصابة كوج وبلوج التي سقطت عليها بفرقتها من أمورها ، وهي نازلة في خان دير كتشكين .

إنه لم يكن يعرف مكان هذا الدير ، فلامته وقالت : لا تفتح من البلاد إلا بقدر ما تستطيع أن تعرف وتدبر ونشر الأمن

كيف يطمع في فتح العالم ملك لا يعرف بلاده ؟  
اغرورقت عينا محمود بالدم حين أذنته المرأة ولم يغضب ، بل  
أنصت إلى كلامها وأعطالها من الذهب بقدر ما سرق منها ، ثم كتب  
إلى واليه في كرمان كي يتعقب المجرمين ويقتلهم أو يأق بهم في  
الأغلال مصفدين .

فأجابه الوالي بأن كوج وبلوج بلاد تفصلها عن كرمان عوامل  
جغرافية تعوق سير الجيش المنظم ، وتيح لأهلها الدفاع عن  
أنفسهم في قوة ، وقد جلب هؤلاء على الشر والإيذاء ، وهو عن  
ردهم عن الغواية عاجز ، فلما علم محمد هذا ، استعان بالحيلة ليقضي  
على الأشرار ، وإيقام الأمن والسلام في دولته .

كتب محمود إلى واليه في كرمان أن يذهب إلى حدود كوج  
وبلوج وأن ينتظر بجيشه هناك ، حتى يبعث إليه رسولًا لبدء القتال  
ثم أوعز جماعة من التجار الراغبين في الذهاب إلى يزد ، عن طريق  
كرمان أن يستعدوا للسفر ، فإنه سيبعث معهم حرساً من جنده  
الأشداء ، يقونهم شر عصابة كوج وبلوج .. وسر التجار بهذا  
 فأسرعوا في تهيئه قافلتهم ، وأعد لهم محمود حرساً من خمسين ومائة  
فارس على رأسهم أمير تركي ، وقال للأمير : انزل يا صهران ،  
وأعلن من يريد الذهاب إلى كرمان من تجارها بالاستعداد للسير معك ،  
وامكث بها عشرة أيام حتى يجيء التجار حراً بآجهم ، واشتري من هناك

عشرة أحمال من التفاح ، وحملها على عشرة جمال ، ثم سر بالقافلة إلى يزد ، فإذا اقتربت من كوج فانزل ، ومر بالليل يحضر أحمال التفاح فأدخلها في مخيمك واتقب كل قاحنة بيارة مغموسة في السم الذي بهذه الزجاجة ، وضع التفاح المسموم في السلال وجعلها في مكان ظاهر ، وبه على حراسك بأن لا تتمدد إليه يد أحد منهم .

فعل القائد ما أمر به السلطان .

وسارت القافلة مع حراسها ، وكان لصوص كوج قد بشوا في إصفهان عيونهم ، فراحوا إلى سادتهم ، وأخبروهم أن قافلة تقوم من إصفهان لم ير مثلها من قبل ، فإنها تحوى أكبر عدد من التجار ضمته قافلة ، وفيها من الأموال والبضائع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وأن هذه القافلة تسير في حراسة جند لا يزيدون على خمسين ومائة فارس . . وفرح رجال العصابة بما سمعوا ، واستعدوا للهجوم على الفريسة الدسمة ، وأعدوا عندهم وجعوا من رجالهم أربعة آلاف رجل .

واقربت القافلة من مكان العصابة ، وأتى حرابن الطريق ينبطون للأمير بأن الخطر محقق ؛ إذا هو تقدم ، فإن اللصوص ينتظرون مقدم التجار منذ أيام ، وأن عدمهم كبير لا تقوى جماعته على صدهم ، وأن الخير كل الخير في العودة من حيث أتى .

\* \* \*

وجاء الليل جمع الأمير التجار ، وكانت أخبار العصابة قد  
ترامت إليهم ، فارتعدت فرائصهم ، وظهر عليهم الذعر والملع ،  
طمأنهم الأمير ، وأكده لهم أن السلطان قد عمل على حمايتهم ، وأنه  
يعرف كيف يدفع عنهم السوء .. وطلب إلى شجاعتهم أن يحملوا  
أسلحتهم ، وأن يستعدوا للقتال حين يأمرهم ، ولكنه أخبرهم أن  
قطاع الطرق لا يعتدون بالقتل إلا على من يقاومهم ، فعلينا ألا نقاوم  
إذا هرجنا ، بل إننا سنترك البضائع والدواب ونولي الأدبار ،  
وسأسبikenكم أنا ، وننتظر بعيداً عن أموالنا ، إلى أن يجيء الله أمرأ  
ليس في الحسبان .

\* \* \*

ودفت الساعة وإذا باللصوص يسدون المنافق على القافلة ،  
ويهجمون عليها من ثلاثة جهات ، وسيوفهم مسلولة .. فرجع  
الأمير وتبعه التجار ، تاركين البضائع نهراً للناهبين .

ووُجد اللصوص التفاح الإصفهاني معروضاً في سلالة الجملية  
وحاططاً بالقطن حتى لا يفسد ، فأخذوا يتخاطفونه ويأكلون منه  
في نهم أى نهم ١

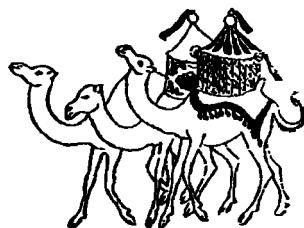
ولم يكدر الصبح يتنفس حتى صعد الأمير على ربوة وأطل على  
مكان القافلة ، فرأى اللصوص وقد تبعثرت أجسادهم بجوارها ،  
قلغم السم الزعاف الذي يحمله تفاح إصفهان .

فصاح الأمير في رجال القافلة ، ققاموا وقتلوا من بي من  
اللصوص وجمعوا أسلحتهم .

تم أرسل الأمير رسولا إلى والي كرمان ، وكان مرابطا بجيشه  
على حدود بلاد كوج ، يقول له يأمرك السلطان أن تدخل كوج  
وبلوج اليوم ، وأن تفتحها وتقتل رجالها ، وتحمّل ما فيها من المال  
المسروق وتبعثه للسلطان .. وأن تناذى في كرمان بأن من سرق منه  
شيء فليطالب به .

وهكذا نجح محمود في القضاء على العصابة الخطرة .

( سياسة نامه ١٠ )



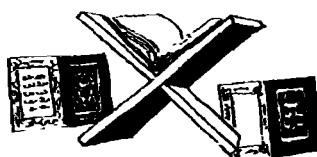
## ١٦ لقمان وحكمته

سئل لقمان من تعلم الحكمة؟

قال:

من الجهلاء، فكلما رأيت عيّباً فيهم تجنبته.

(كلستان)



قال ملکشاه لوزیره : کم کان عظیماً هذا السلطان الغزنوی ،  
إنى معجب به ، راغب في تعمی أخباره ، فزدنا عنه قصصاً .  
فقال نظام الملك :

كان محمود جالساً ذات صباح لتفقد شئون رعایاه ، فجاءه شاب  
كسير الفواد ، وقال : «إني أودعت القاضي كيساً من الحرير  
الأخضر به ألفاً دينار من الذهب النيسابوري ، وسافرت إلى الهند ،  
فوقع لي في الطريق حادث ، حملت على العودة ، فذهبت إلى القاضي  
وسأله رد الأمانة ، فأعطاني الكيس الذي استودعته ، ولكنني  
عند ما فتحته في بيتي ، وجدت نقداً من التحاس بدلاً من دنانير  
الذهب ، وعدت إلى القاضي أطلب ذهبي ، فأنكر ذلك مني ، وولي  
عنى غاضباً ؛ فاسمع يا مولاي صوت الذي جاء يشتكي إليك ،  
خلوى الوضاض ، لا يجد قوت يومه ..».

فتأثر السلطان من قول الشاب وأمره بإحضار الكيس فأحضره .  
وأخذته محمود ، وجعل يقلبه بين يديه فلا يجد علامات على أنه فتح ،  
فقال للشاب :

«سأعني يا بني بالأمر ، وقد أمرت بأن تعطى كل يوم ثلاثة أيام خبزاً ، ومناً طاماً ، وأن يصرف إليك دينار كل شهر ، إلى أن يتدين الحق في قضيتك».

ودخل محمود غرفته ليستريح بعد الغداء ، فرضع الكيس أمامه ، وأخذ يفكر كيف استطاع القاضي أن يبدل الذهب نحاساً من غير أن يفتح الكيس ؟ فقال بخاطره أن القاضي قد شق الكيس ، فأخرج ذهبها ووضع التحاس ، ثم بعث به إلى راف فاحكم رفوه . وكان عند السلطان مقرمة (ستر) جميلة ، مرشاة بالذهب ، تغطى بها الوسادة ، قام بالليل ، وشق المقرمة ، ثم نام . وفي الصباح الباكر خرج للصيد . رحلة ثلاثة أيام .

وجاء الفراش الخاص لينظف الغرفة ، فوجد المقرمة عزقة ، فهاله ما رأى ، وصاح باكيأ . وسمعه فراش عجوز في الديوان فسألها عما أبكاه ، فقال : لا أستطيع أن أخبرك عنه ، فهذا العجوز من رويعه واستوضحه الأمر ، فقال : إن رجلاً يعتقد على قد دخل القصر خلسة ، وشق مقرمة وسادة السلطان شقاً طوله ذراع ، وأنا مقتول لا حالة إذا علم السلطان . فسألته العجوز إذا كان أحد سواه قد رآها ، فقال : كلا . قال العجوز : إذا فاهداً بالا يا بني فاي واجد ما يفرج كربتك ، وقد خرج السلطان للصيد ، وسيقى به ثلاثة أيام ، خذ المقرمة ، واذهب إلى حى كندا ، وسل عن راف

اسمه أحمد ، اعطاه إياها يرثها بحيث لا يعرف أحد من أين رُفِيت ،  
وأعطاه الأجر الذي يبغى ، فهو أمير الراففين في بلدنا ، وكل أهل  
هذه الصناعة هنا صبيانه .

وذهب الفراش إلى أحمد الراف ، فأصلاح هذا المقرمة إصلاحاً دقيقاً وطلب نصف دينار أجرأ ، فأجره الفراش ديناراً كاملاً .  
وعاد الفراش بالمقرمة إلى القصر هادى "النفس ، قرير العين ، وخطى بها الوسادة ، وكان شقام يكثب بها .

• • •

وعاد السلطان من الرحلة، ودخل غرفته بعد الغداء، فألقي على المقرمة نظرةً فوجدها قد رفعت رفوأ لم يستطع أن يتبين مكانه؛ فأمر بإحضار الفراش فسألها عن رفاها! فقال هذا، وقد كاد يغشى عليه: إنها لم تكن مرققة يا مولاي، وقد كذب الوشاة فادعوا ذلك.

— لا تخف أيها الأحمق، فإني أنا ممزقة لغرض في نفسي، قل من رفاها.

— رفاه را ف اسمه احمد یا مولای، دلای علیه فراش القصر.

— اذهب وأحضره ، وقل له : إن السلطان مرد أن راك .

وعاد الفراش ومعه الرافع ، فلما رأى هذا السلطانَ ارتعنت  
فراصه ، فقال له السلطانُ :

لا تخش شيئاً يا أوستاد (أوسطي) واقرب من ، أنت  
أصلحت المقرمة ؟  
نعم يا مولاي .  
— لقد أظهرت مهارة فاتقة .  
— لقد نجحـت بفضل ما يصاحب مولاي من التوفيق .  
— أليس في هذه المدينة من الرافين من يماثلك ؟  
— كلا يا مولاي .  
— سأـلـك عن أمر أحـبـ أن تـصـدـقـيـ الإـجاـبةـ عـنـهـ .  
— ليس أصوب من الحق مع السلطان .  
— أرفوت هذا العام كيسـامـنـ الحرـيرـ الأخـضرـ فـيـ بـيـتـ رـجـلـ عـظـيمـ ؛  
نعم يا مولاي ، في بيت قاضـيـ المـديـنـةـ ، وكـافـئـ بـدـيـنـارـينـ .  
— فإذا رأـيـتـ السـكـيـسـ فـلـ تـعـرـفـ ؟  
نعم يا مولاي .

فـاخـرـجـ محمودـ السـكـيـسـ منـ تـحـتـ وـسـادـتـهـ وـأـرـاهـ لـلـرـافـيـ فـعـرـفـهـ ،  
فـسـأـلـهـ السـلـطـانـ عـنـ مـكـانـ رـفـوـهـ فـأـرـاهـ إـيـاهـ ، وـتـعـجـبـ السـلـطـانـ مـنـ  
دقـةـ الصـنـاعـةـ .

قال السلطان : فإذا دعت الحاجة فـلـ تستـطـيـعـ أـنـ تـشـهـدـ بـذـلـكـ  
أـمـاـمـ القـاضـيـ ؟  
— أـشـهـدـ ياـ مـوـلـايـ .

\*\*\*

وأرسل محمود الغزنوی في طلب القاضی وصاحب الكیس .  
فأمر يادخل القاضی وكان صاحب الكیس مع الراfib ، خارج القاعة  
فليا دخل القاضی ، حيا السلطان وجلس كعادته . فالتفت هذا  
إليه وقال :

إنك شیخ کیر و عالم ، وقد ولیتك القضاe في أموال المسلمين  
ورقباهم ، واعتمدت عليك ، وفي بلادی أفاری جل أعلم منك ،  
وهم عاطلون لا يعملون شيئاً ، فهل يليق بك أن تخون الأمانة  
وتغتصب أموال غيرك ؟

قال القاضی : مولاي ، ما هذا الكلام ، ماذا عملت ؟

هذا ما عاملت أيها الكلب المنافق ، وأراه الكیس قاتلا : هذا  
هو الكیس الذي أوئمته عليه فأبدلت ذهبه نحاسا ثم رفرته ،  
وأعطيته لصاحبه حکم السداد كأنك لم تفعل به شيئاً ! أهكذا  
 تكون سيرتك ودياتك ؟

قال القاضی :

مارأيت هذا الكیس قط ، ولا علم لي بما يقول مولاي .

\* \* \*

فأمر السلطان يادخل الراfib وصاحب الكیس وقال : أيها

الكتاب الأشر ، هذا هو الراقي وهذا هو صاحب الكيس ، ومن هنا مزقته ورفته .

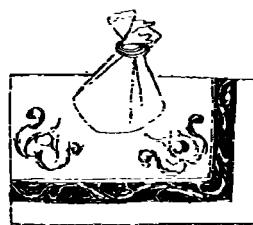
نجل القاضي ومل " رعباً ، ولم يحر جواباً .

فقال محمود : اقروا على هذا الكلب ، واحجزوه حتى يعطى الذهب لصاحب في التو وإلا ضربت عنقه .

فحملوا القاضي إلى السجن ، نصف ميت ، وطالبوه بالذهب ، فطلب وكيله فدله على مكانه فأحضر هذا ألفين من الدنانير ، فأعطوها الشاب صاحب الكيس .

وفي اليوم التالي جلس محمود لنظر المظالم فقص على الملائكة قاضيه ، ثم أمر بإحضاره وشنقه على شرفة القصر ، على أن تدل رأسه إلى أسفل ، فشفع له العظام ، لأنها شيخ كبير ، وقاض عالم . واشتري الرجل نفسه بخمسين ألف دينار ، فأخذوا منه المال وعزلوه .

( سياست نامه ١٣ )

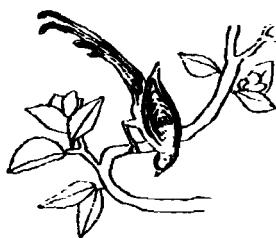


## الحمد لله ..

١٨

ما شَكِّرْتُ مِنَ الزَّمَانِ، وَلَا بَرْمَتْ بِحُكْمِ السَّيِّءِ، إِلَّا حِينَ حَفِيتْ  
قَدْمَاهُ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ شَرَاءَ حِذَاءَ، فَدَخَلْتُ جَامِعَ الْكُوفَةِ وَأَنَا ضَيقٌ  
الصَّدْرُ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا بِلَا رِجْلَيْنِ، خَمَدَتِ اللَّهُ وَشَكَرَتْ نَعْمَتَهُ عَلَيْهِ  
وَصَبَرَتْ عَلَى مَا ابْلَافَ مِنْ حَفَاءِ.

(سعدي - سلطان)



رقيق أصبح ملکاً ۱۹

قال ملکشاه : يزيدني حديثك عن محمود الغزنوي إعجاباً به  
وبأسره ، فهلا حدثني عن أصل الغزنوين وكيف ملوكوا ؟ فقال  
نظام الملك : إن هذا قصة طريفة يامولاي ثم حكى :

كان لدى السامانيين رقيق تركي اسمه الـب تكين، اشتراه أحمد بن إسماعيل، ثم خدم من بعده نصر بن أحمد، وظل يرقى في سلك الأرقام، حتى بلغ مرتبة الإمارة أيام نوح، وكان عمره - حين أُسند إليه إمارة خراسان - خمسة وثلاثين عاماً.

وكان الـبـ تـكـيـنـ هـذـاـ شـجـاعـاـ، جـسـورـاـ، مـخـلـصـاـ السـادـهـ، مـجـبـرـاـ  
من جـنـدـهـ، بـحـاجـهـ، وـاشـتـهـرـ فـيـ زـمـانـهـ بـالـعـدـلـ وـالـحـزـمـ فـأـحـبـهـ النـاسـ،  
وـقـدـ لـبـثـ أـمـيرـاـ لـخـرـاسـانـ أـكـثـرـ مـنـ خـمـسـيـنـ سـنـةـ، وـأـثـرـىـ فـكـانـ  
يـعـلـكـ الـآـلـافـ مـنـ الرـفـيقـ وـذـاتـ مـرـةـ اـشـتـرـىـ ثـلـاثـيـنـ غـلامـاـ، مـنـ  
يـنـهـ سـبـكـتـكـيـنـ .

ودخل الحاجب على الأمير فأنبأه أن أحد رؤساء الخدم (وثاق باشي) قد مات، وسأله أن ينصب أحد العلمان مكانه، وكان سبكتكين وافقاً، فأشار إليه الباب تكين، وقال للحاجب: ارفعوا

هذا الغلام إلى مرتبة وثاق باشي . فقال الحاجب : أترفعه يا مولاي إلى هذه المرتبة ، فيليس القلنسوة السوداء المطرزة بالفضة ، والثوب الحريري الكنجي ، ولما يتم سنة في الخدمة ؟ إنه بهذا يتخطى سبع سنين من العمل الشاق .

أما الـبـ تـكـيـنـ فـأـنـحـيـ أـمـاـمـ سـيـدـهـ حـامـداـ شـاكـراـ .  
سبـكـتـكـيـنـ فـأـنـحـيـ أـمـاـمـ سـيـدـهـ حـامـداـ شـاكـراـ .

وـفـكـرـ الـبـ تـكـيـنـ ، وـفـكـرـ الـخـاصـرـونـ مـعـهـ ، فـأـمـرـ هـذـاـ  
الـغـلامـ ، وـمـنـ يـدـرـىـ ، أـهـوـ حـقـيقـةـ مـنـ نـسـلـ يـزـدـكـرـ ؟ـ أـوـ أـنـهـ مـنـ  
الـسـعـدـاءـ الـذـيـنـ خـلـقـوـاـ مـلـوـكـاـ ، لـاـ يـسـحـكـمـوـ اـعـيـدـاـ ؟ـ وـأـحـبـ  
الـبـ تـكـيـنـ غـلامـهـ ، وـأـخـذـ يـرـفـعـهـ كـلـ يـوـمـ درـجـةـ ، رـفـعـهـ إـلـىـ رـتـبـةـ  
آـبـدـارـ ، فـكـانـ يـسـقـيـهـ وـكـانـ يـصـبـ لـهـ المـاءـ وـهـوـ يـتوـضـأـ ، ثـمـ جـعـلـهـ  
أـمـيـنـاـ لـغـرفـتـهـ ، وـجـعـلـ تـحـتـ إـمـرـتـهـ عـشـرـةـ غـلـمـانـ مـنـ الـفـرـسـانـ .ـ وـلـمـ  
يـلـغـ سـبـكـتـكـيـنـ الثـامـنـةـ عـشـرـةـ مـنـ عـمـرـهـ حـتـىـ كـانـ عـلـىـ رـأـسـ مـائـيـ غـلامـ  
وـأـخـذـتـ تـبـدوـ عـلـيـهـ مـزـاـيـاـ الـبـ تـكـيـنـ نـفـسـهـ .

\*\*\*

وـحـدـثـ أـنـ أـرـسـلـ الـبـ تـكـيـنـ مـائـيـ فـارـسـ ، وـمـنـهـ سـبـكـتـكـيـنـ ،  
وـأـمـرـهـ بـتـحـصـيلـ الـمـسـتـحـقـ مـنـ الـأـمـرـالـ عـلـىـ التـرـكـانـ وـالـخـلـجـ (١)ـ ،

(١) قـيـلةـ مـنـ الـرـبـ أـقـامـتـ فـيـ زـاوـسـانـ وـصـاهـرـتـ التـرـكـانـ ، وـأـمـدـتـ آـسـياـ  
الـوـسـطـيـ بـجـمـاعـةـ مـنـ الـقـادـةـ الـظـالـمـ ، مـنـهـ مـحـمـدـ بـنـ بـنـيـارـ الـذـيـ اـسـتـقـلـ فـيـ ٦٠٢/١٢٠٥ـ  
وـأـسـنـ أـسـرـةـ اـتـهـتـ فـيـ ٨٠١/١٣٩٨ـ .

وذهب الجندي لاداء ما طلب إليهم ، ولكن التركان والخلج أبوا أن يدفعوا كل ما عليهم ، فاقتصر بعضهم أن يلحاو القوة وأن يعودوا برؤساء العصاة مصفدين .

ولكن هذا الرأي لم يرق لسبكتكين ، لأنه أمر بتحصيل المال ولم يؤمر بالقتال قال : وإن أخاف أن نقاتل فهزيم ، فيكون في هذا خزي لنا ، ومعرة لأميرنا .

وانتقسم الجماعة بين مؤيد لسبكتكين ومعارض له ، وعادوا وقد تفرقوا كلمتهم . . .

ومثلاً أمير البشكنين فلما سأله لماذا لم يقاتلوا ، قالوا بطبع سبكتكين هممنا . فلما سأله قال : منعهم من القتال لأن مولاً لم يأمر به ، ولو حاربنا لكان كل منا سيداً لا عبداً ، وأول صفات العبد أن يطيع الأمر ، لا أن يأمر . ولو أنتا حاربنا وهرمنا لسألنا الأمير بأمر من حاربنا ، فربنا إن شئت اليوم ، نذهب لقتالهم رخيصة أرواحنا ، فتعود بالمال وبرؤوسهم جميعاً .

فسر البشكنين بكلام غلامه ، ورفعه درجة . وجعله رئيساً على ثلاثة فارس .

\* \* \*

ومات الملك الساماني ، نوح بن نصر ، وكان البشكنين في نيسابور ، فكتب له كبار القوم في بخارى - عاصمة الدولة -

يقولون : مات الملك عن أخي في الثلاثين وولد في السادسة عشرة ،  
فمن منها تنصبه ملكاً من بعده ؟ وإنما برأيك عاملون ، فإنك أنت  
عماد الدولة .

فكتب إليهم يقول: إن أخا الملك وولده كايمها بالملك جدير ، لأنهما من أبناء ملوكنا ، إلا أن أخا الراحل الكريم رجل كامل مغرب ، يعرفنا جميعاً ، ويعرف قيمنا ، ويستطيع أن يتحمل عبء الملك . ثم بعث رسالة ثانية تؤيد فيها تصيب الأخ .

ولم تمض خمسة أيام حتى جاء رسول من بخارى يحمل البشري  
لأدب تكين بأن كبار القوم قد نادوا بأبن الملك الراحل ملكاً  
للسامانيين ؛ فأسقط في يد الـبـ . وأخذ يسأل نفسه لماذا استشاروه  
وفي بيتهم أن يتصرفوا حسب هواهم ؟ قال : ووـلهـ للأـميرـ الصـغـيرـ  
عندـيـ بـعـاتـةـ نـورـ العـيـنـ ؛ وأـخـذـ يـفـكـرـ فـيـ شـعـورـ المـلـكـ الجـديـدـ نـحـوهـ  
إـذـاـ بـلـغـتـهـ الرـسـالـاتـ الـلـاتـانـ تـحـلـعـانـهـ وـتـصـبـانـ عـمـهـ عـلـىـ عـرـشـ آـيـهـ ؟ـ!  
وـأـرـسـلـ فـيـ التـوـ رـسـوـلاـ لـهـ يـوـقـفـ رـسـوـلـيـهـ السـابـقـينـ فـيـ الـطـرـيقـ  
وـلـكـنـ الرـسـوـلـ لـهـ ثـانـيـهـاـ وـلـمـ يـلـحـقـ الـأـوـلـ ، الـذـىـ بـلـغـ بـخـارـىـ  
وـأـسـلـ رـسـالـتـهـ إـلـىـ الـمـلـكـ الجـديـدـ .

10

وأثارت الرسالة في البلات الساماني سخطاً لدى أنصار الملك الشاب، قالوا قد أسامه والي خراسان، وأخنوها بحدثون الملك عن

عمل الـب على حرمانه من عرش أبيه ، الذي هو وارثه شرعاً ،  
ليلي عمه ، الذي لا حق له في العرش ، وظلوا يتحدثون على هذا  
النحو ، حتى استشاط الملك غضباً على الـب .

وحاول هذا أن يكفر عن خطئه ، فقدم المدحيا والطرف بغير  
جدوى ، فإن الغضب قد ملا قلب الملك ولم يبق لرفعه من سبيل ؛  
وكذلك افطلقت ألسنة السوء بالحقيقة والدسيسة . . . وصورت  
الماشية للملك خطر الـب تـكين عليه ، قالوا :

إـنـكـ لـنـ تـعـمـ بـالـسـلـطـانـ مـاـ يـقـيـ الـبـ تـكـينـ ، وـقـدـ أـصـبـحـتـ لـهـ  
الـكـلـمـةـ الـعـلـيـاـ عـلـىـ الـجـيـشـ ، فـإـنـهـ يـلـيـ إـمـارـةـ خـرـاسـانـ مـنـذـ خـمـسـيـنـ عـامـاـ ،  
فـإـنـ أـنـتـ قـتـلـتـهـ صـارـتـ أـمـرـالـهـ إـلـيـكـ ، فـأـمـتـلـأـتـ خـزـائـنـكـ مـنـ مـالـهـ ،  
وـاسـتـرـاحـ قـلـبـكـ مـنـ خـشـيـتـهـ ، وـصـارـتـ لـكـ الـيدـ الطـوـلـىـ فـيـ الـوـلـةـ  
كـلـهاـ ، فـأـبـعـثـ إـلـيـهـ رـسـالـةـ تـدـعـوـهـ فـيـهاـ إـلـىـ بـخـارـىـ ، لـيـجـدـدـ لـكـ الـوـلـاءـ ،  
وـلـكـ لـاـ يـرـتـابـ فـيـ دـعـوـتـكـ ، قـلـ لـهـ إـنـكـ لـمـ تـخـضـرـ مـنـذـ وـلـيـنـاـ عـرـشـ  
أـجـادـدـنـاـ لـتـجـدـدـ لـنـاـ فـرـوضـ طـاعـتـكـ ، وـإـنـاـ نـرـىـ فـيـكـ أـبـاـ كـرـيـماـ ،  
فـأـنـتـ أـسـاسـ حـكـرـمـتـاـ وـعـمـادـ أـسـرـتـاـ . . . فـاحـضـرـ لـبـخـارـىـ نـسـبـنـ  
مـنـكـ مـاـ خـفـيـ عـلـيـنـاـ فـيـ بـلـادـنـاـ ، فـتـزـدـادـ ثـقـتـنـاـ بـكـ ، وـتـخـرـسـ أـلـسـنـةـ  
الـسـوـءـ الـتـيـ تـنـطـلـوـ بـالـبـاطـلـ فـيـكـ . . . فـإـذـاـ حـضـرـ فـاقـلـهـ فـيـ غـرـفـتـهـ ،  
لـتـسـتـرـيـحـ مـنـهـ وـيـخـلـوـ لـكـ الـجـوـ .

وكان لأب تكين أصدقاء في بلاط الملك ، فبعثوا ينبهونه  
 بما يدبر له من شر .

\*\*\*

فليا بلغت رسالة الملك أب تكين دعا هذا رجالة للرحيل  
إلى بخارى ، فسار من نيسابور إلى سرخس وفي صحبته ثلاثون ألف  
فارس ، وفي سرخس دعا ضباط جيشه وقال لهم : أندرون لاي  
أمر دعائى الملك ؟ قالوا نعم ، دعاك لتجدد له العهد ، فإنك منه  
ومن آبائه كالوالد .

قال : كلا ، ما لهذا دعائى ، إنما أنا ذاهب لألق عنده حتى ،  
 فإنه غر لا يعرف قدر الرجال ، واعلموا أنى منذ ستين سنة وأنا  
أحوى ذمار هذه الدولة ، وأننا الذى دفت عنها غارات خاقانات  
تركستان ، وأنا قضيت على الملاحدة في ديارهم ، وما تذررت  
أوغضبت يوماً ، وهاهوذا الملك يدبلى اليوم جراء سنمار ، جاهل لأن  
ملكته جسد أنا رأسه ، فإن هو قطع الرأس فأى غباء في الجسد ؟  
وقد دعوتكم اليوم لتفتونى في أمرى من هذا الملك .

قال الضباط : إن العلاج في حد سيفنا ، وما دام الملك يضر  
هلاكك فأى شيء تنتظر ، لقد وليت إمارتنا خمسين عاماً ولو شئت  
لاتزعم الملك من آل سامان ، وممما يكن فإذا نعرفك ولا نعرف  
الملك ، منك أرزاقنا ومنك جاهنا وما نرقى فيه من النعم ، وليس

أجدر منك رجلا ، وإنما نطييك ، و خوارزم و خراسان و فيم روز  
مسلمية إليك ، فرنا بخلع منصور الساماني خلعه و نولك ، وإذا  
شتت أن تأخذ منه مخارى و سير تند فانا ناصر و ك .

فَلِمَا سَمِعَ الْبَشَرُ كَلَامَهُمْ قَالَ:

عفا الله ، والله لقد دعوكم اختباراً لا اتهاراً ، وأنا أعرف  
أن المستكم تنطق بما تجيش به صدوركم ، والخير أن تتدبر الأمر  
وأن تعودوا إلى يسوعكم ، على أن يكون موعدنا غداً ، ولتنظر ماذا  
سدّقى به الغد .

فليما كان الغد عادوا ، فرتفع الپ تكين يتحدث إليهم قائلاً :

لقد أردت بجدتي معكم أن أعرف شعوركم نحوى ، وهل تكونون معي إذا أمر حزب ، فسمعت عنكم جميعاً الوفاء لعهدي ، والاعتراف بنعمتى عليكم ، وقد أسعده ما قلتمنوه . ولكن اتبلوا أن الشر صرخ يدى وين هذا الشاب ، ولم يق من سبيل إلى دفعه بغير السيف ، وهو طفل ينصل إلى ألسنة السوء ، ولا يفرق بين الطيب والخبيث ، وهم يسعون بي لقتلى ، وأنا عmad الأسرة ، ولو أنضر مسها لما استطاع هذا الصبي له رداً ، وإن قادر على أن آخذ منه الملك وأولى عمه فيكون لي السلطان عليه . ولكنني أخشى أن يقول الناس خدم الـ تكين المسلمين وقام لهم ستين

عاماً طوالاً ، فلما بلغ المئتين خرج على أبناء سادته ، استضعفوا هم ، وأخذ الملك لنفسه ، فجحد بنعمتهم عليه . . .

وقد قضيت ما قضيت من العمر في حسن الأحوال وطيب المحتد ، فلا يليق ، وقد أصبحت قدmi على حافة القبر ، أن أدنس اسني ، ولو أن الحق بجانبي والعدوان بجانب الملك ، إلا أن الناس جميعاً لا يعرفون ذلك ، وسيقول فريق منهم ، إذا وقعت الواقعة ، جنى الـb تكين على الملك ... ومهما يكن فإني لا أطمع في ملكهم ، ولا أبغض دولتهم ، ولكن أداة الشر لن تتوقف عن إيداعي ما دمت في خراسان ، وقد استخرت الله فهداني إلى أن أشهر السيف بمجاهداً في سيله ، فاعلموا أن خراسان وما وراء النهر وخوارزم ونیروز تابعة كلاها للملك منصور ، وأن عليكم جميعاً طاعته ، وقد قلت برب عبادكم خدمة له ، فقوموا إذا ، واذهبوا إلى بخارى ، وجدوا له الميثاق ، وأطيووه مخلصين ، أما أنا فأسأذهب إلى بلاد الهند مجاهداً في سيل الله ، فإذا مت كنت شهيداً ، وإذا أيدني ربى فسأجعل مدن الـkفار بلاـd مسلمة ، طاماً في الجنة التي وعد الرحمن المجاهدين بها ، وسيعرف ملوك بخارى ، إذا رق قلبه لي ، وغفر زلتي ، كم أحسنت صنعاً ، وكم كانت قيمة رجال جيش خراسان . . .

\*\*\*

لم يكن أحد من الضباط يظن أن الـب تكين سيترك حقاً  
خراسان ، وله خمسة قرية وله في كل مدينة منها وفيها ما وراء  
النهر قصور وحدائق ورباطات وحمامات ، ولهآلاف الآلاف من  
الغنم ومئات الآلوف من الخيول والبغال والجمال ... فجعلوا يمرون من  
أمامه باـكـين مودعين ، ولكنـهم غير مصدقـين . . .

وذات يوم دق الطبل معلناً رحيل الـب تكين ومعه غلامـه  
وحاشـيـته . وأما ضباط الجيش فقد ذهبـوا إلى بخارـى ، وقلـوبـهم مع  
الـب . وبلغـ هذاـ مدـيـنةـ بلـخ ، فأعلنـ فيـ النـاسـ أنهـ ذـاهـبـ للـجـهـادـ ،  
ومـكـثـ شـهـرـينـ يـنتـظـرـ أـفـرـاجـ المـجـاهـدـينـ ، يـفـدـونـ عـلـيـهـ منـ كـلـ حـدـبـ  
وصوبـ .

وبلغـ الملـكـ السـامـانـيـ ماـ اـعـزـمـ عـلـيـهـ الـبـ ، فـجمـعـ حـاشـيـتهـ لـالـشـورـىـ  
فـأـشـارـواـ عـلـيـهـ بـأنـ يـرـسـلـ جـيـشـاـ لـتـتـالـهـ وـالـقـبـضـ عـلـيـهـ ، فـأـرـسـلـ ستـةـ  
عـشـرـ أـلـفـ فـارـسـ ، وـعـبـرـواـ جـيـحـونـ ، فـأـنـطـرـ الـبـ إـلـىـ أـنـ يـتـجـهـ  
نـاحـيـةـ خـمـ ، حـيـثـ عـسـكـرـ فـيـ وـادـيـهاـ الضـيقـ ، وـمـعـهـ مـنـ فـرـسانـهـ مـاـتـانـ  
وـغـلامـهـ الـذـينـ حـنـكـتـهـ الـحـرـوبـ ، وـثـمـانـمـائـةـ مـجـاهـدـ مـنـ سـاـئـرـ الـبـلـادـ ،  
وـبـلـغـ جـيـشـ الـمـلـكـ السـهـلـ فـسـدـ الـمـنـافـدـ عـلـىـ الـبـ وـجـمـاعـتـهـ ، وـهـكـذاـ  
أـغـلـقـ «ـعـنـقـ الزـجاـجـةـ»ـ عـلـيـهـ . وـظـالـ الـجـيـشـانـ شـهـرـينـ بـغـيرـ قـتـالـ .

وـجـاءـتـ نـوـبةـ سـبـكـتـكـينـ ، فـخـرـجـ يـسـطـلـعـ أـمـرـ الـعـدـوـ ، فـإـذـاـهـ يـجدـ

السهل قد عسکر في الرجال ، وإذا به يجد طليعة العدو تستعد للقتال  
فعاد إلى أبيه وقال له :

لقد تركت يا مولاي أموالك ، وما أفاء الله عليك من نعمه  
لملك بخارى ، ووليت وجهك تبني الجهد في سبيل الله ، وهام  
يقصدون قتلك ، وإنك ، وفاء بعهدك ، تبقى عليهم ، ولكن أخاف  
أن تورد نفسك موارد التهلكة ، فهلاك معك ، وعندى أن السيف  
خير حكم بينك وبين ملك بخارى .

ثم التفت إلى غلامه وقال :

هذا يومنا ، وقد عزمت على لقائهم ، رضى الأمير أو لم يرض ،  
وأيكون ما يكون .

قال هذا وسار في طليعة فرسانه الثلاثمائة خرج من « عتق  
الزجاجة » فأعمل السيف في طليعة العدو ، ثم أخذ بقية الجيش على  
غرة ، وقتل منهم أكثر من ألف فارس ، فقام الجندي مذعورين ،  
حملوا أسلحتهم ، وامتطوا صهوات جيادهم ، ولكنه أفل راجعاً ،  
ودخل معسركه سالماً دون أن يتمكنوا من اللحاق به .

وبلغ الخبر أبي تكين فناداه ، وقال له : كان التذرع بالصبر  
أولى من القتال . فقال سبكتكين : طال صبرى يا مولاي ، حتى  
لم يبق في قوسه مزع ، والله لتدفعهم عنك ولقتلهم حيث  
تفقدهم ...

فقاں الی تکن :

الآن ، وقد بدأت الحرب بيننا ، لم يبق إلا أن تأمر الرجال  
بالاستعداد للرحيل ، فلترفع الخيام ، ولتحزم الأمتعة ، وإنبدأ  
السير حين تؤذن الشمس بالغيب ، وعلى طفان أن يتظر في كينه  
يميناً ومهماً ألف رجل ، وعليك أن تقف في كينك يساراً مع ألف  
غلام ، أما أنا فسأخرج من الطرف الآخر من « عنق الزجاجة »  
ومعى الأمتعة وألف مقاتل ، وسأسير في السهل ؛ وسيحضر العدو  
في الغدأة فيدخل حيث كنا فلا يجد أحداً ، فيظن أنى قد هربت  
بكم ، فيهطع في أثرى ، ويخترق « عنق الزجاجة » ، فعد ما يخرج  
أكثر من نصف جنده ، عليكم أن تخروا جميعاً من مکافنكم ،  
وتنقضوا عليه انقضاض الصاعقة ، فيقع الذعر في صفوفه . ويولى  
فراراً منكم من لم تدركه سيفكم ، وعندئذ نحيط بالوادي ، أنا  
في القلب وأتم على الجناحين ، فتحيط بهم ونقتلهم على بكرة أيهم ،  
ثم نأخذ معسكراً هم غنيمة .

وحدث ما توقع الـبـ تـكـيـنـ ، وـتـمـ الـأـمـرـ كـاـرـسـ ، وـدـخـلـ  
جـنـدـهـ مـعـسـكـرـ الـعـدـوـ ، بـعـدـ أـنـ مـنـ بـالـمـزـيـةـ ، فـأـخـنـواـ مـاـفـيـهـ مـنـ خـيـلـ  
وـبـغـالـ وـجـمـالـ وـأـدـوـاتـ الـفـضـةـ وـالـذـهـبـ وـالـنـقـودـ وـالـغـلـيـانـ ، وـتـرـكـواـ  
الـحـيـاـمـ وـالـأـبـسـطـةـ نـبـأـ لـلـنـاهـيـنـ مـنـ سـكـانـ الـقـرـىـ الـجـاـوـرـةـ . . .

• • •

ورحل الـب تـكـيـن حتى بلـغ بـامـيـان خـارـب أـمـيرـهـا شـيرـبارـيـك  
وهـزـمهـهـ وأـسـرهـهـ ، ثـمـ عـفـاـعـهـ وـنـادـاهـ بـولـدـهـ .  
ثـمـ سـارـ إـلـى كـابـل فـهـزـمـ أـمـيرـهـهـ وأـسـرـهـهـ وـلـدـهـ ( حـفـيدـلـوـيـكـ ) ،  
فـأـحـسـنـ مـعـاـمـلـتـهـهـ ثـمـ رـدـهـ إـلـى أـيـهـ .

\* \* \*

ثـمـ قـصـدـ غـزـنـيـنـ خـرـجـ أـمـيرـهـا لـوـيـكـ لـقـتـالـهـ فـهـزـمـهـ ، وـحـاـصـرـ  
المـدـيـنـةـ ، وـوـجـفـتـ قـلـوبـ أـهـلـ زـاـوـلـسـتـانـ ( إـقـلـيمـ عـاصـمـتـهـ غـزـنـيـنـ ) ،  
فـأـمـرـ الـبـ تـكـيـنـ بـأـلـاـ يـعـتـدـىـ أـحـدـ مـنـ جـنـدـهـ عـلـىـ النـاسـ وـأـلـاـ يـشـتـرـىـ  
جـنـدـهـ بـضـاعـةـ مـنـ غـيـرـ أـنـ يـدـفـعـوـاـ ثـمـنـهـ ذـهـبـاـ ..

\* \* \*

وـحـدـثـ أـنـ وـقـعـتـ عـيـنـ الـبـ تـكـيـنـ عـلـىـ غـلامـلـهـ ، قـدـ حـمـلـ فـوـقـ  
ظـهـرـهـ كـيـساـ مـنـ التـبـ وـأـمـسـكـ دـجـاجـةـ فـيـ يـدـهـ ، فـسـأـلـهـ مـنـ أـينـ لـكـ  
هـذـاـ ؟ قـهـالـ : أـخـذـتـهـ مـنـ فـلـاحـ . قـالـ : وـلـمـ لـمـ تـشـتـرـهـ بـالـنـهـبـ ،  
أـلـستـ أـقـدـكـ عـشـرـينـ كـانـيـاـ ( اـسـمـ عـملـةـ ) فـيـ الشـهـرـ ؟ ثـمـ أـمـرـ بـشـطـرـهـ  
نـصـفـيـنـ ، وـبـأـنـ يـعـلـقـ عـلـىـ قـارـعـةـ الـطـرـيـقـ ، وـأـنـ يـنـادـيـ فـيـ المـدـيـنـةـ  
ثـلـاثـةـ أـيـامـ بـأـنـ مـنـ يـأـخـذـ أـمـوـالـ الـمـسـلـيـنـ بـغـيـرـ حـقـ فـسـوـفـ يـلـقـيـ مـالـقـيـ  
هـذـاـ الغـلامـ مـنـ العـذـابـ .

وـشـاعـ أـمـرـ عـدـلـ الـبـ تـكـيـنـ وـحـرـصـهـ عـلـىـ الـحـافـظـةـ عـلـىـ حـقـوقـ

الناس . وأخذ أهل غزّين يتحدثون ويتناقلون القصص على عده ورقه وحسن إدارته ، قالوا : إنما زيد ملكاً عادلاً نافذ في ظله على أرواحنا ونسائنا وأموالنا ، ول يكن تركيأً أو مولدأً من العرب والفرس ، ثم فتحوا أبواب مدinetهم فدخلها الـب تكين .

واعتصم أمير غزّين بقلعة فيها ، وظل يقاوم عشرين يوماً ثم استسلم .

وأخذ الـب تكين من غزّين حاصمة لـلـك ، وأسس الدولة الغزنوية ، وأخذ يرسل الحملات لفتح بلاد الهند ، فكانت جيوشه تذهب إلى هناك وتعود حاملة معها شتى الغنائم ، مع أن بين غزنة وبلاط الهند مسيرة أثني عشر يوماً .

\* \* \*

وشاع في خراسان ، وماوراء النهر أن الـب تكين قد استولى على بلاد واسعة ، وأن جنوده يغزون بلاد الهند ، وأن الذهب والفضة والنعم تنتال عليهم اثنين ، فأقبل الناس على الملحاق به ، وانضم إلى جيشه ستة آلاف فارس منهم ، فشجعه هذا على المغزى في فتحه بلخ بـجاپور ( بـقاپور ) .

وأما ملك الهند فقد جمع جيشاً عظيماً قرابة مائة وعشرون ألف مقاتل وخمسة آلاف فيل ، وعزم على قتال الـب تكين وطرده من بلاد الهند .

وأصل ملك بخارى السامانى أن الـبـ تـكـين قد قـيـضـ اللهـ لهـ فـتحـاـ مـيـنـاـ، وـأـنـ مـلـكـ الـهـنـدـ قدـ اـسـتـعـدـ لـقـتـالـهـ، فـمـعـ هـوـ الـآـخـرـ عـدـهـ، حـقـداـ علىـ الـبـ تـكـينـ، وـبـعـثـ لـقـتـالـهـ جـيـشـاـ عـلـىـ رـأـسـهـ أـبـوـ جـعـفـرـ، فـلـمـ عـلـمـ الـبـ تـكـينـ بـذـلـكـ أـمـرـ بـتـرـكـ جـيـشـ السـامـانـيـنـ يـقـتـرـبـ حـتـىـ صـارـ عـلـىـ فـرـسـخـ مـنـهـ، ثـمـ أـمـرـ بـالـهـجـومـ عـلـيـهـ فـاضـطـرـ أـبـوـ جـعـفـرـ إـلـىـ الفـرارـ وـأـمـاـ الـجـيـشـ الـذـيـ يـتـكـونـ مـنـ خـمـسـةـ وـعـشـرـيـنـ أـلـفـ مـقـاتـلـ فـقـدـ تـبـدـ شـمـلـهـ، وـهـكـذـاـ جـرـتـ عـلـىـ جـيـشـ السـامـانـيـ هـزـيـعـةـ أـشـدـ نـكـرـاـ مـنـ هـزـيـمـتـهـ فـيـ بـلـخـ وـخـلـمـ، وـبـهـذـيـنـ الـعـرـكـتـيـنـ أـنـهـكـتـ قـوـىـ السـامـانـيـنـ وـأـصـبـحـ دـوـلـهـمـ فـرـيـسـةـ سـائـغـةـ لـخـانـاتـ تـرـكـسـتـانـ.

ثـمـ اـتـجـهـ الـبـ تـكـينـ إـلـىـ مـلـاقـاهـ مـلـكـ الـهـنـدـ، وـقـدـ طـمـعـ الـكـثـيرـونـ فـيـ خـيـراتـ هـذـهـ الـبـلـادـ فـانـضـمـواـ إـلـيـهـ، وـهـكـذـاـ وـاجـهـ مـلـكـ الـهـنـدـ بـقـوـةـ كـيـرـةـ، وـقـدـ ظـفـرـ بـالـإـحـاطـهـ بـهـ وـيـازـالـهـ فـيـ مـأـزـقـ لـاـ يـسـتـطـعـ الـخـروـجـ مـنـهـ، فـاضـطـرـ إـلـىـ أـنـ يـطـلـبـ الـهـدـنـةـ، وـأـنـ يـعـلـمـ اـسـتـعـادـهـ لـتـكـينـ الغـزـنـويـنـ مـنـ الـثـرـاءـ الـذـيـ يـرـيدـونـ، فـأـمـرـ بـأـنـ تـسـلـ إـلـيـهـمـ الـقـلـاعـ، قـبـلـ الـبـ تـكـينـ هـذـهـ الـهـدـنـةـ، وـرـجـعـ مـلـكـ الـهـنـدـ بـجـيـشـهـ، وـتـقـدـمـ الـبـ لـيـسـتـوـلـىـ عـلـىـ الـقـلـاعـ، فـوـجـدـ أـبـوـ لـيـاـ مـوـصـدـهـ دـوـنـهـ، وـعـلـمـ أـنـ مـلـكـ الـهـنـدـ قـدـ أـخـلـفـ وـعـدـهـ، فـأـعـلـنـ أـلـاـعـمـدـ يـنـهـمـاـ، وـهـاجـمـ الـقـلـاعـ وـحاـصـرـ مـاـ لـمـ يـسـلـ إـلـيـهـ مـنـهـ وـفـيـ أـنـتـاءـ ذـلـكـ مـاتـ الـبـ تـكـينـ.

\* \* \*

وأجتمع الجنд الغزنويون فقال أحدهم : لقد أوقعنا الرعب  
في قوس المهد وحملناهم على خشيتنا فإن نحن أطلقنا الغسان  
لنزاواتنا الفردية ، وادعى كل منا أنه أحق بالزعامة ، فإن النصر الذى  
قيضه الله لنا ستعفى آثاره ، ويحل بنا من الهوان ما نعوذ بالله منه ،  
وسترتد إلى صدورنا السيف التى قتلتنا بنصاها أعداءنا ، فالاجر  
بنا أن نختار أشجعنا وأمضانا عزماً ليكون ملكا علينا ، فبایعه  
ونخلص له كابایعنا وأخلصنا لآب تكين .

واختار الجماعة يأجماع الآراء سبكتكين خلفاً لآب ، وهكذا  
أصبح الرقيق ملكاً لأقوى دولة في زمانها .

\* \* \*

وكان سبكتكين موقتاً في حياته ، وقد تزوج من ابنة حاكم  
زاولستان ، فولدت له ابنة محمود الغزنوی أشهر ملوك الغزنوين  
الذى ظلماً حدثت مولاي عن سيرته .

وقد من محمود على فن الحكم في أيام أبيه ، فإنه كان يصحبه  
في غزواته الكثيرة ويشتركه في إدارة شئون البلاد . ولذا فإنه ،  
حين أصبح ملكاً ، استطاع أن يوسع الدولة فبلغت أوجها في عهده  
ولكته على ما أتيح له من الملك العظيم ، ومع ما فتح الله عليه

في الهند ، فقد بلغ سنتان ، مع هذا كله كان يطبع في الألقاب ويسمىها ، حتى إنه خاصم خليفة بغداد ، لأنه لم يمنعه لقباً طلبه ، وكاد يعزله عن الخلافة ويولى عباسياً سواه .

قال ملكشاه : هذا مع أن محموداً كان سنياً مخلصاً ، وكان من أشد حماة الخليفة السنى غيره عليه . فحدثنا يا نظام عن جبه للألقاب وخاصمه خليفة بغداد من أجلها ،

( سياسة نامة ٢٧ )



## ٢٠ شيخ الطريقة

من " الله على عبد شقي بالتوبة عن الذنوب ودخول حلقة أهل التحقيق ، وهكذا أصبح صاحباً للدراوיש وتبدلت ذماماً أخلاقه حاملاً ، ولكن ألسنة السوء امتدت إليه توشه كالمماح فشكك في صلاحه وزهذه .

وإنك قد تنجو بالتوية من عذاب الله ، ولكنك لا تنجو من ألسنة الناس . فلم يطق ظلهم ، وذهب إلى شيخ الطريقة يشكو ، فبكى الشيخ وقال :

إنك أفضل مما يظلون فيك فكيف لا تشكر هذه النعمة .  
أنظر إلى ، ظنوا في الكمال ، وأنا أقرب إلى النقصان !  
( كلستان )



الألقاب كما تعلم يا مولاي جعلت جزاء وفaca على عمل نافع ، وأكرم الألقاب ما منحه الخليفة المسلمين للملوك ، وقد كان محمود شغوفاً بالألقاب ، فالتمس من القادر بالله لقباً فمنحه لقب «يمين الدولة» وبعد أن فتح محمود خراسان ونيم روز والعراق والمند حتى سنتان ، طمع في لقب جديد يتفق وهذا الملك الواسع ، فبعث إلى الخليفة ملتمساً لقباً جديداً أو أرسل مع رسوله هدايا كثيرة للخليفة ، ولكنه لم يجب طلبه .

وأتفق أن أنعم الخليفة على خاقان سمرقند ثلاثة ألقاب ، فلما سمع محمود هذا غضب وبعث إليه يقول : إني فتحت بلاد الكفار ورفعت لواء الإسلام فيها والتمست لقباً فضلت به على ، ومنحت خاقان سمرقند ثلاثة ألقاب مع أنه تابع لي ...

فأرسل إليه الخليفة يهدىً من رووعه ويؤكد له ، أن الألقاب ترفع من قدر حاملها وأنك بحمد الله رفيع القدر بغيرها ، أما خاقان سمرقند فتركى جاهل بنشد الألقاب ليشتهر بها ، ولذا فإن منحه

إياها ، ولم أمنحك ما طلبت عرفاً بقدرك وأنت تعلم مكانتك  
من فحسي .

وكان عند محمود جارية لها ذكاء وقد ، وكان يؤثرها على جواريه  
ويستمع إليها وهي تقضي الحكايات وسيرة الملوك ، فلما رأته الجارية  
غاضباً سأله عما يدعوه إلى العبوس وإطالة التفكير ؟ فقصص عليها  
قصته مع الخليفة ، وقال إنه يريد أن يظفر ببراءات ألقاب الخاقان  
ولم يحملها إليه أجر عظيم .

فقالت له الجارية : إنني ذاهبة عنده وسأريك بهذا الذي تريد ؛  
واستعدت الجارية للسفر ، وأمدتها محمود بكل ما تريده .

\*\*\*

سافرت الجارية من غزنهن إلى كشغر ، ومعها ابنها الصغير ،  
وقد اشتترت كثيراً من البضائع والإماء والغلامان ، وسارت إلى  
سمرقند ..

وبعد ثلاثة أيام اتصلت بالخاتون ، زوج الخاقان ، فأهدتها  
جارية حسناء ، وأفهمتها أنها كانت زوج تاجر غي ، وأن زوجها  
مات في الطريق ، وأنها استعانت بالخاقان والخاتون لدى خاقانات  
كشغر وأذبك ، ولهذا فقد ساعدتها على بلوغ سمرقند ، وأكدت  
لها أنها ستبقي خلصة لها وللخاقان ما عاشت ، وأقسمت على ذلك

بربها وبايتها الذى ليس لها غيره فى هذه الدنيا ، والتمست منها أن تأخذها جارية لها منذ اليوم ، فقد تعلق قلبها بها ، ولذا فقد عزمت على بيع حليها وما معها من بضائع لشتى ضيعة قريبة من سمر قند وذلك لتبيق قريبة من الخاتون ؛ فترى ولدها وتنعم بعطف الخاقان وزوجه ..

وسرت الخاتون بلقاء الجارية ، ووعدتها بالمساعدة وأمرت بإعطائها بيتاً تسكنه ، ومعاشاً يكفى نفقاتها ، ووعدتها بأن تتحدث إلى الخاقان ليهيا كل ما تريده ..

وسجدت الجارية للخاتون ، وقالت لها : أنت منذ اليوم سيدق ، والتمست منها أن تهيء لها مقابلة الخاقان لتحدث إليه ، فأمرتها الخاتون بأن تعود غداً ..

\* \* \*

فلما رأت الخاقان أفهمته أن بضاعة زوجها قد أفقق جل ثمنها بين هدايا خان كشغر ونفقات الطريق ، ثم أهدته غلاماً تركياً وجواداً مطهماً ، ورجته أن يقبلها جارية في قصره ، عسى أن تتمكن في ظله وظل الخاتون من تربية الطفل اليتيم ..

وكانت الجارية تهدى الخاتون هدية جميلة من حين إلى حين ، ثم كانت تقصد عليها وعلى الخاقان من جميل القصص ما قربها منها وجعلهما شديدي الحرص على مجلسها ..

ثم إنها كانت تهتم بجودها وتخرج بعيداً عن سرقة وتفوضى يومين أو ثلاثة ، وتبعد رسمولاً يعتذر عنها عند الخاقان والخاتون بأنها تريد أن تشتري أرضاً في القرية التي تقصسها ، فكان ذلك يثلج صدرى الأميرين فيقولان إن الجارية تعمل على إدامة الإقامة يتنا .

وكان الخاقان وزوجته يغدقان عليها المنح ، ولكنها كثيراً ما كانت ترفض منحهما ، لأن أميتها الوحيدة في الحياة - كما قيل - أن تسعد برؤيتها ، وقد يسر الله لها قوتها اليومي . ثم كانت توكل أنها إذا رغبت في شيء فإنها ستطلب منه نفسها .

وظلت على هذا النحو ستة أشهر ، إلى أن تمكنت من بيع كل أموالها بالذهب ، ثم أعطته إلى تاجر تعود الرحلة بين غزنين وسرقند ، واقتصرت مع خمسة فرسان على أن يتظارها كل منهم في مرحلة من الطريق بين البلدين .

وراحت الجارية إلى الخاقان والخاتون فقدمت تحية الصباح وقالت : إن لدى سؤالاً أخاف أن أقدم به إليكما ، فقالت الخاتون أطلبي ما شئت .

قالت : إنه لم يبق لي من دنياي غير طفل اليتيم الذى أعلمه القرآن ، والذى أرجو أن يوفقه ربى بيركة مولاتى ومولاي ، وإنه ليس أعز ، بعد كلامى الله ورسوله ، من هذه البراءات التى تصدر

عن أمير المؤمنين ، وكانتها خير من أقرانه جميعاً ، وإن أنتس أن  
يؤذن لي بأخذ هذه البراءات التي وجهها الخليفة لمولاي الحاقان ،  
ليقرأها ولدى مستعيناً بمعلمه في يومين أو ثلاثة . . .

فقالت الحاتون : أهذا كل ما تريدين ، ليتك طلبت مدينة أو  
ولاية ! ولدينا من هذه الرسائل خمسون ، فقالت الجارية يكفي  
واحدة يا مولاي .

قالت الحاتون لخدمتها خذ السيدة واعطها من الرسائل ما تريده ،  
فذهبت الجارية معه واختارت الوثائق التي طلبها محمد الغزنوی ،  
وانصرفت . . .

وفي الغداة أمرت بإعداد الركب لرحلة خمسة أيام ، وأشاعت  
أنها ذاهبة لشراء أرض في قرية بعيدة ، ثم سارت إلى ترمذ ، وكانت  
تقابل بالإجلال حيثما نزلت ، فإنها تحمل أمراً من الحاقان يمنحها  
امتيازات خاصة ، وفي الليل أكملت رحلتها بلغت بلخ قبل أن  
تعرف الحاتون أن صاحبتها قد قامت في رحمة من رحلاتها . . .  
ومن بلخ سارت إلى غزنة فأسلمت محموداً الغزنوی البراءات التي  
كان يريدها . . .

\*\*\*

وبعث محمود بهذه البراءات إلى الخليفة مع أحد الفقهاء المجلين  
مذكراً الخليفة بهذا الترك — خاقان سرقند — الذي ترك هذه

البراءات بغير رعاية أو عنابة ، فتناولتها الأيدي ، وقد لقيها أحد رجال السلطان ، وكان في جولة بسمرقند ، في يد طفل يبعث بها محاولاً قرايتها ، وهكذا استهتر الخاقان بهذه البراءات التي يمنحها الخليفة ، بدلاً من أن يجعلها في مكان أمين حتى لا يبعث بها أحد .

وغضب الخليفة حين سمع هذا الكلام وأرسل يؤذن خاقان سمرقند . وظل رسول محمود ستة أشهر يلتزم لقباً جديداً لسيده والخليفة لا يأبه بما يطلب .

فكتب هذا الفقيه إلى قاضي القضاة يسأله إذا كان يجوز لسلطان يعمل لنشر الدين ويحتجز في سبيل الله وهو بعيد عن الخليفة لا يستطيع أن يتصل به ليوقفه على أحواله ، أيجوز لهذا السلطان أن يقيم أحد بنى العباس خليفة ، ليكون قريباً منه ؟ فأجاب القاضي بالجواز .

فلما يئس الفقيه من الخليفة ، أرفق الفتوى بطلب اللقب وبعث بها إليه ، فلم يكدر هذا يطلع على الفتوى ، حتى أسرع ببعث حاجته للفقيه ، فلما مثل بين يديه أكرم وقادته . وخلع على محمود لقب « أمين الله » .

وهكذا ظهر محمود بلقب جديد ، ولكنه يامولاي لقب مقتضب ، وهذا الحادث ، وإن دل على ضعف محمود في هذه الناحية فإنه لا ينقى عظمة محمود وجدارته ولا تعلم الحسناء ذاماً .

( سياسة نامه ٤١ )

رأى ملك سائلا ، فقال له السائل : إني أغنى من جميع ملوك الأرض ، إني رجل الله .

قال له الملك ،

فكيف تكون أغنى من الملوك ؟

قال :

لأن الملك رجل يحتاج لأشياء كثيرة ، ولكن الدرويش لا يحتاج شيئاً ، وأنا درويش ، فأنا أغنى منكم جميعاً .

( سعدى — سلطان )



رأى رجل ميدان يوم القيمة في منامه . وكانت الأرض ساخنة وقد اقتربت الشمس منها ، وابتلى الناس بالجوع والعطش وحمل المذنبون أوزارهم على رءوسهم ، وكانوا يقدمون الحساب عنها ، ويسرون فوق الصراط ؛ فكان بعضهم يهوي إلى جهنم وقد نكست رأسه . وكان الميزان في الوسط ، في كفتيه الموازين والأعمال ، والناس جميعاً من الملوك إلى الدراوיש ، من الأقوية إلى الضعفاء ، مشتغلون بأعمالهم .

وكان كل نبي يحدث أمهاته قائلاً : لقد بینت لكم أحكام الله ، وحدثتكم عن يوم القيمة ، وأمرتكم بالمعروف ونهايتك عن المنكر ثم دعوتكم إلى عبادة ربكم وطاعته ، فإي الأحكام علمتم ، وأي الأوامر أطعتم ؟

والخلاصة أن قلوب الناس ، في ذلك اليوم ، كانت ملوءة بالدم وعيونهم ملوءة بالسمع والنتم .

وفي أثناء ذلك رأى النائم رجلاً قد اتشح ثوبه أزرق وعلى رأسه تاج الجنة ، وقد جلس في ظل العرش الأعظم .

فر به الرجل وسأله : أى عمل صالح قدمت في دنياك حتى كانت  
لـك العـقـبـي ؟

فقال :

حضرت على حافة الطريق بئراً ، وغرسـت بـجـوارـها شـجـرة ،  
وـذـلـك لـيـشـرـبـ المسـافـرـونـ والـغـرـباءـ منـ المـاءـ ويـسـتـرـجـواـ فـيـ ظـلـلـ  
الـشـجـرةـ .

وقد أتـيـ ، يـوـمـاـ ، فـقـيرـ حـافـيـ الـقـدـمـيـنـ ، عـارـىـ الرـأـسـ ، رـثـ  
الـلـبـسـ .. أـتـيـ فـيـ هـدـوـءـ وـوـقـارـ وـاسـتـرـاحـ سـاعـةـ فـيـ ظـلـلـ الشـجـرةـ ، فـدـعـاـ  
ربـهـ قـائـلاـ : « ربـ إـنـيـ آـوـيـتـ إـلـىـ ظـلـلـ شـجـرةـ فـلـانـ ، ربـ اـرـحـمـهـ مـنـ  
عـزـابـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ » . فـعـفـرـ اللـهـ ذـنـبـيـ ، وـبـلـغـتـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ بـفـضـلـ  
مـاـ قـدـمـتـ مـنـ الـخـيـرـ .

فـلـمـاـ اـسـتـيقـظـ الرـجـلـ مـنـ النـوـمـ كـانـ مـصـفـرـ الـوـجـهـ مـنـ الـخـوفـ  
فـخـرـ بـئـراـ وـغـرـسـ شـجـرةـ وـبـنـيـ مـضـيـفـةـ وـقـضـىـ مـاـ يـقـنـعـهـ فـيـ خـلـمـةـ  
الـمـسـافـرـيـنـ وـالـفـقـرـاءـ وـالـغـرـباءـ .

(جامع الحكايات)

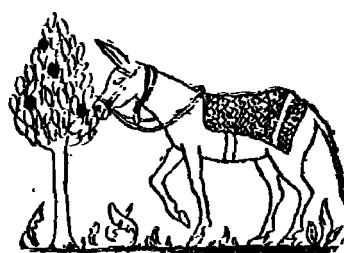
## ٢٤ المريض والبيطار

أصيب رجل ساج بمرض في عينه ، فذهب إلى بيطار وطلب منه أن يعالجها ، فوضع البيطار في عين الرجل ما يضعه في عين الدواب من دواء فعميت عينه .

فما رفع الأمر للقاضي قال :

ليس على البيطار إثم ، إذ لو لم تكن حماراً لما ذهبت إليه .

(سعدى - كلستان)



كان لأحد الملوك ولد قصير القامة نحيف الجسم ، وأولاد  
قامتهم كالسرور ، وأجسامهم ضخمة ؛ فكان الملك يذكره ابنه  
القصير ، وأدرك الوالد شعور أبيه نحوه ، فقال له :

يا أبا إبن قصيراً عاقلاً خير من طويل جاهل ، فليس كل من  
طالب قامته عظيمت قيمته ، ألم تر إلى طور ، أقل جبال الأرض ،  
ولكنه أحظمها قدرأً ومنزلاً عند الله ، ثم ألم تعلم أن المحسان العربي  
مع هزاره خير من الحمار السمين ؟ فلما سمع الملك ذلك ضحك ، وسر  
أركان الدولة ، وغضب أخواته .

وكان للملك عدو صعب المراس ، فأرسل جيشه ليحاربه ،  
فليسا التي الجيشان كان الأمير القصير أول من دهم العدو ؛ وكان  
جيشه الملك قليل العدد ، فأشار جماعة بالهرب حتى لا يغلبهم العدو ،  
فصاح الأمير القصير بالفرسان أن يثبتوا ويقاتلوا حتى لا يلحقهم  
الخزي ، وقد ظفر جيش الملك بالنصر في هذه الواقعة .

وسمع الملك ما كان من إقدام ابنه وشجاعته فقبله واحتضنه ،  
وأخذت مكانته تعلو لديه ، حتى جعله ولـى عهده ، فنقم عليه إخواته

هذه الحظوة ، ودسوا له السم في الطعام . وجاء الأمير القصير  
لأكل ، وكانت أخته واقفة تنظر ما يفعل أخوه ، فخشيت أن  
يأكل أخوها من الطعام المسموم فأغلقت النافذة بشدة ، فتبه  
الأمير للأمر ، وامتنع عن الأكل .

ولما علم الملك ما جرى بين أولاده ، دعاهم وأنهم ، ثم خص  
كل منهم بناحية من ملكه ، فأسرع الأولاد إلى إمارتهم حكموها ،  
وهذا ما ينفهم من نزاع .

وقد قيل : عشرة دراويش ينامون على كليم واحد ، ولا يستقر  
ملكان على إقليم ، ولو ظفر درويش برغيف أكل النصف وأعطى  
النصف الثاني للدراويش ، ولو ظفر ملك يأكليم لطعم في إقليم آخر .

( كلستان )



حين ولَى عمر بن الخطاب الخلافة ولَتَى سليمان الفارسي حاكماً  
لمدينة في الشام ورتب له خمسة آلاف درهم .

ولَكِن سليمان لم يكن ينفق على نفسه من هذه الوظيفة ، بل كان  
يشتغل في أوقات فراغه بنسج الزنايل من سعف التخل ، فيبيعها  
وينفق ثمنها ، أما وظيفته فكان يتصدق بها على الفقراء .

فسئل عن حكمة ذلك ، فقال :

خشيت أن أنفق راتبي في لذائذ الحياة ، فأفقد من عبادتي بقدر  
ما أجده من لذة .

(جامع الحكالات)



كن جماعة من اللصوص في رأس جبل ، وقطعوا طريق القوافل ، وارتعدت فرائص الرعية من مكايدتهم ، وحار جند السلطان معهم ، فقد اخذوا من فحة الجبل ملذاً منيعاً ، يأوون إليه ؛ فتشاور رجال الدولة لدفع هضرتهم ، وخشوا أن ترکوهم دأبوا على النهب والسرقة ، وتعذر مقاومتهم ، ويستفحلا خطرهم .

فإنك تستطيع أن تقتلع الشجرة التي غرسـتـ حديثـاً ، ولكنـهاـ إذا تركـتـ ، فـبـتـ فيـ الأـرـضـ أـصـلـهـاـ . فـإـنـكـ لاـ تـسـتـطـعـ اـقـلـاعـهـاـ .. فـقـرـةـ الرـأـيـ عـلـىـ إـرـسـالـ رـجـلـ ليـتـجـسـسـ عـلـىـ اللـصـوصـ ،ـ حـتـىـ إـذـاـ عـادـوـ مـكـامـهـ ،ـ أـخـبـرـ الرـجـالـ لـيـذـهـبـواـ وـيـخـفـواـ وـيـفـاجـئـواـ اللـصـوصـ فـيـ عـودـهـمـ .

وخرج قطاع الطريق في غارة لهم . وكن لهم رجال السلطان ، فلما عادوا ليلاً واستولى عليهم النوم ، داهموهم وقيدوهم واقتادوهم إلى السلطان ، فأمر بقتلهم جميعاً .

وكان ينهم قتي في عنفوان الشباب ، ومية الصبا ، فتدخل الوزير الطيب ، وشفع له عند السلطان ، وقال : هذا الولد ، كما

يرى مولاي لم يذق ثمرة حياته ، ولا تمنع بشبابه ، وإن ألا رجو  
أن يتفضل مولاي فيمن على بحقن دمه . فتجهم وجه الملك وقال :  
الخبيثون لا يتحطون بخصال الطيبين ، وإن التربية لا تجده فيهم  
فالأولى أن يقطع دابرهم ، وتمحي آثارهم ، والخير أن نقتلع أصولهم  
وفروعهم ، وليس من الحكمة أن تطفئ النار وتترك شررها ،  
أو أن تقتل الأفعى وتترعى صغارها ! لو أن السحاب أمرط ماء  
الحياة فإنك لا تخني من شجرة الصفاصاف ثمراً ، ولن تخني القصب  
من قش الحصير ، فلا تضع الوقت مع وضع الأصل .

فلا يسمع الوزير هذا الكلام ، اعنطر إلى الموافقة عليه ، وقال :  
إن ما أمر به مولاي هو عين الحقيقة ، فإن هذا الفتى لو سلك  
سلوك الأشرار لطبعهم ، ولصار واحداً منهم ، وأملي فيه  
أن تهذبه صحبة الأنقياء ، ويتحلى بحكمة العقلاء ، فإنه طفل بعد ، ولما  
تمكن منه سيرة أهل البغى والعناد ، وقد جاء في الحديث يا مولاي :

« ما من مولود إلا ويولد على فطرة الإسلام ثم أبواه يهودانه  
أو ينصرانه أو يمجسانه .. وأخذ يتكلم على هذا المنوال ، وأيديه  
جماعة من الندماء ، فحفا الملك عن الشاب وقال : عفوت عنه ولو  
أني لا أرى في ذلك خيراً .

ثم إن الوزير أخذ الفتى إلى بيته ، ورباه تربية صالحة ، وعهد بتعليمه إلى أستاذ أدب عليه حسن الخطاب ورد الجواب وسائر آداب الملوك حتى صار الفتى موضع أنظار الجميع .

وتحدث الوزير عنه عند الملك ذات مرة ، وقال إن تربية أهل الحكمة أثرت فيه ، وإن الجهل الذي كان فيه قد زال عنه ، فابتسم الملك وقال :

إن مصير ابن الذئب أن يكون ذئباً ولو شب مع الآدميين .  
ومرت على هذه الحال سنة أو سنتان ، واتصل جماعة من أوباش المدينة بالفتى ، وتعاهدوا معه ، فاتهرا الفرصة وقتل الوزير وولديه واستولى على ماله ، وسكن المكان الذي كان يلجم إله أبوه فوق قمة الجبل .

وبلغ الخبر الملك فقال :

إن التربية لا تصلحوضيع ، فالسيف البثار لا يخرج من ردائه الحديد ، والمطر الذي لا خلاف في لطافته ، ينبت في الحديقة زهرة اللالة ، ويخرج في الأرض الملحة ، الأعشاب ، إن استعمال الطيبة مع الأشرار ، كاستعمال الخبث مع الأبرار .

(سعدي—كلستان)

## بز جمهر الحكام

٢٨

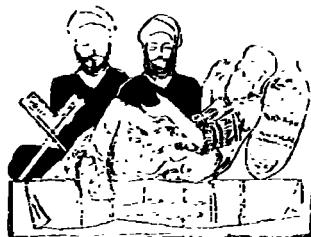
ذهب جماعة من أهل الحكم إلى كسرى يحدثونه في شأن من شؤونهم، وكان بزر جمهر جالساً مع كسرى، ولكنه أخذ يستمع إلى قول الحكام ولا يساعدهم.

فقالوا له: لماذا لم تتكلم لتأكيد قولنا عند كسرى.

فقال:

نحن كالأطباء والطبيب لا يصف الدواء لغير مريض . وقد رأيتم تحدثون إلى الملك بالحق فلم أر في كلامي فائدة لكم.

(سعى — كلستان)



قال نظام الملك محمدُّا السُلطان ملَكشاه :

أمرت يا مولاي أن أكتب لك هذا الدستور فلم يسعني إلا أن أضع بالأمر ، وكم كانت مهمتي يسيرة عندما استلمت سيرتك ، وتدبرت سياستك ، وأنت يا مولاي من أتاح الله تعالى له كل أسباب المجد ووسائل الخلود . وقد أراد الله بهذه الدولة خيراً فصبك عليها ملكاً ، ولم يكن الملك عليك جديداً وجدودك يملكون العرش منذ عهد جدك العظيم أفراسياب . وقد وهبك ربك من الصفات الجليلة ، والطلعة البهية ، والطبع المتعدل والعدل والشجاعة والعلم والشفقة والرحمة والوفاء والتسلك بالدين القوم ، وطاعة الله وتقدير العلماء وأهل الحكمة ، ما يجعل ملكك سعيداً ، قوى البنيان ، وارف الظلال .

والركن الأول في الحكم الصالح أن يكون الملك عادلاً يا مولاي وقد قيل : « الملك يبق مع الكفر ولا يبق مع الظلم » . فعل الملك أن يرضى ربه في حكم رعيته . واعلم أن الملك الذي يستمد قوته من حب شعبه له ، هو صاحب العرش المكين .

وقد حكى أن يوسف عليه السلام أوصى بأن يدفن بجوار جده  
ابراهيم ، فلما مات هموا بدفعه حسب وصيته ، فنزل جبريل من  
السماء وقال: ليس هنا مكانه ، فإن الله سوف يحاسبه عن حكم الناس.  
فإذا كانت هذه حال يوسف الصديق فكيف بالملوك من الناس ؟

\*\*\*

وقد حكى عن عبد الله بن عمر أنه حين اقتربت المنية من أبيه  
سأله متى يراه بعد موته ؟ فقال عمر : أراك يوم القيمة إن شاء الله .  
فقال عبد الله : وددت لو أراك قبل ذلك .  
قال عمر : إذا تراني في الرؤيا بعد يومين أو ثلاثة من موتي .

ومضت الليالي الثلاث ولم ير عبد الله أباه . وبعد اثن عشر عاماً  
جاءه في المنام ، فسأل الله عبدالله : ألم قلت يا أبا إني أراك بعد ثلاث  
ليال من موتك ؟ فقال عمر : لم يتحقق لي الوقت يا بني ، فقد كان ربك  
يحاسبني عن جسر تهم في أثناء فتح العراق ولم يصلحه العمال ،  
فعثرت به شاة فكسرت ساقها .

\* \* \*

فاعلم يا ولادي أن الله محاسبك يوم القيمة عن حكمك الناس  
فعليك ألا تقوض أمر الرعية ، التي اختارك الله لرعايتها ، لغيرك .

وعليك أن تعرف ما يجري بين الناس ، حكامًا ومحكومين ، سرًا وعلانية . وأن تصرب على يد المعتدين منهم ، وألا ظلم منهم أحداً .  
يرعاك الله ويؤيدك ويسدد خطاك .

وإذا كان القضاة يصدر أحكامه باسمك لأنك تستمد سلطتك من الله الذي هو العدل ، فعليك أن تكون على رأس القضاة ، وأن تقد محكمتك مرتين في الأسبوع لسماع شكاوى الرعية ، قدفع الظلم عن ظلم . ولتكن يتم ذلك على الوجه الأكمل ، ينبغي أن يستمع الملك بنفسه إلى الشاكين من رعيته ، وأن ترفع إليه جميع التحقيقات الخاصة بالقضايا المعروضة ، فيدرسها بنفسه ، ثم يصدر الحكم الذي يرى . متبوعاً بقواعد العدل والإنصاف . وكم يقل الظلم ، ويتضاءل النزاع . إذا ما علم الكافة أن الملك يرأس محكمته الخاصة مرتين في الأسبوع لسماع المظلوم والقضاء فيها بنفسه ، فإن هذا يرجع المعتدى عن عدوانه كما يرد من غوى عن غيه . وقد كان ملوك الساسانيين يحرسون على هذا التقليد أشد الحرص . (١)

\* \* \*

فقد سمعت يا مولاي أن ملكاً منهم ، كان أصم ، وكان يخشى

---

(١) يقصد جلوس كسرى للقضاء في عيد النوروز والمرجان .

ألا ينفل إلية رجاله شكايات الناس نقلًا أمنا ، فيحكم بينهم بغير العدل ، فأمر أن يلبس المتظلمون من الرعية ثياباً حمراء ، وألا يلبس غيرهم ثياباً من هذا اللون ، وذلك ليعرفهم الملك فإذا كان يوم النظر في المظالم ، امتطى الملك فيلاً ووقف في الميدان وجمع حوله ذوى الثياب الحمر ، ثم أخذهم فرادى في مكان قصى ، وأمر كلاماً منهم أن يرفع صوته عالياً حتى يسمع الملك شكوكه ، فينصفه .

\* \* \*

ولينتبه الملك إلى تقلب الأيام وغدر الزمان . ألم تر إلى المعدل ابن علي بن ليث الصفار ، وقد امتلأت بالمال خزاناته ، وقويت بالجيش دولته ، فشق على خليفة الله عصا الطاعة ، ومضى في سياسة أخيه ، مؤثراً العدوان على الوئام ، والحرب على السلم ، وكلما حاول الخليفة أن يهدى من ثورته استغشى ثيابه واستكباره استكباراً . ساق الجيوش الجراره ، واستعن بالمال الذى تقىض به الخزانة العامة ، ومضى يقاتل أمير المؤمنين الذى استجد بأبي نصر ابن اسماعيل الساماني ، فسار هذا لنصرته في جيش قل عدده وعدته . وشاء ربك أن تغلب قلة الساماني كثرة الصفارى ، وأن يؤسر فلم ينفعه ماله الوفير ولا جنده الكثير .

وكان المعدل ملكاً مترقاً ، يلتف حوله الكتاب والشعراء

والأمراء ، وكانت مائتها تسع ليلات منهم كل يوم ، وكان مطبخه يحمل على أربعائه جمل حين يرتحل ، فلما وقع في الأسر وعنه المجموع طلب من أحد حراسه أن يبحث له عما يسد به رمقه ، فسارع الجندي واشتري قليلاً من اللحم واستعار موقداً ، وقبل أن يتم نضج اللحم أغرت راحته كباباً فأقى وكشف عن الإفشاء الغطاء ، ولما مد فه ليأخذ قطعة منه أوذى بحرارته بفرى وقد علق الإناء برقبته فلما رآه المعدل ندم وقال :

أرأيت من أصبح أميراً وأمسى أسيراً .

فعل الملك أن يتبصر بما تنبئه الأيام وأن يعمل لغده كما يعلم ليومه ، وأن ينظر إلى تاريخ الملوك ليتخد منه العلة والعبرة . و قال الله يا مولاي شر الزمان ، وأمنك غيلة الأيام .

( سياسة نامه ٢ )



## النوروز

علا عرش إيران في الأزمنة القديمة ملك عظيم اسمه جمشيد ، وقد أولع هذا الملك بحب بلاده ، فكان يكرس وقته كله لخدمة ورعاية مصالحها . وقد استطاع — بماله من حيلة وذكاء — أن يستر الجن ، وأن تذعن له الطير ، ولم يكن أحد من ملوك عصره يدانيه في قوته وبسطة سلطانه . ولم يكن جمشيد مع ما أوتي من أبهة الملك ، وسعة البلاد ، وخضوع الجن ، وإذعان الطير له ، لم يكن مع هذا كله متكبراً على الإيرانيين ، بل كان يحبهم ويكثر من الاجتماع بهم والتحدث إليهم ، وكان إذا اجتمع بالإيرانيين يقول لهم : إني قد ملكتكم بما خصني الله تعالى به من فضله ، وألبستني من نوره ، لأنعم الأرض ، وأؤمن الخلق ، وأبسط العدل ، وأكثر البذل ، وأحيي الخير ، وأميت الشر . وكان الإيرانيون يسمعون هذا الكلام ويتناقلونه ، فزداد مكانة ملوكهم في نفوسهم ، حتى إنهم كانوا يسجدون له .

\*\*\*

وكان بجواره ملك يحقد عليه ما اختص به من نعم ، وأدرك جمسيد ما يضره هذا الملك من سوء له ، فاستعد لقتاله ، وقامت الحرب بين ملك صيدون وجمسيد ، ونزل هذا بنفسه إلى المعركة فضرب عدوه ضربة قصت عليه ، فانقض جنده وخضعت بلاده ، فدخلها الملك الظافر ، وأقام في بيت الملك المغلوب . وكان ملك صيدون بنت ذاع صيت جمالها ، وحسن أدبها . فلما رأها جمسيد أحابها ، وأراد أن يتزوجها ، فلم تستطع أن ترفضه وتزوجها وسار معها إلى إيران .

وكان بنت ملك صيدون تحب أباها جباراً عظيماً ، ولم يكن زواجها من أعظم ملوك الأرض ، وأوسعهم ملكاً ، وأكثرهم ثراءً لينسىها أباها ؛ فهى حزينة عليه حزناً زهداً في كل ما في قصر جمسيد من أبهة وجمال . وكلما حاول جمسيد أن يخفف من حزnya أو يشرح من صدرها لم تلتفت إليه ولم تتأثر بما يعمل لإرضائتها . ودخل عليها ذات يوم فإذا بها تبكي وتندب أباها ، وتذكر أيامه الحالية ، وأيامها السعيدة في عهده ؛ فأشفق عليها جمسيد ، وخشى أن تهلك إذا دأبت على البكاء ، فسألها أن تعاونه في إيجاد وسيلة تنسيها أباها ، وتلتفتها إلى ما هي فيه من خير ونعماء . وتحقق آمال جمسيد في أن تكون ربة هذا البيت الذي أعد لها ، وملكة على هذه البلاد التي تحبها جباراً . قالت السيدة الحزينة : من مهرة

الفنانين بعمل صورة لافي حتى أراها كل يوم ، لعل هذا يخفف حزني وينسني فرافقه . فكان لها ما سالت .

\* \* \*

وعكفت بنت ملك صيدون على عبادة صورة أبيها ، وأدرك جوارها أن سيدهن تسجد للصورة التي أعدها الشياطين لها ، وأنها تبعدها من دون الله ، فسجدن للصورة كما تسجد سيدهن ، واتخذن مكانها معبداً لهن ، وأخذن يقمن الصلاة ؛ ويتوجهن بالدعاء للصورة التي صنعها الشيطان في قصر الملك جشيد . وكان الصديقون يسمعون بما يجرى في قصر الملك من عبادة الصورة فيرفعون أيديهم يدعون ربهم أن يرفع عنهم هذا البلاء وأن يخلص إيران من عبادة الصور .  
وكان جشيد خاتم هو سر تسخيره الجن وإخضاعه الطير ، وهو الذي يحيي له ما يلقى من النصر في حربه والسعادة في ملكه . وكان لا يزع هذا الخاتم من إصبعه ، إلا حين يدخل الحمام ، وحيثندיו دعه خادمة مخلصة اسمها « الأمينة » .

فلما أعرض جشيد عن نصح الصديقين ، ولم يقض على بنت ملك صيدون وبذاتها ، غضب الله عليه فسلط عليه صاحب البحر « صخراً » ، وهو من المردة الشياطين . فاقهز هذا فرصة دخول جشيد الحمام ، وتركه الخاتم مع « الأمينة » ، ففريا بزيه ، وقلد صوته ،

وذهب يطلب الخاتم من «الأمينة»، فأعطيته إياه، ولم يكدر يلمسه حتى  
أصبح في مقدوره أن يحكم الإنس وأن يخضع الجن لأمره وأن يجعل  
الطير تعكف عليه، فلما أخذ الخاتم وضعه في أصبعه، وأسرع إلى  
عرش جحشيد فاستوى عليه ...

وخرج جحشيد من الحمام فطلب الخاتم من «الأمينة»، فأنكرته  
وهزأت به وقالت إن جحشيد أخذ خاتمه وإنه علا العرش.

خرج جحشيد من قصره وقد تغيرت هيئةه ، ورثت حاله ،  
وراح بلتمس الرزق من معاونة الصيادين في البحر . ولم يكن من  
اليسير على جحشيد أن يتحمل قسوة الحياة وذلة العمل مع الصيادين  
فسكان يذكرون بحاله ، ويحدثهم عما كان له من الملك العظيم ، ولكنهم  
 كانوا يسخرون منه ويتخونه هؤلاء لهم ، وتضائق أحدهم من قصته  
 فنها عن التحدث بها ، فلما عاود جحشيد الحديث فيها ضربه فشجع  
 رأسه ، فكان يستعين بماء البحر لتنظيف جرحه ، ثم أخذ يستغفر  
 ربـه ويطلب عفوـه .

• • •

اما صخر ، الشيطان ، فقد علا على أهل الأرض واستضعفهم  
 وسار فيهم سيرة لم يألفوها من قبل ، والتفت «آصف» وهو من  
 الصديقين ، فإذا به يرى الخير قد أصبح شراً ، والعدل خلماً ،

ويرى أعمال جمشيد وقد تغير طابعها ، فلن عماره الأرض إلى خرابها ، ومن إحياء النقوس إلى قتلها ، ومن بث الحير إلى اقتلاع بذوره وغرس الشر . فرآه مارأى ، وراح يصلّى ويدعوه أن يعينه على إدراك الحقيقة . وذهب «آصف» ، فسأل نساء القصر هل لا حظن على جمشيد شيئاً ، فإذا هن قد سمعنه ، وإذا هن ينكرون منه كل شيء ، إنه قد بُدل تبديلاً .

وجمع «آصف» الصديقين ، فأخذوا يأتلون كتابهم ويتصرون عنون إلى الله ، يسألونه الرفق بالناس وصلاح الحال . ومكر الله بضر ، والله أشد مكرًا ، وأدرك ضر أن عذاب ربه محظوظ ، خاف على نفسه وطار إلى البحر ، فوقع الخاتم من إصبعه ، فابتلعه سمكة وغاصت به في اليم .

• • •

وكان جمشيد يشتغل أجيراً عند صياد ، وكان أجراه سمكتين كل يوم ، فلما كان يبيع واحدة ليشتري بثمنها خبزاً ، ويشوى الأخرى ليأكلها . وذات يوم شق بطن السمكة قبل شهبا ، فوجد الخاتم فيها فأخذته ، وحمد الله على أن رد إليه ملكه ، وأدرك أن ربها . لذاقه لم يعود ينادي بها أباح من عبادة الصور في قصره أربعين يوماً .  
وكلن الإيرانيون في حضن ما أصابهم أيام ضر ، فقد زالت البركة عليهم ، بخفت الأنوار ، وسكنت الزهر ، ومات الورع ،

وسادت الشياطين . وقد أخذوا يتطلعون إلى السماء ويدعون ربهم أن يرفع عنهم سخطه وغضبه ، وأن يدفع عنهم السوء ، وبينما هم في دعائهم إذا بعجة من العاج والساج ، مفروشة بالدياج ، يحملها الشياطين على أكتافهم ، قد أقبلت بين الأرض والسماء ، وفيها ملوكهم جمشيد وقد جلس على عرش من الذهب ، ومن فوقه هالة من نور وقد انعكست أشعة الشمس على العرش الذهبي فتلاً ، وبدأ في أروع منظر ، فعلا هتافهم إلى عنان السماء ، حمدًا لله وشكراً ، إذ رد إليهم ملوكهم ، وصرف عنهم السوء ، وصاحوا فرحين : نوروز آمد ، أى جاء اليوم الجديد .

وكان هذا أول الربيع ، وهو عيدهم الأعظم .

## المهرجان

وطال عهد جمشيد ، وملا الأرض عدلاً وخيراً ، ونظر فإذا كل من عليها خاضع له يخشاه ، فأخذه الغرور بنفسه ، وأدعى الألوهية ، وأمر الناس بعمل تماثيل له يعبدونها من دون الله ، فأغضب هذا ربه ، وسلط عليه الضحاك العربي ، فانزع الملك منه وقضى على جمشيد .

ويظلم الضحاك الإيرانيين ، ويقتل أبناءهم ليطعم بأدمغتهم ثعبانين كانوا على كتفيه ، ويثور عليه الناس ، ويلعى عرش إيران أفریدون ،

من نسل جحشيد ، فيحارب الضحاك ويهزمه وياخذه مقيداً فيلق به على جبل دعاوند ، ويخلص الإيرانيين من شره .

وجلس أفريدون على عرشه ، واعتسب بالتأج ومن حوله ملوك الأوساط والأطراف ، وأساري وجهه تبرق فقال : «شكراً لله فقد أراح البلاد والعباد من شر الضحاك ، فقضى عليه بالهلاك ، وطهر الأرض من خبيثه ، وأخلاقها من جوره وسحره ، وبذلكم به من يحمي حماكم ، ويعدل فيكم ، ويحسن إليكم ، وينعم عليكم ، ولا يدخلكم في النظر لكم ». فارتبت الأرض بالسرور وامتلات شكرأ وثناء ، كما امتلت السهام دعاء ، وانصرف الناس إلى أعمالهم ، فعمرت الأرض وزادت الغلات وعم الرخاء ، واحتفلوا يوم ارقاء أفريدون العرش وهو عيد المهرجان ، أى محجة الروح .  
وكان هذا أول الخريف .

\* \* \*

وفي هذين العيددين يجلس الملك لسماع ما يرفع إليه شعبه من شكاوى ، منه ومن ولاته وقضائه . وكان الملك يأمر بالنداء قبل قعوده بأيام ليتأهب الناس لذلك ، فكان كل متظلم يحضر شكايته ، وكل خصم يعد دفاعه ، وكثير من الناس يفضرون ما بينهم من منازعات خشية عرض أمرهم على الملك . وكان رجال الملك يقفون على أبواب القصر ليكتسوا للناس دخوله ، وقد فرضت عقوبة شديدة

على من يعترض أحداً في دخوله القصر أو يمنعه من ذلك . فإن على الملك أن يرفع عن رعيته الظلم ، مما يكن مصدره ، في هذين العيدين الذى خلص الله فيما إيران من الشيطان ومن الضحاك ، وكان المنادون ينادون : «من حبس رجلاً عن رفع مظلمته فقد عصى الله وخالف سنة الملك ، ومن عصى الله فقد أذن بحرب منه ومن الملك».

وتتظر شكاوى الناس ، فإذا كان منها ما يخاصم فيه الملك ، تنجي هذا عن نظرها ، ثم رأس المحكمة الموبدان موبد . ويقوم الملك مع خصمه فيجتوان بين يدي الرئيس ويقول له الملك : إن الله قد اصطفاك اليوم لتحكم بيننا باسمه ، فإذا خشيت الملك ولم تعدل في حكمك فإليك تغضب الله ، وإذا رأيتك العدل ، وكان الملك ظالماً فكنت عليه فإليك تغضب الملك ، والله أحق أن تخشاه ، ولتكن جديراً بال موقف العظيم الذي تقف .

ويقف الموبد فيئى على الملك ويدعوه بالخير ويقول له إن الله إذا أراد بعباده السعادة فإنه يولي عليهم ملكاً تحرى على لسانه الآيات التي ذكرت ، فإليك تدعوا إلى العدل واتباع أمر ربك ، والله خير العادلين .

وينظر القاضي الشكوى ، فإن كان الملك خططاً حكم عليه

بتغريض خصمه ، وإن كان الملك مظلوماً حكم على خصمه ، حتى لا يحرر الناس على اتهام الملك بالباطل .

وبعد ذلك يجلس الملك ليفصل في ظلامات الناس ، وذلك كي يكون الإيرانيون في هذين العيدين سعداء ، منشحة صدورهم بالعدل ، راضية نقوتهم عن الملك .

### روزتير

وأقامت الحرب بين الفرس والترك ، وظفر هؤلاء بإيران؛ وقد أصطلح المكان ، أفراسياب ومن ورائهم ، على أن يأخذ ملك إيران رمية سهم من بلاده ليحكمها . واشترى الملك اسفندارمذ في صنع النشابه والسيم ، وأمر من ورائهم أرش ، وهو من رجال الدين الأذكياء بأخذ القوس ورمي السهم ، فقام وتعرى وقال : أيها الملك وأيها الناس أنظروا بدن فإني بريء من كل جراحة وعلة ، وإنى موافق بأنني إذا رميت بهذه القوس تقطعت إرباً وتلفت نفسى ، وقد جعلتها فداءاً لكم . ثم تجرد ومد القوس بما وبه الله من القوة ، وأطلق السهم فسار في الجو ، وحمل الملائكة السهم مسافة ألف فرسخ ، وأصطلح المكان على تلك الرمية . أما أرش فإنه قد هلك بعد أن رمى ، وهكذا عاد لإيران واستقلالها .

وأخذت الفرس عيداً لهم في هذا اليوم الذي تخلصوا فيه من أفراسياب ملك الترك ، وعادت السيادة الكيانية على بلاد إيران ، وهو يوم روزتير ، أي يوم الرمية ، الرمية التي حررت إيران من الترك .



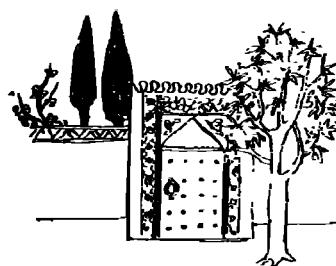
## ٣١ أخوات

كان أحدهما يعمل في حاشية السلطان ، ويتمتع بالجاه والنفوذ ،  
ويعيش بغير كد ولا عناء ، وكان الآخر فقيراً يعمل بذراعيه طول  
يومه ليحصل على قوته .

قال الغني لأخيه الفقير : لم لا تدخل في خدمة السلطان ل تستريح  
من الكد والعناء ؟ .

فقال الفقير لأخيه الغني : لم لا تكدر أنت وتخلص نفسك من  
الذل والهران في خدمة السلطان ! .

( سلطان )



كان على حدود بلاد الغور رجل جبار ، أوّي من القوة والجرأة ما مكنته من أن يملك هذه الناحية ، وقد أولع باغتصاب حمير أهل القرى ، فكان يأمر بالاستيلاء عليها ، فيحملها فوق طاقتها ولا يطعها فكانت تهزل ثم تهلك ، وهكذا السفلة إذا الزمان رفعهم درجات ملتويا قلوب الفقراء غمًّا وكدا .. وهكذا الوضيع إذا الزمان رفع عاد بيته ألقى القاذرات على ما تحته من أسفاف الجيران ..

وقد سمعت أن هذا الملك خرج للصيد يوماً ، فلقي غزاً فسراً على أثره ، حتى ابتعد عن حاشيته ، وأرخى الليل سدوله ، فضل طريقه ، ووجد نفسه في قرية ، فلم ير بدأ من الميت فيها .

\* \* \*

ونزل الملك عن حصانه ثم ربّطه واستعد لينام ، ولكنه رأى رجلاً ومعه حمار قوي ، يقدر على حمل الأثقال ولا يبدو منه ترافق ولا كلام ، وقد أمسك صاحبه ببعض وأخذ يدق به عظامه ، في قسوة لا تخدعها رحمة ، وشدة لا تعرف ليناً ؛ والحمار يأن من

كثرة ما أصابه من أذى ، ويتوى من فادح الضربات ، ولكن  
ليس من يرحمه أو يرفق به . فصاح الملك على الدهقان :

أصخرة أنت لا تحركك تأوهات هذا الحيوان الآخرين وقد  
أعجبتك قوتك فرحت تصب عليه عذابك صباً ؟ كأن بقلبك قد قدّ  
من صخر ، أو كأن بك وقد ذهب عقلك فغاب عنك سوء ماقترف.

فلا سمع الرجل قول الملك صاح في وجهه قائلاً :

إني لم أضرب حماري قسوة من عليه ، أو رغبة من في تعذيبه ،  
ولست أقدم على ما ترى حماقة أو جهلاً ، وما دمت يا صاحبى تجهل  
أمرنا فمن الخير لك أن تدع ما لا يعنيك ، فإنك لو عرفت الحقيقة  
لادركت أن ما رأيت لا يجانب الصواب ، ولا هو من الزلل .

\* \* \*

لم يعجب الملك بهذا الكلام ، وأراد أن يتبيّن الحقيقة من الرجل  
أليس هو الملك ومن واجب الملك أن يقف على أحوال رعياته ؟  
والرجل يجهل أنه الملك فهو يصدقه القول ، وسيوثقه على الحقيقة  
سافرة ... فقال : تعال حدثني عن ضربك حمارك هذا الضرب المبرح  
فإن جد راغب في الاستماع إليك ، وما أظن أنك سكران ، ولكنني  
أخاف أن تكون بك جنة . فرفع الرجل نظره إليه وقال : حسناً  
أيها التركي ، فإنك لا تعرف من أمر بلادنا شيئاً ، هلا أتاك حديث

الحضر وقد ركب السفينة مع موسى خرقها ، ولم يقل أحد إن الخر  
كانت تلعب برأسه أو إنه مجنون ؟

قال الملك : ولكنك أيها الفظ الغليظ القلب لم تدر أن الخضر  
قد خرق السفينة ليعييها ، فإنها كانت لمساً كين يعملون في البحر ،  
وكان من ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ، وكانت القلوب منه  
واجفة ، والناس منه في رعب ، وما أشاك أملك توافق على  
أن سفينتك معيية وهي معك خير منها سليمة وهي في يد  
الملك الغاصب .

فضحك الدهقان عاليًا وقال : إذا فاتنا على حق يا سيدي ، فإني  
لم أكسر رجل حماري عن قسوة من أو جنة بي ، وإنما فعلت ذلك  
حتى لا يقع في يد ملوكنا الظالم ، فإنه يأخذ كل حمار غصباً ! وتمارى  
معي وهو أعرج خير من فقدمه سليمان لأخذ الملك فيحمله مالاً يطير  
ولا يطعمه فهلاك . ألا تعلم أنه يأخذ حميرنا ويظلمنا وأنه سيجازى  
يوم القيمة حين يتحقق المكر السيء بأهله ؟ وسترى أن هذا الذي  
يحمل الحمير مالاً يطير من أحماله سيحمل أثقالها جميعاً يوم الحساب  
فينبو بها ، ويتردى في جهنم ويسقى القرار . إنه ملك شقى ، يحسب  
سعادته في ظلم الناس واغتصاب الحمير ... ادع الله تعالى أن يهلك هذا  
الملك الظالم ، فإن في موته الخلاص من الظلم ، والأمن من الخوف ...  
ألسنت ترى معنى أنه سيء الطالع ، لا يسعد إلا في شقاء الناس ،

ولا ينعم بالسلطان إلا يفزع رعاياه منه ، ونسى أن محبتهم قوة ،  
وأنها خير ما ينعم به الملك العادل ؟

\* \* \*

سمع الملك هذا الكلام فأرتع عليه ولم يحر جواباً ، فاستأذن صاحبه ، ورقد بجوار حسانه يريد أن ينام . ولكن كيف يأوى النوم إلى جفونه وقد سمع من الرجل ما أقض مضجعه ، ونفي الكري عن عينيه . إن قلبه متعب ، وإن روحه قلق ، فإنه يظلم الناس ، وهم يخافون بطشه وغضبه ، هم منه كالخضر يخرق السفينة حتى لا يخصبها الملك الظالم . . . وراح بعد النجوم إلى أن كان السحر ، وغردت الطيور مستقبلة الصباح فرحة مستبشرة ، فهض حزين الفواد ، كاسف البال ، فرك حسانه وأخذ يتأمل في الأفق ، حسرةً واستغفاراً .

وأخذ رجال الحاشية يبحرون عن ملتهم ، وفي الصباح الباكر اهتدوا إلى آثار حوافر حسانه قبعواها إلى أن وجدوا الملك وقد ركب حسانه ووقف ينظر إلى القضاء ، شارد اللب ، حائر النظرات . وأقبلوا عليه وتجمعوا من حوله ، مظهرين له الطاعة والخضوع والولاء . وأخذ الملك يتحدث إليهم وهو يسمعون ، ثم مدت المواتيد دارت كثوس الراح ، وانطلق أهل الغناه بذنب الألحان . وفي هذا الجو الضاحك ، اللاهي ، الساخر ، تذكر ما كان من حديث الدهقان معه بالأمس ، وما بدر منه من الغلطة والخشونة

والغريب فيه . وجري الجندي يبحرون عن الدهقان في كل مكان حتى ظفروا به ، بغيره مقيداً وألقوه أمام الملك .

ولم ينتظر الجلاد أمراً ، بل إنه أخرج السيف من غمده ، ورفعه يريد أن ينقض به على رقبة المسكين فيزهق روحه ، وأبصر الدهقان نفسه أمام الرجل الذي صار حمه القول بالأمس ، فإذا به الملك الجبار بعينيه ، وألقي نفسه يائساً من حياته . إنه في يد الملك الظالم الغاضب وقد تطاول عليه ، وإنه يرى الجلاد يستعد للضرر به القاضية :

ألا أيها الملك ترق ، فما قتلي بمجديك نفعاً ، ولا هو يمسكك عنك ألسنة الخلق ؛ ولئن قلتَ نفساً بريته بغير نفس ولا ذنب فإنك لن تستطيع أن تقتل الناس جميعاً ، ولا تحسين حديثي معك بالأمس يحل لك سفك دمي ، فإن قد حدثتك بما في قلوب رعاياك من سخط عليك وبغض لك ، وأولى لك ثم أولى أن تتدبر الأمر ، وتعدل في الناس .

ألا أيها الملك ترق ، فما هذه الحاشية التي من حولك بمحظة لك ، ولا هي راضية عنك ، إنما جمعهم حولك الخوف منك أو الطمع فيك . ولقد رأوك تأكل التراث أكلاماً ، فهم يأكلون معك ، وتحب المال حباً جماً ، فهم يحبونه معك ؛ ولو واثة أزم الأمر ، وذهب عنك الحول والطول ، لانقضوا من حولك ، وهم إن تقفوك بعد هذا كانوا أعداء لك ، وبسطوا إليك أيديهم

وألسنthem بالسوء ؛ فلا تعملن برأيهم ، فما تسكت ألسنthem عن قول الحق فيك غير ما أنت عليه من قوة ، وما لك عليهم من سلطان .  
ألا أيها الملك ترقق ، وتخير لك أن تدبر أمرك ، وتندم على ظلمك الناس ، و تستغفر ربك ، ولكن وجدت في نفسك من القوة ما يتسع لك سفك دمي فغداً تقف أمام الواحد القهار ، وقد زدت وزراً على ما يثقل كاهلك من الأوزار . ولتسألن عن روحي ماذا جنت عليك لتزهقها . ولقد رأيت بالأمس وقد عجزت عن إيجابي وأنا بشر مثلك ، بل أنا عبد من عبادك . فكيف بك غداً وأنت أمام ربك المستقم الجبار . . .

\* \* \*

وتهامس الحاضرون من حاشية الملك ، وعابوا على الدهقان جرأته ونادوا بقتله . أما الملك فرفع رأسه إلى السماء واستغفر ربـه ، ثم قـلـ قـيدـ الرـجـلـ بـنـفـسـهـ ، وضـمهـ إـلـىـ صـدـرـهـ وـقـبـلـهـ :  
يا سيدى إنى وجدت فيك خير الناصحين ، وإن لك القرية التي أنت فيها ، والتي هداني ربـ يوم حلـتـ بهاـ ؛ فأنت منذ اليوم والـهاـ ، وأنت منـ الأخـ الصـديـقـ وـالـولـيـ الحـيمـ .

ثم نظر إلى حاشيته وقال : حقاً إن الملوك لا يجدون في أصدقائهم وحاشيتهم من يجرؤ على قول الحق لهم . فإن الصديق لا يرى عيوب صديقه ، وعيوب الملك حسنات عند بطانته ، والعاقل من يعرف صفاتـهـ منـ خـصـمـهـ ، لأنـهـ لنـ يـعـرـفـهاـ منـ صـدـيقـهـ .

(بيان)

كان مؤذن في مسجد سنجار قد تطوع للأذان ، وكان صوته منكراً تنفر منه الأسماع . فسمعه الأمير الذي بن المسجد فأشفق على الناس من سماعه ، فناداه وقال له : يا صاحبي ، إن بالمسجد مؤذنين أفقد كلاً منها خمسة دنانير في الشهر ، وقد رأيت أن أعطيك عشرة دنانير على أن تذهب إلى مسجد آخر .

فانتقل المؤذن إلى مسجد آخر ، ولكن لم يلبث أن جاء إلى الأمير وقال :

ذهبت يا مولاي إلى مسجد كذا وأذنت فيه ، فعرض على أمير الجهة عشرين ديناراً على أن ترك المسجد ، فلم أقبل العرض قبل أن أسألكم ، فإذكم بهذا فقدون في شخصي كثيراً . . .  
فابتسم الأمير وقال :

حذار أن تتركهم ، فإنهم سيعرضون عليك خمسين ديناً !  
(كستان)

## القط والفتار

٣٤

كان بكرمان قط ضخم الجثة ، حاد المخالب ، شديد الاقتراس ،  
كانه تنين . كانت بطنه متتفخة مثل الطبل ، و خده مصعرأً مثل  
السرس ، وذيله طويلاً كذيل الأسد ، وأظافره قوية كأظافر النمر .  
كان هذا القط يخيف الفهود إذا سمعته يموء ، وكانت الأسود تولي  
هالعة إذا رأته يتحفز للصيد .

وقد اختنق هذا القط ذات يوم في خماره وراء دَن الخنزير ، كما  
يختبئ اللص في الصحراء .. إنه يريد صيداً ، فرأى فأراً يخرج جفاة  
من ثقب في الحائط . وبصعد الفار إلى الدن وينظر إلى الخنزير فتشوّقه  
رائحتها للشراب ، فيقبل ويشرب حتى يفقد صوابه . فلما لعبت الخنزير  
برأسه أخذ يتحدث مختالاً مزهوأً : أين القط أقطع رأسه ، وأحسوا  
بالتبني على جلده ، ألا ليته يقوى فيخرج لللقاء في الميدان !

فلم يسمع القط هذا الكلام ، وعرف ماملاً نفس الفار من الغرور ،  
استعد لِألاكه ، فإنه سكران ثرثار . وقفز القط فأمسك الفار  
بخالبه ، فبكى هذا وتضرع واعتذر : هلا عفوت عن مسكي أقدمه

الآخر صوابه ، وأطار الغرور شده ، وقد وقع بين يديك لا حول له  
ولا قوة ، فاقداً كل شيء إلا الأمل في عفوك ؟  
وهكذا راح يتلمس العفو من القطب الغاضب .

لم يفكر القطب في تأوهات الفار ، ولا رق قلبه لضعفه ، وقد  
أعجبه لمه ، فسأل لعابه وأقبل عليه غير آسف فهشه وازدرده ازدراها  
فائلًا : كفاك خداعاً ومكرًا ، فقد فضحتك نواياك .

\* \* \*

وشبّع القطب ومسح فه بلسانه ، وخرج من الخمارة إلى المسجد  
فتوضأ وأخذ يتلو الأوراد كأنه من أهل الصلاح الزاهدين ، ثم سار  
إلى المحراب فجلس واستغفر ربّه وتاب وأناب وأقسم ألا يأكل فاراً  
بعد ذلك ، وأخذ يدعوه نادماً على أكله الفيران الضخاء ، نادراً  
منثنين من الحبز صدقة وتکفيراً عن ذنبه ، ثم أخذه الورع  
وتملكته التقوى فأجهش بالبكاء .

وكان وراء المحراب فار يسترق السمع ، فأشعبه ما سمع من القطب  
وراح يبشر إخوانه بندم القطب وتبته ، ويحدثهم عن وضوئه  
وصلاته ودعائه وأنه أصبح مسلماً عاملاً ، يؤدى الفرائض  
ويختى الله .

وفرح الفيران بما يشرهم صاحبهم به ، وأخذوا يفكرون فيما  
يعلمون لهذا القطب الذي اهتدى ، جزاء هدايته ومحبته لهم ، فأجمعوا  
على أن يرسلوا سبعة من زعمائهم ليعبروا له عن صادق موذتهم

وخلص وفائهم، وحمل كل منهم من المدايا والطرف أشكالاً وألواناً،  
وسار الوفد إلى حيث القط فوضعوا أمامه هداياهم .. العنب والتمر  
والجبن واللبن والزبد والخنزير والأرز وعصير الليمون . وتقدم  
رئيسهم فأعرب للقط عن إعجاب الفيران بسلوكه وهدايته ، ثم قال :  
إنه حضر مع إخوانه بهذه الهدية عرفاًاناً بالجميل ومبادلة للصداقة  
والولاء .

وكان القط قد أمضى أياماً في الصلاة والعبادة ، صائمًا عنأكل  
الفieran ، فلما رأى وفهم قد جاء عنده طائعاً مختاراً ، تبسم ورفع  
رأسه للسماء وقال . حتاً ، « وينزل لكم من السماء رزقاً » ، وقد رزقه  
ربه جزاء صبره وعبادته . ثم نظر إلى الفieran السبعة قائلًا : « تقدموا  
أيها الرفاق فإننا تربطنا منذ اليوم أو ثق الصلات » ، وتقديم الفieran ،  
مرتعدة فراصهم ، لا تكاد أرجلهم تحملهم وأقبل القط يستقبل  
ضيوفه وحلفاءه متند الخطى ، ثابت النظارات ، هادىء النفس ، حتى  
إذا صار منهم على مسافة قصيرة ، قفز فأمسك خمسة منهم ، في كل  
من مخلبيه اثنان وفي فه واحد ، وأما الفاران الباقيان فقد ملئا دعاء  
وذرعاً وولياً هلين . إن القط قد عاد إلى طبعه ، وسارا إلى الفieran  
ينبئان بما جرى .

\* \* \*

وحزن الفieran فلبسو سود الثياب ، ووضعوا فوق رؤوسهم

التراب ، فقد وقدو خير زعائهم ، ورأوا آمالهم في الأمان والسلام تهار أمامهم . إن الطبع غلب التطبع ! وعاد القطب مفترساً وعدوا للغيران مبيناً ، فيه الملح والقتل والعذاب ، فقرروا أن يذهبوا إلى ملوكهم ليعرفوا شكوكاً مما لقوا من القطب . وتبجمعوا فركبرا خيوطهم وشروا سراويلهم وحملوا أسلحتهم وساروا إلى حيث ملوكهم قد استوى على عرشه ، فلما رأهم أحجب بهم وتنسم ، فقدم القادة بالتحية :

«إنا جتناك ياملك ملوك الزمان ، لكي تنتقم لنا من القبط ،  
غور بنا وسخر منا وقتل خمسة من عظائنا ، لقد كان يا كانا فرادى  
أمااليوم فقد أسلم وأخذ ينهشنا خماس»

فلا سمع الملك هذا الحديث استشاط غيظاً وقال: إني ملاق  
القط، وسأجعله أحديئة الزهان . ونظم الملك جيشاً من فيران  
خراسان ورشت وجيلان تعداده ثلاثة وثلاثون ألف فار، وقد  
قسم أفواجاً، وسار الفيران وفي خصورهم السيوف مسلولة . وفي  
أيديهم الرماح مشرعة ، وساروا سراعاً خفافاً كأنهم جوارح الطير.

وكان منهم فار حكيم عاقل شجاع ، فأشار على الملك أن يوفد رسولا إلى القط ، حقنا للدماء ، يخирه يأنذار نهائى بين المخصوص التام أو يقبلها حربا لا هرادة فيها . لا تيق ولا تندر .

• • •

وسار سفير الفيران ، فأنبا القط بما يدبر له ، وخيره بين الاستسلام أو تحمل نتيجة الحرب ، فأجابه القط بأنه لن ينتقل من كرمان ، ولن يخضع لملك الفieran ، ولتفعل قوته ما تشاء .

وفي الحقاء أرسل إلى القحط من أتباعه في إصفهان ويزد وكerman ، وأمرهم بالتجمع للقاء جيش الفieran . وسار الجيشان إلى الميدان ، الفieran من كوير والقطط من قهستان . والتقي الجماعان ، ودارت رحى الحرب الضروس ؛ وكانت الشجاعة من الطرفين توجج أوارها وتبعده نهايتها ، وحدثت مقتلة عظيمة من الجانبين ، وأبصر القط نفسه يكاد يغلب ، فتحفز وهجم على قلب جيش الفieran فأكثر فيهم القتل ، ولكنه جرح . وكان فارذكي قد تبعه فوجد رأسه منكسا من فوق حصانه ، فنادي الفieran وحضهم على المضي في القتال ، فكبروا باسم الله وهاجوا القط ، فغلبوه وأوثقوا بالحبال قيده ، وهكذا تم لهم النصر !

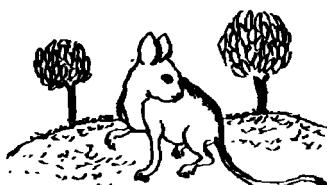
\* \* \*

وسار ملك الفieran مزهوا ، وقد ركب فيلا ضخماً ومن خلفه جنده بموسيقاه ، يعزفون أناشيد النصر ، حتى إذا جاءوا الميدان أمر الملك بنصب المشنقة ، وبشنق القط ، ثم التفت إلى هذا فأشبعه سبا وسقط قول ، أما الفieran فأخذوا ينظرون إلى القط في خبث وقد أصبح ذيلا لاشفيع له .

وضاق صدر القط حتى كاد يتميز من الغيظ . بجلس على ركبتيه وأخذ يقرض الحبال التي أوثقوا بها يديه ، حتى استطاع أن يفلت من قيده ، وهجم فأوقع الذعر في نفوس الفيران فتفرقوا أشتاتاً .

واختباً الملك وانقض الجيش ، ولحق القط بالملك فصرعه وهو فوق الفيل .

( سكرية وموس . عيد الزاكان )



## ٢٥ أنو شروان العادل

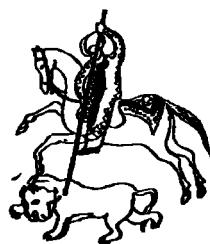
يحكى أن الملك أنو شروان ذهب ذات يوم في رحلة يصطاد ،  
ولما حان وقت الغداء لم يجد ملحا ، فأمر حاجبه أحد الغلمان أن  
يدهب إلى قرية قرية ليحضر الملح ، وصمم أنو شروان على أن  
يشترى الغلام الملح بالنقود ، حتى لا يعطاه بالمجان فتخرب القرية .

فقيل له : أى خلل يصيب القرية من حفنة ملح ؟

قال :

« هكذا بدأ الظلم في الدنيا ، بدأ قليلا جدا ، ثم أخذ يزيد  
الحکام عليه ، إلى أن بلغ الحد الذي نراه »

( كلستان )



حينما عمل أردشير ، مؤسس الأسرة الساسانية ، على توحيد دوليات ملوك الطوائف في إيران ، لم يرد ملك طبرستان ، جشنسف شاه ، أن ينضم إليه ، وقد كتب إلى تنسر وزير أردشير يسأله النصيحة ، فكتب إليه تنسر يقول :

إنك حين تدعوا إلى الفرقة التي نهض أردشير لتخليص البلاد منها ، وإلى الاستمساك بفض العروة الوثقى التي أمر الله بها أن توصل ، إنما تدعوا إلى تقطيع أو صالح إيران تقطيعا ، وتعمل على أن يقوى الأعداء عليها ويظفروا بها . فإن الفرقة إذا دخلت أرض أمة ولـى الخير منها ، ووـجد الشر فيها مرتعه الخصيب .

ولقد كانـ أمة تخضع لـ ملوكـ الـ أـقـالـيمـ السـبـعـةـ ، وـ لمـ يـكـنـ مـلـكـ أـجـنبـيـ يـحـرـقـ عـلـىـ الخـرـوجـ عـلـىـ مـلـوكـ كـنـاـ . وـ كـانـ آخرـ عـهـدـناـ بهـذـهـ السـيـادـةـ أـيـامـ الـمـلـكـ دـارـاـ بـنـ چـهـرـ زـادـ ، الـذـىـ لـمـ يـكـنـ مـلـكـ فـيـ الـأـرـضـ أـحـكـمـ مـنـهـ أـوـ أـطـيـبـ ذـكـرـآـ ، وـ قـدـ خـضـعـتـ لـهـ الـبـلـادـ مـنـ الـصـينـ حـتـىـ مـغـارـبـ الـرـوـمـ ، وـ كـانـ الـمـلـوـكـ تـابـعـيـنـ لـهـ ، يـقـدـمـونـ لـهـ الـهـداـيـاـ وـ يـدـفـعـونـ لـهـ الـجـزـيـةـ عـنـ يـدـ وـهـ صـاغـرـونـ . وـ كـانـواـ يـسـمـونـهـ تـغـوـلـشـاهـ .

وإذ أحدثك عن سبب البلاء الذى أصاب هذا الملك الواسع  
فبده طائف و كان جمياً ، وأذله بعد عزة ، والذى لاتزال آثاره  
باقية فىنا ، والذى يعلم ملكتنا أردشير على رفعه ، وإعادة ملكتنا  
عزيزاً كاكان ، فاسمع و انتصع ولا يغرنك الغرور .

\* \* \*

كان لدارا غلام اسمه ييرى ، اختصه بعطشه وقربه منه ، فكان  
يؤاكاه ويشاربه ويصاحبه فى رحلاته ، وقد أخذ ييرى يتدخل  
فى شئون الدولة ، وكثيراً ما كان دارا يتأثر بقوله فيعمل به . وكان  
للملك وزير محنك ، أمضى عمره الطويل فى خدمة الملك ، وكان  
راجح العقل ، فصحى اللسان ، حسيف الرأى ، تقياً أميناً ، حميداً  
الخلق ، اسمه رستين . كأنه هو الذى قصده الشاعر حين يقول :

لقد طبن فى الدنيا مناقبه الى بآمثالها كتب الأنام قورخ  
وكان ييرى يحسده على علو درجته ، ورفع مكانته ، وثقة الملك  
فيه وتأقت نفسه إلى أن يشغل مكانه فيخلوه الجو ويحكم بأمره .  
فأخذ يشهر به ويطعن عليه ، حتى بلغ الخبر رستين .

\* \* \*

فلم يعلم رستين أن ييرى قد أطلق لسان السوء فيه ، غيرة

وَحْسَدًا ذَهَبَ إِلَى الْمَلِكِ دَارَا بْنُ چَهْرَ زَادَ، فَقَبْلَ الْأَرْضِ وَدَعَاهُ  
شِمَّ اسْتَأْذَنَ فِي الْكَلَامِ، وَكَانَ مِنْ تَقَالِيدِهِمْ أَنْ لَا يَصَارِحُ الرَّجُلُ مَلِكَهُ  
إِمَّا يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ، بَلْ يَتَحَايلُ عَلَى بَلوغِ الْغَايَةِ مِنْ كَلَامِهِ بِقَصْةٍ  
تَرْمِزُ إِلَى مَا يَرِمُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَذْنَ لِهِ الْمَلِكُ قَالَ :

سَمِعْتُ يَامُولَى عنْ جَزِيرَةِ بَهَا مَدِينَةً يَحْكُمُهَا مَلِكٌ قَدْ وَرَثَ  
الْمَلِكَ عَنْ آبَائِهِ، كَانَ يُحِبُّ شَعْبَهُ وَكَانَ شَعْبَهُ يَبَدِّلُهُ هَذَا الْحُبُّ. وَكَانَ  
بِجُوارِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مَدِينَةً أُخْرَى يَسْكُنُهَا الْقَرْدَةُ، وَكَانَ هُؤُلَاءِ يَحْيُونُ  
فِي مَدِينَتِهِمُ الصَّغِيرَةِ فِي خَفْضَ مِنْ الْعِيشِ وَسُعَةِ مِنْ الرِّزْقِ وَهُدُوِّ  
الْبَالِ، وَكَانُ عَلَيْهِمْ مَلِكٌ يَسْتَمِعُونَ لِرَأْيِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِهِدِيهِ،  
وَلَا يَصْدِرُونَ إِلَّا عَنْ أَمْرِهِ. وَقَدْ جَمَعُوهُمْ مَلِكَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَالُوا  
لَهُمْ : إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَهَا جَرَ منْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ إِلَى بَلْدِ أَمِينٍ .

أَرَى تَحْتَ الرِّمَادِ وَمِضْ جَرٍ وَيُوشَكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضَرَامٌ  
فَقَالَ الْقَرْدَةُ : إِنَّ عَلَى مَلِكِنَا أَنْ يَبْيَنَ لَنَا سَبَبَ هَذِهِ الْهِجْرَةِ ،  
وَأَنْ يَطْلَعُنَا عَلَى مَا يَرِرُهَا ، حَتَّى نَأْخُذَ الرَّأْيَ عَلَيْهَا ، فَإِذَا رَأَيْنَا الْخَيْرَ  
فِيهَا عَلَنَا بِهَا .

قَالَ الْمَلِكُ : إِنِّي لَنْ أَطْلَعُكُمْ عَلَى سَبَبِ هَذَا الرَّأْيِ ، فَإِنْ بَلَدَكُمْ  
هَذَا قَدْ طَابَ لَكُمْ ، إِنَّهُ فَسِيحٌ حَبِيبٌ إِلَى الْقُلُوبِ ، كَثِيرُ الْخَيْرَاتِ .  
وَأَنَا وَاثِقٌ بِأَنَّكُمْ لَوْ أَطْلَعْتُمْ عَلَى مَا عَلِمْتُ لَنْ تَقْيِيمُوا لَهُ وزْنًا ، وَلَكِنِّي  
وَقَدْ أُوتِيتُ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّأْيِ وَرِجَاحَةِ الْعُقْلِ أَكْثَرَ مَا أُوتِيتُمْ ،

أمركم أن تقبلوا نصحي وأن تتبعوني ، ولست أرى عجباً ، فإن المجرة  
والجلاء من سن الآباء الذين كثيراً ما هاجروا وجلوا عن  
بلادهم ، لأن العاقل إذا رأى الشر والضر يدلوان منه ومن شيعته ؛  
فاستهان بما يرى ، وأثر البقاء في وطنه ، كان جديراً بأن يرمي  
بالجهل والكسل .

قالت القردة : لقد مهد الملك لقبول نصحي تميداً حسناً ، حفزه  
على ذلك كمال رأفته وفرط عاطفته نحو رعایاه ، ولكننا ندعوه  
ألا يبالغ في القول ، إلا إذا وقعت الواقعة ومسنا الزمن بضر وخيم  
وإن قلوبنا لن يهدأ خفقانها حتى يجدتنا ملائكتنا عن سبب أمره  
بالرحيل ، وحيثند لن يجد منا غير الانقياد لأوامره واجتناب  
نواهيه ، موفين له حق شفقته بنا ورحمته علينا .

قال ملك القردة :

إذاً فاعلموا أنني عللت بالأمس شجرة تشرف على المدينة  
المجاورة فرأيت في قصر ملوكها شاة ينطح خادماً من خادمات  
القصر . وقد نصح الحكماء بترك جوار المتعاردين وأنا لا أريد أن  
أخالف رأيهم ولا أن أتخذ نصحيهم لغواً .

فنظر القردة بعضهم إلى بعض ضاحكين ساخرين من قوله ،  
ثم قالوا : إنك ملك علينا منذ سنتين عدداً فتقتدى بك وزراك أكثرنا

عقلًا وأبعدنا تجربة فقل لنا ماذا علينا من شاه بنطبع جارية  
في قصر جارنا الملك؟

— فقال ملك القردة :

فيه هلاككم وهو يسير «إذ يبدأ بكم ثم يهلك من بعدكم أهل  
هذه المدينة ويقتل ملوكها وتصبح خرابا».

فغضب القرود أشد العجب من قول ملوكهم وراغبهم ما يحول  
بمطاطره فقالوا له :

— إنما لم نعهد فيك ما نرى ولستنا نشك في أن عين سو. قد  
أصابتك ب فعلت على عقلك غشاوة فر يا مولانا بالأطباء لعلاجك  
ترجع إلى صوابك ولا تفقد عرشك.

فقال ملك القردة :

— صدق الحكماء، فإن من عدم العقل لم يزده السلطان عزآ،  
ومن عدم القناعة لم يزده المال غنى، ومن عدم الإيمان لم تزده الرواية  
فقهم، إني أراك في شك مما أقول، ولقد تبيّنت رأيكم فيـ، ونظركم  
إليـ، فالـ الأولى فيـ أن أذهب إلىـ الطيبـ بـنفسـيـ، وأنـ أبعدـ عنـكمـ  
مغبةـ المـرضـ.

وتركـ مـلكـهـ وـفارـقـهـ فـورـاـ.

\* \* \*

لم يمض على هذا زمان طويلاً حتى كانت الجارية، في مدينة الآدرين، تخرج من قصر الملك، راكضة وفي يدها قارورة ملؤها الزيت، وفي اليد الأخرى عود مشتعل بالنار، فجرى الشاة وراءها يريد أن ينطحها كعادته، فأرادت الجارية أن تدافع عن نفسها فرمته بما في يدها، وهكذا اجتمع الزيت والنار ووبر الشاة فاشتعل المسكين وأخذ يحرى من باب إلى باب ومن قصر إلى قصر، إلى أن دخل قسراً لرجل من أركان الدولة، كان مريضاً فارتدى عليه فرقه.

وأبلغ جماعة من أهل المدينة الملك بما أصاب الرجل من حروق، فأرسل في طلب الأطباء، فلما اجتمعوا ورأوا المصاب انفقو على أن لا دواء لجراحه التي خلفها الحرق غير مرارة القردة. فتال الملك إن هذا يسير، ثم أوفد صياداً ليصطاد قرداً من المدينة المجاورة، لينزع الأطباء مرارته ويعالجوه الرجل. وذهب الصياد وأصطاد بالغدر والخيالة قرداً، ولكن القردة تجمعوا من حوله وقتلوه ثم مزقوه إرباً إرباً. وبلغ الأمر الملك فغضب وركب وذهب على رأس فرقه من حرسه لقتال القردة، فأجرى فيهم مقتلة عظيمة، ثم عفا عن بق حياً منهم.

وتقديم قرد نحو رجل من حاشية الملك وسلم ثم قال : لقد عشنا  
في جواركم سنين طويلة لم يصيّنا منكم شر ، ولا مسكنكم ضر منا ، وكان  
كل منا يعيش بما قدر له من رزق ، على طريقته التي استها لنفسه ،  
فبأى فكرة أقدمت على هلاكنا ، كان شوك اللوم قد أصاب عين  
المرؤة فيكم ، فسخرتم من حقوق الجوار ، وغفلتم عما تلقون  
في الدنيا من اللوم وفي الآخرة من الغرم .

يا جائزين علينا في حكمتهم أجرور أعظم ما يؤتي ويرتكب  
فقص الرجل على القرد ما كان من أمر الجارية والشاة والنار  
ومن احترق بها ، ورأى الأطباء في الدواء وقتل الصياد وانتقام  
الملك له . فاغر ورقت بالسمع عينا القرد وقال : « حقاً إن معصية  
الناصح الشفيف العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة .  
أمر تکمو أمري بمنعج اللوى فلم تستینوا الرشد إلا ضحي الغد  
يا صاحبي : إن سيل القدر قد جرفنا فأغرقنا ، وعدهاً تطحنك  
رحاه فإذا أتم هشيم تندوه الرياح .

قال الرجل : إنها كبيرة دعواك ، فهلا أفت الحجة عليها ؟

قال القرد : بلى ، فقد كان علينا ملك ذو عقل وكياسة ، وفضل  
ودرایة ، وكان يحيط خبراً بعجائب الدنيا وغرائب السماء ، وقد نجا  
من آلاف المكامن ، بثاقب رأيه ومبين عقله ، ولم يقع في شباك  
الدنيا ولا غررها .

ثم قص على الرجل مارأى ملك القردة في قصر ملك الآدميين ،  
وما جرى بيته وبين القرود ، ثم قال : إنه تركنا وولي ، لأننا  
لم نسمع نصحته ، وها نحن أولاء نرى صدق مارأى ، أما أتم  
فتروعوا هلاككم غداً معشر الآدميين .

\* \* \*

كان الرجل يصنى إلى القرد متوجحاً ، فلما ذهب إلى المدينة قص  
ما سمع ، وحدث من هذا القول إرتجاف في أسماع وأفواه الخاص  
والعام حتى بلغ الملك . فأمر هذا بإحضار أول من نقل حديث القرد  
إلى المدينة ، وكان من أعيانها وأهل الاعتبار فيها ، فأقى الرجل القصر  
مع أقربائه وإخوانه ، ويشاء القدر أن يكون الملك غاضباً سقماً  
المزاج حين مشَّل الرجل بين يديه ، فأمر بقتله مع تعذيبه عذاباً أليماً .  
فلما سمع أهله أمر الملك عادوا إلى المدينة قاتلوا الناس من حولهم  
وقصدوا القصر ، وأمسوا الشر عرياناً ، ولم يكن من وسيلة لإنجاد  
الفتنة والقضاء على الشر ، واتهى الأمر بقتل الملك ، وتفرق الناس  
من بعده أشتنا ، وخربت المدينة .

\* \* \*

فلما قص رستين على تولشاه قصة القرد الحكيم ، سأله لأى  
شيء قصدت بهذه القصة ؟ فعرض رستين أمره وأمر ييرى وما قد  
تستتبعه الخصومة التي شنها هذا عليه من فساد في الأرض ، والتفس  
من ملكه أن يخلية من عمله ، فإن في هذا العزل مصلحة الوطن .  
ولو أنه ثقيل على الملك ان يفعله .

قال تغولشاه : « لا تتحدثن عن هذا الأمر فإني سأكفيك شره  
ولم تمض أيام حتى لقى ييرى حتفه مسوماً » . أما تغولشاه فقد  
وهن عظمه ، واحتسل بالشيب رأسه ، واقتربت منه المنية رويداً  
رويداً حتى اخترمته .

ذو الناج يجمع عدة وعديداً والموت يطش بالألاف وحيداً  
(وأعقب تغولشاه ملوك) إلى أن كان حكم دارا الثالث ، وتجمعت  
الناس من كل حدب وصوب يهشونه بالعرش الذي علاه .

دول الزمان من احس وسعود عود ذوى فيه وأورق عود  
فإن دارا لم يكن أهلاً لهذا الملك العظيم الذي ورثه عن أبيه ،  
ولم يكن يعرف قدر الرجال ، وقد نصب أخاً لييرى وزيرًا له ، ولم  
يفطن إلى القول المأثور :

إذا كتتموا الناس أهل سياسة  
فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل

وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا  
على الذل ، إن الذل أصلح للذل

فلما وجد الوزير الجديد نفسه مسيطرًا على الدولة ، مسموع  
الكلمة فيها ، أخذ ينتقم لأخيه من الأمراء والرؤساء الذين كانوا  
أصلقاء لرسين ، ولم يكن أميناً في نقل الأخبار لدارا الثالث ، فأخذ  
هذا يطش بمن غصب عليه وزيره ، فتقلبت عليه قلوب الناس ،

وأضروا له العداوة ، وقد أغفل سن الأولين ، وعمل بيعة  
وزيره الجديد .

فليا خرج الإسكندر يريد غزو إيران ، ركب دارا « أبلق  
النهر » ، وأمسك بيده عنان الكبارياء ، فلما التقى بغازى بلاده ،  
اقضى عنه فوج من أنصاره ، وانضم فوج آخر إلى عدوه ، ثم قتله  
رجاله ، وقد ندموا على ذلك ولكن بعد أن سبق السيف العذل .

\* \* \*

قال تنسر ملك طبرستان جشنصف شاه :  
هذا يا سيدي الأمير ما كان من أمر إيران حين ظهر الخلاف  
بين وزيرين فيها ، ييرى ورستين ، ومنذ مقتل دارا الثالث ونحن  
لا نجد ملكاً يحكم بلادنا جميعاً . واليوم وقد أتيح لأردشير أن  
يوحد وطتنا ودينتنا ، فما أجرك بالإسراع إليه ، والمباعدة له ،  
وأخذ ولائك منه ، وأن تحمد ربك على أن هيا لنا أن تقضى على  
الفرقة والانقسام <sup>(١)</sup> .

---

(١) عن الترجمة الفارسية لكتاب ابن المقفع « تنسر » ، نشر مبنوي ، طهران  
من ٢٩ - ٣٨ . وقد لاحظ Darmesteter أن هذه القصة موجودة في كتاب بفتح  
تنtra السكريبي الذي قيل ابن المقفع عنه كليلة ودمنة ( Journal Asiatique )  
سنة ١٨٩٤ من ٥٣٦ ) . وقد احتفظنا بقدر الإمكان بالألفاظ العربية وبآيات الشعر  
التي احفظ بها النسخ الفارسية لكتاب .  
وقد قلنا كتاب تنسر إلى العربية ، والقصة بهذه الترجمة من ٥١ - ٦٣ ( كتاب  
تنسر ، ترجمة يحيى الحساب ، مطبعة مصر ، عام ١٩٥٤ ) .

كان رجل يكتب أسراره على ورقه ، وكان بجانبه رجل آخر  
يتابع النظر في الورقة ، فتضايق الرجل وكتب :  
إن رجيلاً جاهلاً ينظر في ورقي ويضطر إلى ألا أكتب  
أسراري .

فغضب جاره وقال :  
— إن لم أنظر في ورقتك .  
فقال الرجل :  
— وأنالم أكتب عنك شيئاً .

(جامع الحكایات)



ذهب دروיש فقيه ، رث الثياب ، إلى مجلس القضاة ، ليسمع مناظرة لهم ، وكان شغوفاً بالعلم ، محباً للشريعة ، بفلس في الصف الأول ، حتى يحسن الإنصات ولا يفوته شيء . وأقبل كبير القضاة فرأى رجلاً قبيح المنظر ، فندر الملبس ، قد تقدم الصفوف واتخذ في صدرها مكاناً ، فتهره متأففاً . وجاء المعرف (المحاجب) فغضب أكثر مما غضب سيده ، فأمسك بالرجل ، وجدبه من كمه ، وأمره بال الوقوف . وراح المعرف يؤذن الفقير الدرويش على ما اجترأ من تحطى مرتبته واغتصب من مراتب الفقهاء . أفيرق أى رجل إلى الصدر ؟ أليس الناس درجات ، وأنهم بالفضل والقدر يتفاوتون كرامه ورتبة ؟ وكيف يسوغ عاقل لنفسه أن يجعل منهاأسداً ولم يعط مخالب الأسود ؟ وظل المعرف يكيل اللوم للرجل ، ساخراً منه ، هازتاً به ، حتى تعب من كثرة ما تكلم ، واكتفى بما لقى الدرويش من خجل ، وبما أنزل به من عقوبة التقرير .

أما الدرويش فقد نظر إلى القاضي ومعرفه متأنهاً زفرات كالنار تخترق وقد ترك مجلسه في الصدر وذهب إلى آخر صفو جلس .

هيئات أن يحيط من عليهاته من تأخر عن الصدر مجلسه ، ومن  
أوقي العزة لا ينفعه أن يكون مجلسه المقعد الأخير .

\* \* \*

وجاء الفقهاء فأخذوا يتحدثون ثم بدأ الجدل بينهم فيما يعرضون  
له من القضايا ، كل يلقي بحثته ، ثم يستمع إلى رأى أصحابه . واشتد  
الجدل ، وحى وطيس النقاش ، وكثُرَتْ لم ؟ ولا نسلم ! وامتدت  
الرتاب وصاحوا بلا ونعم . تحسّبهم ديك القتال قد مدّت رقباها  
وحدّدت مناقيرها ، ينقر بعضها بعضاً ، وأعملت مخالبها ليشنّ كل  
خصمه يبالغ الجراح . تراهم وقد أفقدتهم الغضب وعيهم ، فكان  
بعضهم يتربع من الغينظ كأنه سكران ، وبعضهم يضرب الأرض  
بيديه كأن به مسا .

وأدى بهم الجدل إلى قضية لم يجد أحد منهم مخرجا لها ولكلّهم  
ظلوا يتجادلون لجاجا ، حتى التحق الأصوات .

\* \* \*

فليا أيقن الدرويش أن القضاة قد أسقط في أيديهم ، وأنهم  
جميعا قد عجزوا عن حل ما عرض لهم ، قام من الصف الأخير ،  
ومشى مخترقاً الصفوف كأنه أسد العرين . فلما بلغ المنصة التفت إليهم  
وقال : عجبت لكم ياصنادي الشريعة وياعلماه الفقه والأصول إنكم

لا تدعون بالحجارة قولكم ، ولكنكم تصايحون وتتفخرون عروق رفابكم ، وما هكذا تساق البراهين ، ولا هكذا تحل القضايا . ثم عرض الدرويش لموضوع الجدل ، فصال فيه وجال ، فاقتصر القضاة برأيه ، كأنه قد أمسك القلم بيديه و نقش به الحجج على قلوبهم .

وأقبل الفقهاء جميعاً يهتلون الدرويش بسعة عليه ، وحدة ذكائه واستقامة منطقه ، وجمال طبعه . وقد نظر إليه القاضي الذي نهره وطرده واستعان بالمعرف ليزيده تعزيراً ، وقد خيل إليه أنه غارق في الوحل لا يستطيع منه حرaka ، بينما الدرويش يسوق حسان القول سباقياً إلى الميدان .

ونادى القاضي المعرف ، ثم خلع ثوبه وعمامته ، وبعث بهما معه ، مع الإنعام والإجلال ، إلى الدرويش .. معتقداً إليه بأنه لم يكن يعرف قدره فبدرت منه البادرة ، سائل العفو عن التقصير لأنه لم يقم بخدمته بنفسه ، آسفآ لأن يراه رث الملابس رقيق الحال ، مع هذه المرتبة الرفيعة من العلم والخلق .

وأقبل المعرف في لطف وخشوع وأدب جم فوضع العمامه فوق رأس الدرويش ، مسكاً الترب يده ليعينه على لبسه . ولكن الدرويش دفع المعرف عن نفسه ، وزرع العمامه وأعطاه إياها قائلاً : - اذهب إلى حيث جئت ولا تضع فوق رأسك تيد الغرور ، إن أخاف على هذا الرأس أن ينوه بعبء عمامه قاضيك وقد لفت

بخمسة أذرع من القماش، اذهب فإذا أخاف على نفسى أن عملاً غروراً  
إذا ما لبست العامة الكبيرة ولقبت المولى أو الصدر الكبير ، فارى  
الناس صغاراً وقد يكرنون أكبار مني فضلاً ومكانة عند ربى . ماذا  
على من هذه العامة ؟

وأى فرق يطراً على الماء الزلال في كأس من الذهب وضع  
أو في كأس من الفخار ؟

إن العقل والحكمة أحب إلى رأسي من هذه العامة الجميلة .  
إن العالم لا يعز بكبر رأسه وضخامة عمامته ، فإن للقرع رأساً  
كبيراً لا عقل فيه .

ونظر الدرويش إلى القاضى الذى نهره فقال :

— لا ترفع رأسك عالياً لأنك لبست عماممة كبيرة ، وتحلىت  
بلحية طويلة . العامة من قطن ، واللحية كالخشيش يثبت في الأرض .  
وليسكن قدرك بقدر مالك من فضل ، ولا تكون كزحل اتخذ بين  
الكواكب مكاناً عالياً ، ولكنه نحس يؤذى الناس .

ألم تعرف قصب المصير ، تراه طويلاً فإذا ذقته لم تجد سكرآ فيه ؟  
يا صاحبى : إن لا أراك من ذوى الفضل لأن مائة عبد يسرون  
من ورائك ، إنما الفضل بالعلم والخلق السليم .

( بستان )

سألو الملك هرمز لماذا سجنت وزراء أبيك ، أرأيت منهم خطأ؟ فقال :

— ما رأيت منهم خطأ ، ولكنني وجدت هيبة قد تمكنت من قلوبهم ، فهم يخالفونني ولا يعتمدون على عهدي ، تخشيتهم وأمرت بسجفهم ، عملا بقول الحكماء :

خف من يخالفك ، ولو أنك قادر على قتل مائة مثله ،  
ألم تر أن القطة في عجزها تقلع عين انفر بمخليها ؟ .  
ولهذا تعصي الحياة رجل الرايع ، فإنها تخشى أن يحطمها بهذه الرجل .

( كلستان )



## الماڭ

ضافت الدنيا في وجه درويش ، كان يبحث عن قوته فلا يجد  
إلا بشق النفس ، ولكنه اليوم في مسعة لا يجد منها مخرجاً ، فلنجا  
إلى رجل من أثرياء بلده ، وشكاكا إليه حاله ، والقس منه العون ،  
ولكن الثرى الخبيث لم يرحمه ولم يعطه ديناراً أو دانقاً مما أفاء الله  
عليه ، وتركه يتلوى جوعاً وألمًا ، ولم يكتف الثرى بحرمان  
الدرويش من بعض ماله ، بل إنه صرخ في وجهه ونهره وطرده .

وتعجب الدرويش من هذا الثرى الذى امتلاه بيته بالخيرات  
يضع على الفقير بكسرة من خبز قفار يسد بها مرقمه ، كأنه لا يخشى  
صروف الزمان ، أو كأنه ضمن بقاء المال . ولما وجد الثرى أن  
الدرويش يتمتم ويتباطأ في الانصراف عنه ، نادى خادمه وأمره  
بطرده شرطده ، فطرده فانصرف .

\* \* \*

وسارت عجلة الزمان ترفع وتتحفظ ، وتدنى وتقصى ، فإذا  
بالثرى الخبيث يفقد ثروته ، ويصبح فقيراً لا يملك شروى نقير ،

ويمسى عزق الثياب ، خاوي الوفاض ، يستجدى عطف الناس  
لأكل ، وقد تهدى بيته فاقترب من الثرى والتحف الثريا ، وأخذ يلتفت  
إلى من حوله لعله يجد من يعطف عليه ويرق له فيسد رمقه ، ويكسو  
عريه ، ويأويه من وهج الشمس بالنهار ، ومن قارس البرد بالليل .

أما عبده الذى استعان به على زجر الدرويش وطرده فإنه قد  
اضطر إلى بيعه فيما باع من أموال ، وقد اشتراه رجل ثرى كريم  
مبسوط اليدين ، يسعده أن يجد فقيراً ذا مسغبة فيطعمه ، كما يسعد  
الفقير بمال يتمناه .

\* \* \*

وذات يوم وقف بباب قصر الثرى فقير يلتمس لقمة ، وقد  
بدأ على مظهره ذلة الفقر وعضة الجوع ، حتى إنه لم يكن قادرًا على  
الوقوف مستندًا إلى رجليه ، ورفع الفقير صوته مستجدياً فسمعه  
الثرى فأرسل غلامه ب الطعام ليطعم هذا السائل المحروم ، وخرج الغلام  
يحمل أطباق الطعام ، فلم يكدر يقع نظره عليه حتى صاح متوجهاً من  
حکمة الله ، وعاد إلى سيده وقد أغورقت عيناه ، فسألته سيده عن  
سبب بكائه فقال :

إن هذا الرجل الذى وقف على بابنا يمد يده بالاستجداء  
ويطلب الإحسان ، هو سيدى الذى كان يملك من الذهب والفضة

ما لا عدد له ، والذى كان ينفق عن سعة ، ولكنه كان ينهر المiskin ولا يطعمه ، فما هو ذا قد أذله الله وأذاقه مرارة الفقر والمسكنة ، فأى ينشد عندك ما يتبلغ به ، فيا لظلم الأيام وجور الزمان ! فضحك السيد وقال لغلامه :

ليس هذا ظلماً يابنى فإن الزمان لا يظلم الناس ، أليس هذا هو التاجر المتكبر الذى صعّر خده ، ورفع بالغور رأسه ، كأنه يريد أن يبلغ السماء . وأنا يابن الدرويش الذى طرد من بابه وقد استعان بك يومئذ على طرد وإذلالى ، هاهو ذا مجلس ذليل حيث كنت قد رضى الله عنى فأزال عنى الفقر وأنعم على بنعمته التي ترى ، والله يابنى إذا أغلق باباً ففتح برحمته بباباً سواه ، وهكذا يسعد فقراء بعد حرمـان ، ويشقـي بالبؤس بعض السعداء ، والمـال يابـنى وديـعة ، تـنتقل من يـد إـلى يـد ، فيها للـسائلـ والمـحـرومـ نـصـيبـ .

( بستان )



## ١٤. المستيقن

ظهر في عهد أحد السلاطين رجل ادعى النبوة فأمر السلطان بالقبض عليه وقتله.

وبعد زمان ظهر رجل آخر فادعى الألوهية ، فلما علم السلطان بأمره ، أمر ياحضاره إليه فسأله :  
— كيف تجرؤ على ادعاء الألوهية ، ألم تسمع أن رجلاً ادعى النبوة فقتلناه ؟

فقال الرجل :

— حسناً فعلت أليها السلطان ، فإني لم أبعث نبياً  
(عيد الزاكاني)



سمعت أن رجلاً ، أيام عيسى عليه السلام ، أمضى عمره في الضلال والجحيل ، فأتلف حياته سدى . وقد كان من سوء السيرة ، وخبث الطوية ، وقسوة القلب ، بحيث يخجل منه إبليس . لم يكن يجد قلياً يأوي إليه ، وقد امتلأت رأسه بالمكر والجنون ، وتختتم بطنه بالأكل الحرام ، وتلوث ذيله بالفسق ، حتى إن أسرته تدنسه بخطاياه . لم يكن لهذا الرجل الفاسق قدم تسوقه إلى سوء السبيل ، وإذا حضر مجلس نصح وتقوى بدا كأن في آذانه وقرا ، وقد خشيه الناس وأبغضوه كما يبغضون **الستنة** **السيئة** . وقد أسلم نفسه للهوى والشهوة والإباحة ، فلم يقف في طريقه شيء ، ولا أقام وزناً لوازع ، إنه كان يعبد نفسه ويقدس شهوته ، فكان يقضى الليل سكرياناً ، والنهار مخموراً .

\*\*\*

وأقبل عيسى عليه السلام من الوادي فدخل مقصورة العبادة ، ورآه الرجل المستهتر ، وقد أحاطت به هالة النبوة ، فبهره ما رأى ، وأحس شيئاً يدفعه إلى عيسى ليطلب العفو من ربها ، ويندم ويتوب عما فات . إن التقوى قد دخلت إلى قلب الرجل ، وهو شاعر بما

فلم يداه من آثار . فهو نادم ، كسيف البال ، بالك ، يريد أن يستقر ربه ، عساه أن يغفر له .

ودخل الرجل المقصورة ، فارتدى تحت قدمى عيسى ، وأجهش بالبكاء ، وكلما حاول أن يتكلم خنقته العبرات ، حتى إذا هدأ تكلم مستغفراً ، طالباً الرحمة من رب العالمين .

وكان في الركن الآخر من المقصورة رجل عابد صالح ، لا يترك صلاته ، ولا يتوانى عن الصوم ، يقوم الليل ، إنه يعبد ربه آناء الليل وأطراف النهار ، وكان يعرف هذا الفاسق . فلما رأه قد اجترأ على دخول المقصورة ، وأخذ يتسلل ويدرك الدمع ، تألف من السماح لمثله بدخول بيوت الله ، ومشاركة الصالحين في مأواهم . فأخذ الرجل الصالح يشم الفاسق ويدعوه ربه ألا يجعله معه يوم الحساب ، فإنه لا يقوى على روياه أو صحبتة .

\*\*\*

وأبصر عيسى فإذا الوحي ، وقد بعثه « جليل الصفات » مقبلًا عليه يقول :

يا عيسى لا يغضنك الرجل قد أمضى عمره في الفسق ، وأنى اليوم إلى عتباتك يطلب العفو والغفران . إنه قد بكى ندماً وحسرة على ما أذنب ، وأنه سيمشي بعد اليوم على صراط مستقيم .

يا عيسى لا تسمعن العابد الصالح ، إنه يتقدم إلى ربه في كبرياته ، معتمداً على أنه أمضى عمره مطيناً لربه .

يا عيسى ، إن العجز والمسكنة والذلة على عتبة الله خير من الطاعة والعبادة والاعتداد بالنفس . إن الله لا يحب كل مختال غور ، وإن دعاء الرجلين : الفاسق ، والصالح مقبول عند ربك على السواء ، ولو أن هذا عالم ، وذاك جاهم .

يا عيسى إن الفاسق قد أتاني متضرعاً باكيًا لأنه أضاع أيامه سدى ، وأنا أقبل عشرة من أتاني ذليلًا كسير الفؤاد ، ولقد غفرت له سيئاته ، وسأجعل له الفردوس نزلاً .

يا عيسى ، قل للعبد : لا يجتمع من صحبة الفاسق يوم القيمة ؟ يومئذ لن يرى فيه عاراً ؟ فإني مدخل الفاسق الجنة ، وملق بالعبد في النار ؟ لأن الأول قد امتلاً قلبه دمًا من حزنه وأسفه على ما قدم من ذنوب ، ولأن الثاني قد عقد على تقواه الأمل في الجنة ، بخاء متكبراً ، وبُغضًا للمتكبرين . ليس من الخير أن يعبد الرجل ربه فيحسب نفسه من الصالحين ، ويعلو على من لا يعبد الله . والرجل الحر لا يفخر برجولته . فليس كل فارس ماهر قادرًا على اللعب بالكرة .

يا عيسى ، قل للعبد : إنه مغدور ، وقد ظن عقله من الفسق ، والحق إنه من البصل ، قشر على قشر . قل له ليستغفر ربه . فإن ما قدم من طاعة . وما أدى من عبادة ، ليس بنافعه اليوم . إنه لن يجني ثمرة من طول عبادته ، لأنه أطاع ربه وأذى الناس .

\* \* \*

إن مذنبًا يناف ربه خير من عابد يباها بعبادته .

( بستان )

## ٣٤ ضيف إبراهيم

اشتهر إبراهيم الخليل بالكرم وحسن الضيافة ، وقد حدث أن مضى أسبوع لم يحضر مأدبة أحد من أبناء السبيل ، وكان إبراهيم لا يستطيع أن يتناول طعام الصباح حتى يحضر أحد الفقراء فيشاركه طعامه . نفرج من بيته وأخذ ينظر إلى كل جهة من أطراف الوادي حتى رأى رجلاً في الصحراء : طويلاً كالصفاصف ، وقد اشتعل رأسه شيئاً كأن الكبير قد كساه بثلجة .

ونادى إبراهيم عابر السبيل فلما أقبل عليه ، حياه ورحب به ، ونادى بإحضار الطعام ، وسأل ضيفه الإذن بتناول الطعام في صحبته قبل الرجل شاكراً ، وكان يعوف كرم إبراهيم ويسمع أخبار ضيفه . وأقبل الخدم فأجلسوا الرجل في مكانه من المائدة بالتجلة والتكريم . فلما اكتمل الجموع وأخذ كل مكانه ، بدأوا بذكر اسم الله الرحمن الرحيم . ولكن الضيف لم يذكر الإسم الأجل .

وتعجب إبراهيم من الشيخ الكبير لا يذكر اسم ربِّه قبل أن يضع الخبز في فمه ، فسأله لماذا لم يفعل كما يفعل الشيوخ في إخلاص وإيمان . فقال الرجل : إنني لا أستطيع أن أعمل شيئاً لم أسمع عنه من سدنة بيت النار .

فأدرك إبراهيم أن ضيفه جوسي من عبدة النار ، فاستولى عليه الغضب وأمسك بالرجل فرفعه من مكانه وطرده ، حرصاً منه على ألا يشارك الأتقياء أكلهم .

\* \* \*

بعث الله جبريل إلى إبراهيم يقول له :  
يإِبْرَاهِيمَ لَقَدْ تَحْمَلْتَ هَذَا الشَّيْخَ وَمَنْحَتَهُ الْحَيَاةَ وَالْقُوَّةَ مَا تَهْدِي  
سَنَةً وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْتَ تَحْمَلَهُ لَحْظَةً وَاحِدَةً ؟  
يإِبْرَاهِيمَ إِذَا كَانَ الشَّيْخُ يَسْجُدُ لِلنَّارِ فَمَا بِالْكَ أَنْتَ تَكْفُ الْيَدَيْنِ  
الَّتِي بَسْطَتْهَا لَكَ بِالْجُودِ ؟

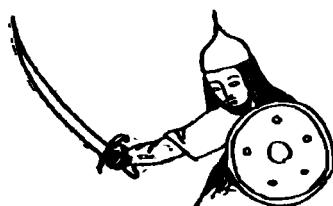
(بيان)



## ٤٤ دولة الظلم

أمر ملك بقتل رجل بريء ، فلما حان وقت التنفيذ قال  
الرجل للملك :  
يامولاي لاتسع لايذاء نفسك بسورة من الغضب على عبدي .  
فقاله الملك ماذا يقصد . فقال :  
صائرتك بقتلك إيماني لحظة من ساعة ، وسيجيئ إثرك حتى قيام  
الساعة .  
فأعجب الملك بنصحه وعفاه .

د. كلستان ،



## ٤٥ الرازى والأمير المنصور

مرض الأمير منصور بن نوح مرضًا أزمن حتى أقده ، وعجز الأطباء عن مداواته ، فأرسل رسولًا يدعوه محمد بن زكريا الرازى ليعالجه ، وجاء الرازى حتى نهر جيرون ، ولكنه عندما بلغ شاطئه ورأى ماءه ، قال : أنا لا أركب السفينة ، فقد قال الله تعالى : « لاتلقوا بأيديكم إلى التلسكه » ، فليس من الحكمة أن يركب الإنسان الأخطار مختاراً . ثم صنف كتابه « المنصورى » في الفترة بين رجوع رسول الأمير إلى بخارى وعودته منها ، ثم سلمه إليه وقال : أنا هذا الكتاب ، وسترى فيه مقصودك ، ولا حاجة لك بي .

فلما وصل الكتاب للأمير غضب ثم أرسل له ألف دينار وحصاناً خاصاً بعده و قال لرسله : ترافقوا به فإن لم يجد الرفق معه قيدوا يديه ورجليه وأجلسوه في السفينة واعبروا . فعمل الرسل برأى الأمير ، ولكن الرفق لم يؤثر في الرازى ، فأوثقوه وأركبوه السفينة وعبروا . ثم فكوا قيده ، وقدموا له الجنية بعذتها فركبها ، هادى الطبع ، واتجه نحو بخارى . فقالوا له : إنا خفنا أن تخاصمنا بعد أن نعبر النهر وتفتك قيتك ، ولكننا لم نر منك ضجاً أو ضيق

صدر . فقال : إني أغرف أن عشرين ألف رجل يعبرون جيرون كل عام ولا يغرون ، وأنا أيضاً لا أغرق إذا عبرت ، ولكن من الجائز أن أغرق ، فإذا غرقت فسيقال حتى يوم القيمة كان محمد بن زكريا أبله إذ ركب السفينة مختاراً فترق ، فـأكون من الملومين لا من العذورين .

ولما بلغ الرازى بخارى دخل عليه الأمير وتقابلا ، ثم بدأ الطبيب العلاج وبذل فيه جهده ولكن بلا جدوى ، فدخل يوماً عند الأمير وقال : « غداً سأجرب علاجاً آخر ، وسيخرج من أجل هذا العلاج الحصان كذا والبغل كذا » ، وهاتان الدالباتان معروقتان بالسرعة ، فإنهما يقطعان أربعين فرسخاً في الليلة .

وفي اليوم التالي حمل الأمير إلى حمام نهر موبيان ، ووضع الحصان والبغل خارج الحمام معدين ومشدودين مع غلام الرازى ، ولم يسمح لأحد من خدم الأمير وحشمه بدخول الحمام ، ثم أجلس الرازى الأمير وسط الحمام وصب عليه ماء فاتراً ، ثم أعد له شراباً وذاقه ثم سقاه إياه ، وأبقاءه زمناً ليتيح للأخلاد أن تضج في مفاصله ثم ذهب قلبـس ثوبـه وعاد فرقـف أمام الأمير موجـهاً له أفيـح الشـتم « يا كـذا وكـذا لقد أـمرتـ بـقيـدـي وإـلقـائـي فـي السـفـينة وـتهـديـدـ حـيـاتـي إـذا لـمـ أـجـزـكـ على هـذـا يـازـهـاقـ روـحـكـ فـيـنـ لاـ أـكـونـ ابنـ زـكـريـاـ ، قـضـبـ الـأـمـيرـ غـايـةـ الغـضـبـ ، وـهـضـ عـلـيـ رـكـبـيـهـ وـهـوـ فـيـ مـكـانـهـ ، بـخـرـدـ عـلـيـ الرـازـىـ سـكـنـاـ وـأـوـسـعـهـ إـهـانـةـ ، فـهـضـ الـأـمـيرـ وـاقـفـاـ ،

غضباً أو خوفاً ، فلما رأى الرازى أن الامير قد وقف تراجعاً  
وخرج من الحمام . ثم زكب الحصان وركب غلامه البغل واتجها نحو  
جيحون فعبراه عند صلاة العصر ، وأحثا السير إلى أن بلغا مرو ،  
ومنها كتب الرازى خطاباً للأمير قال فيه :

« أطاك الله حياة الامير صحيح الجسم نافذ الرأى ، قد بدأت  
العلاج وبذلت كل ما في الطاقة ، فرأيت حرارة غريبة مع ضعف  
تام وأن العلاج الطبيعي قد يطول ، فعدلت عنه ولجأت للعلاج  
النفساني ، فعملت مولاي إلى الحمام وناولته الشربة وتركته حتى  
تضجج الأخلاط نضجاً تماماً ، ثم أثرت غضبه حتى يساعد القلب  
في إذكاء الحرارة الغريبة فتفوى وتحلل هذه الأخلاء المتزايدة ،  
وبعد هذا لم يكن من الصواب أن أبقى لاقابل الامير »

وعندما نهض الامير على رجليه وخرج الطبيب فامتصل جواده  
غشى عليه ، فلما أفاق قام وخرج ونادى الخدم وسأل أين ذهب  
الطبيب ؟ فقالوا اخرج من الحمام فركب الحصان وسار مع خادمه ،  
فعرف الامير قصد الرازى من سلوكه .

وخرج الامير ماشياً من الحمام ، وذاع الخبر في المدينة ، ثم  
جلس في الحضرة ، وأقام الناس الأفراح .

وفي اليوم السابع جاء غلام الرازى راكباً البغل ومعه الحصان  
وسلم الامير الخطاب الذى كتبه سيده ، فقرأه الامير ، ثم أمر  
بالخلع والصلات للرازى .

( جبار مقال )

## آخرة

رأى أحد الصالحين في النام ملكاً في الجنة وزاهداً في النار .  
فسأل كيف كان ذلك ؟ فقيل له :

دخل الملك الجنة حبه الدراوיש ، ودخل الزاهد النار لتقربه  
من الملوك .

(كتاب)



## ٧٤ دواد الملك للرخص

مرض ملك مرضًا مستعصياً ، واجتمع أطباء اليونان لعلاجه  
فلم يروا دواء له غير كبد آدمي ذي صفات خاصة ، فلما عرف الملك  
هذا أمر بالبحث عن الإنسان المطلوب ، فاجتهد رجال الحكومة  
حتى عثروا على ابن دهقان توفرت فيه شروط الأطباء  
وبعث الملك لوالدى الفتى وحدهما عن الأمر وأجزل لها  
العطاء ، قبلاً قتل ولدهما ليأكل الملك كبده ليشفى .  
ونادى الملك القاضى وسألة إذا كان حلالاً قتل نفس بغير نفس  
ولكن ليتداوى الملك بكبدها ، فأفتي القاضى بأن قتل أحد الرعية  
ليأكل الملك كبده ليشفى ، حلال .

وجيء بالغلام ليذبحوه ذبح الشاة ، وكان الملك مطلعاً عليه ،  
فرأى الغلام ينظر إلى جلاده ثم يرفع عينيه إلى السماء ويتسنم .  
فأسرع الملك نحو الفتى وسألة : ماذا أضحكك وقد أشرفت  
على ال�لاك ؟  
 فقال الفتى :  
إن على الوالدين أن يرحموا فلذة كبدهما ، وإن على القاضى أن

يعدل في قضائه ، وإن على الملك أن يغفر ، وقد رأيت أبيه غرها  
حطم الدنيا فسلمك روحى ، وسألت القاضى خشيك ، ولم يخش  
ربه ، فأحل لك دمى ، وأنت ياسيدى رأيت شفامك فى إزهاق  
روحى فأمرت بقتلى ، فلم أر ملجأ لغير ربى ، فرفعت رأسى إليه  
راضياً بقضائه .

فتأثر الملك من قول الفتى وبكى ، وقال : لأن أموت مريضاً  
خير من قتل نفس زكية ، ثم أخذ الفتى قبله وأجزل له العطاء .  
قالوا : ولم يمض على هذا أسبوع حتى برى الملك من علته .

(كلستان)



## ٤٨ حاتم الطائى و الخطاب

سئل حاتم الطائى : أرأيت أو سمعت أن رجلا أعلى همة منك ؟  
فقال نعم ، نحرت يوماً أربعين جملة ، ثم خرجت مع جماعة من  
أمراء العرب إلى الصحراء ، فرأيت خطاباً يجمع المخطب ثم يحمله  
فوق ظهره ، فسألته : لماذا لم تذهب إلى بيت حاتم فقد اجتمع القوم  
حول سماطه ؟ فقال المخطاب :

إن من يكسب خبره من عمله لا يتحمل منه حاتم الطائى .  
فادركت أن هذا الخطاب أعلى همة مني .

( كلستان )



## ٤٩ المتأصب

ذهب وزير إلى « ذو النون »، قدس سره وطلب منه العون  
فأثلا : إنّ أقوم بخدمة الملك ليل نهار ، آمل في خيره خائف من  
بطشه .

فبكى ذو النون وقال :

لو خشيت الله خشيت الملك لكنك من الصديقين .

(سلطان)



## ٥٠ الدرويش والملك

اقرب أجل أحد الملوك ، ولم يكن له وارث ، فأوصى بأن أول رجل يدخل المدينة صباح مرتة يولي ويرقى العرش وتفوض إليه أمور المملكة .

فاتفق أن أول داخل في المدينة صبيحة موت الملك دروיש كان يقتات بما يجود عليه الناس به من لقم ، وكان يلبس رداء خاطئ بما جمع من خرق ، فنفذ أركان الدولة وصبة الملك ، فألبسوه التاج وسلموه مقاليد الملك .

وبقى الدرويش يسوس أمور الدولة زمناً حتى خرج عليه بعض الأمراء وثار عليه الملك من كل الأطراف ، واتفقت كلية الجندي والرعاية على خلعه .

وينما الملك الدرويش في كبد ما أصاب فكره من التشتيت بسبب الملك جامه صديق له قديم ، من أيام الفقر والتسلول ، فرأى صاحبه قد علا العرش وعلى رأسه تاج ، فقال له :  
الحمد لله رفع درجتك وجعل لك حظاً عظيماً ، فأخرج من

الشوك زهرتك ، ومن الحصى رجليك ، وربعك على العرش ، فإن  
مع العسر يسراً .

قال الدرويش الملك :

يا صاحبِي ، إن دعاك ظاهري لتهنتي فإني بالعزاء جدير ، فإني  
حين عرفتني ، لم أكن أفكِر في غير كسرة من خبز أسد بها رمق ،  
أما اليوم فإني أفكِر في هذه الدنيا التي ثارت علىَّ ، تريد أن  
تعصف بي .

(كلستان)



## ٥١ الملك والزاهد

رأى ملك زاهداً فسأله : ألا تذكرني أبداً ؟

قال الزاهد :

أجل ، أذكرك كلما نسيت ربِّي ..

(كلستان)



### درشن ڪاويان

حدثتك يا مولاي عن إيران أيام جمشيد وكيف ازدهرت الحياة فيها بفضل ما لقى الناس من عدل هذا الملك وحبه لبلده وعمله على التهوض بها وإسعاد أهلها ، واليوم أحذثك عما كان من أمره بعد أن بلغ الغاية في السمو والسلطان ، فإنه لما رأى الناس مقبلة عليه ، تحبه وتوّرّه وتلتف من حوله ، طغى وبغى وتكبر ، ورأى نفسه بشراً فرق البشر ، فادعى الألوهية وأمر الناس بأن يصنعوا التمايل من رسنه وأن يبعدوها . وكان في إيران وقتذاك ثلاثة أديان دين الملوك ودين الشعب ودين قبيلة المغان (المجوس) ، فلم يلق رأي الملك جمشيد قبولاً من إحدى هذه الطوائف ، وثاروا جميعاً عليه ، وعملوا على خلعه .

وكان بمحوارهم ، في بلاد حمير ، ملك عربي عظيم ، كانت أخباره تسير في إيران ، فيعجب أهلها بعدله ، واستقامته ، وحسن سيره في رعيته ، وكان التجار يقدون من حمير على إيران فيقصون على أهلها من عظمة مرداس ، وحب الأعراب له ، ما كان يقربه من

قلوب الإيرانيين ويمكن له في قلوبهم ، وكانوا ينتقلون من إيران إلى بلاد حمير فيتحدثون فيها عن جور جمشيد ، وبعنه ، وغوروه ، ومحاولته قهر الفرس على عبادة تماثيله ، وكيف أن الشعب ثأر عليه خالع له ، فيجيش صدر مرداس بالرغبة في غزو هذه البلاد لينشر فيها الأمان ، والعدل ، ولينت戟 للناس فيها أن يكونوا أحراراً في اعتناق الدين الذي يحبون .

واستعان الإيرانيون بمرداس ملك حمير ، وسعى عظامهم إليه بيعون منه العون ، ويفوضون إليه الأمر ، ولم يكن مرداس غريباً عن إيران ، فهو زوج أخت جمشيد ، وولده الذي يليه في الحكم يعتبر من أبناء بنات الإيرانيين ؛ ولذا فإن جيشه قبلت بالترحيب في إيران ؛ وذهبت جهود جمشيد في الدفاع عن نفسه عثا ، وتركه جنده فريسة لجيش الغزاة العرب ؛ فاضطر أن يهرب إلى الهند ، ومنها إلى الصين ، وتعقبه رجال الغزاة قبضوا عليه وسيق إلى إيران فأمر الملك ، بقطعه نصفين بعظم سمه .

\* \* \*

وإذن فقد أصبح ملك حمير ملكاً على إيران ، وخرجت الجيوش العربية من الصحراء إلى بلاد ذات مدينة وعمران ، وانتقلت حياة العرب من البداوة الساذجة السهلة إلى الحضارة المترفة المعقدة ،

وأصبح ولـ عـهـدـ الـدـولـةـ ، بـيـورـسـ ، يـنـعـمـ فـيـ الـعـاصـمـيـنـ ، الـعـرـبـيـةـ  
وـالـفـارـسـيـةـ ، نـعـمـاـ لـيـتـحـ لـأـبـانـاـ كـثـيرـ مـنـ الـمـلـوكـ .

واسع مجال اللعب واللهو أمام يورسب ، فرأى فيه الشيطان ضالته ، لِإفساد أمور الناس والبطش بهم ، تخيل إليه أن يستعجل هذا الملك العظيم الذي لن يتأخر إلَيْه إلا إذا مات أبوه ، وصور له أباه أناانياً ، لا يحب له الخير ، وماذا لو نزل له هذا الوالد عن جزء من هذه الدولة الواسعة ، التي لا يحكم ملك في العالم دولة في عظمتها واساعها ، وماذا لو أتاح له بعض مزايا الملك كأن يفعل سائر الملوك مع أبنائهم ، ثم إن الأمور تسير على غير ما ينبغي أن تكون عليه ، فهذا ملك عربي لا تجرب في عروقه دماء ملوك الفرس ، فهو لا يعرف طباعهم ، ولا يحسن إحساسهم ، ولذا فإنه لا يحسن حكمهم ورعايتهم ؛ وأما يورسب فهو نصف فارسي ، هو ابن ملك حمير من أخت ملك إيران ، فهو إذن أولى من أبيه بحكم إيران .

وأخذ الشيطان يو سوس لصاحبه حتى صور إليه أنه قادر على التخلص من أبيه ، ليل هذا العرش العظيم ، وما أيسر بلوغ هذه الأمانة ، إنها لا تزيد على ضربة سيف من قوى في ريعان الشباب إلى شيخ بلغ من عمره عتيا .

وفي ساعة من ساعات الشر والشهوة، أمسك بيور سب سيفه،

ودخل على أبيه الشيخ ، ولم تكن إلا ضربة واحدة ، أسقطت  
ملكاً وأقامت بدلها ملكاً آخر .

وصار يورسب ملك حمير وليران .

\* \* \*

ومضت السنون الأولى من حكم يورسب في هدوء ودعة ،  
فإن أحداً من الناس لم يكن يعرف أنه قتل أبياه ليخلفه ، ولذلكهم  
يعرفون أن العرش قد آل إليه ، وأنه ابن إحدى بنات ملوكيهم ،  
 فهو إيراني مثلهم ، وكانوا به فرحة .

ولكن الشيطان لم يترك صديقه لحظة واحدة ، وما كان يقوده  
لخير إلا ليهيه لشر أعظم ، فهو يعلى عليه من الحكمة ما يرفعه في  
أعين الناس ، وهو يهيئ له من الخير ما يزيده تقرباً إليه وإعجاباً به  
فتمثل له في صورة طباخ ماهر ، وكان يورسب نهماً ، يحب الأكل  
ويتعطى بأصناف الطعام ، فكان الشيطان يقتم له كل يوم ما لذ منه  
وطاب ، مما أطلق لسان يورسب بالثناء عليه .. وكان إذا سُأله هذا  
الطباخ الماهر عن أمر أجابه بحكمة تلويج لسان الملك بالشکر  
والإعجاب ، وكلما حاول يورسب أن يكافئه هذا الشاب بمال أو أي  
وامتنع وقال إن رضاه الملك ثروته وذخيرته في الحياة ..

قال يورسب :

ولكنني أريد أن أكاففك على ما أرى من حسن صناعتك  
ورائع تفكيرك وجميل نصحك ، فاطلب ما شئت ما دامت  
لا تزيد المال .

إن وجودي بجانب مولاي هو خير ما أتمنى ، وإنما أنا لـى  
الملك أن أطلب ما أشاء فإني أقسم منه أن يتيح لعبدـه أن يقبل  
ما بين منكـيه ..

وقبل الملك وأقدم الشيطـان قـبلـه بين منكـيه واختـقـ فـلم  
يرـه أحد .

ونظر بـورسـبـ حولـه ليـرىـ هـذاـ الطـباـخـ المـاـهـرـ فـلمـ يـقـفـ لـهـ عـلـىـ  
أـثـرـ ، وـبـينـهـ فـيـ حـيـرـةـ مـنـ اـخـتـفـائـهـ إـذـاـ بـيـحـسـ حـرـكـةـ بـيـنـ منـكـيهـ ،  
وـإـذـاـ بـحـيـتـيـنـ خـبـيـتـيـنـ قـدـ نـبـتـاـ حـيـثـ كـانـ قـبـلـ الطـباـخـ .. وـجـىـءـ  
بـالـأـطـبـاءـ مـنـ كـلـ مـكـانـ فـأـشـارـوـاـ بـقـطـعـ الـحـيـتـيـنـ فـقـطـعـتـاـ ثـمـ نـبـتـاـ مـنـ  
جـدـيدـ أـشـدـ هـوـلـاـ وـأـكـثـرـ فـتـكـاـ مـاـ كـانـاـ ، وـكـلـاـ قـطـعـتـاـ ظـهـرـتـاـ مـنـ جـدـيدـ  
أـكـبـرـ حـجـاـ وـأـقـبـحـ شـرـاـ .. وـحـارـ الـأـطـبـاءـ ثـمـ تـشـاـوـرـوـاـ وـرـأـواـ أـنـ  
يـوـقـيـ بـحـكـيمـ مـنـ بـلـادـ الـيـوـنـانـ اـخـتـصـ بـعـلاـجـ مـاـسـتـعـضـيـ مـنـ الـأـمـرـاـضـ .  
وـجـاءـ الـحـكـيمـ ، وـرـأـيـ الـمـلـكـ وـالـتـعـبـانـيـنـ فـقـالـ : هـذـاـ شـرـ عـظـيمـ ، وـإـذـاـ  
شـاءـ الـمـلـكـ أـنـ بـعـيـشـ فـعـلـيـهـ أـنـ يـكـفـلـ هـذـيـنـ التـعـبـانـيـنـ الـغـذـاءـ ، وـهـماـ  
لـاـ يـأـكـلـانـ غـيـرـ أـدـمـعـةـ الـبـشـرـ ..

\* \* \*

وأقض الفزع مضجع الملك ببورسب ، وأدرك عاقبته إذا هو سار في قتل الناس لينفذ الشعابين بأدمغتهم ، ونادي المنجمين يسأله عن المصير ، فخدروه جميعاً من طفل صغير من نسل الكيانيين يشب فينزع منه الملك ، فأخذ ببورسب في تقتيل أفراد الكيانيين ليفرغ منهم ومن نسلهم ، وكان من هؤلاء شاب ذكي الفواد ، راجح الفكر ، اجتمعت فيه الصفات التي يحبها الناس في ملوكهم ، وكان العظام يجتمعون عنده ، ويتشارون فيما ينبغي أن يعمل ليخلصوا بلادهم من حكم العرب ، وليولوا عليهم ملكاً من أنفسهم بدل هذا الملك الذي أطلقوا عليه لقب التنين « أزدھاك — الضحاك » والذي يقتل أبناءهم في غير رحمة أو شفقة ليطعم ثعبانه بأدمغتهم .

ووقع هذا الشاب في يد رجال ببورسب فأخذوه وقتلوا وقدموه رأسه غذاء للثعابين ، وكان له طفل صغير اسمه أفريدون ، فخشيت أمه أن يصبه ما أصاب أبيه ، فأودعته سراً عند أحد الموابذة ليرعاها ، فلم يكدر المربد يرى الطفل حتى أخبر أمه بأن سيكون له شأن كبير وسيتول إليه عرش إيران . وجده ببورسب في طلب هذا الطفل وهو يبحث عن نسل الكيانيين ، ولكن أمه استطاعت أن تنقله إلى بلاد الهند ، فضل بها إلى أن أصبح شاباً قريباً ، وعانيا ذهبت جهود ببورسب للغدر عليه .

ولما اكتملت فتوة هذا الشاب أخذ يسأل صاحبه الذي نشأ  
عنه ، ويلح عليه في السؤال ، إلى أن عرف أنه من نسل الكيائين  
وأن بيورسب قتل أباه ، وأن أمه هربته من إيران إلى الهند حتى  
لا تنتد إليه يد الملك الظالم فيطعم دماغه التعبانيين اللذين افيا شباب  
إيران وزهرة أهلها .. ولم يستطع الفتى صبراً بعد الذي سمع ،  
وأعد عدته ليسافر إلى إيران ، فيدفع الشر عنها ، ويقتل هذا الملك  
الظالم ، ويعيد الاستقلال إلى بلاده ، ويجلس على عرشها ليصلح  
أمرها ، ويعيد إليها ما كانت عليه من عظمة وجلال .

فلما بلغ إيران قابله أمه خديها بما علم واستزادها فزادته علماً  
بأسرته ، وبأحوال بلاده ، وخيانته في مكان أمين انتظاراً لسنوح  
الفريضة ، فتواري أفریدون عن الأنظار إلى حين .

\* \* \*

وكان في المدائن حداد اسمه « كاوه » كان قفيراً يعول أسرة  
كبيرة ، وكان له ولدان يساعدانه في حانته الصغير ، جاءه اعوان  
الملك وأخنووا الإبن الأكبر فقتلوه ، فليس الرجل حزيناً صابراً على  
ما أصابه وداعياً رباه ألا يأت دور ولده الثاني حتى يكون الضحاك  
قد هلك فيخلص الولد من الموت . وفي صباح اليوم التالي جاء الجندي  
فساقوا ابنه الآخر ليقتلوه ، فنفد صبر الرجل ، وسار جزو عا  
إلى بلاط بيورسب ، فاتحمه غير مستاذن فلما دخل وجد الملك

وعلى كتفيه التعبان و من حوله جماعة من العلماء يحررون محضراً  
يشهدون فيه بأن الملك يراعي الرعية بالرفق والحسنى ، وأنه يقيم  
العدل بين الناس ، ولا يظلم منهم أحداً ، فرفع « كاوه » المداد  
صوته ، شاكياً حاله ، فقد أخذوا ابنه الأكبر وقتلوه بالأمس  
واليوم عادوا فأخذوا الولد الثاني ، فرق قلب الملك له ، وأمر  
بطلاق سراح الولد ونظر العلماء إلى « كاوه » - وشر الناس عالم  
بلا خلق - و طلبوه إليه أن يشهد بعطف الملك على رعاياه ، واستئنافه  
لشكوهم ، وتحقيق العدل بينهم ، ورفع الظلم عنهم أو لم يكدر « كاوه »  
يسمع هذا الكلام حتى استنشط غضباً ، ولم يستطع أن يكظم غيظه  
فأخذ المحضر من يد كبير العلماء ومزقه ورمى به في وجهه وهتف  
بسقوط بيورسب .

وخرج من القصر مسرعاً وهو ينادي بسقوط الظلم ، فالتلف  
الناس من حوله وساروا وراءه حتى بلغ دكانه وهناك وجد الجميع  
قد كثر ، فأخذ الخرقة التي يلفها على وسطه ليتقي بها شواطئ النار  
ورفعها وأخذ ينادي باستقلال إيران وبسقوط بيورسب وبالدعاة  
إلى أفریدون ، وسارت الجماهير من ورائه تؤيده وتهتف وراءه .

\* \* \*

وبلغ الخبر أفریدون ، فخرج من مكتبه ، وسار إلى حيث

الجماهير متجمعة حول **كاؤه** ، فادوا به ملكا عليهم وساروا معه إلى قصر ببورسب فقبضوا عليه ، وقيدوه ، ورموه فوق جبل دماوند ، يشقى إلى أن يقضى عليه الشعبان .

ومنذ هذا اليوم اخذ ملوك إيران هذه الخرقه علما لهم ، وسموها العلم **الكاويني** ، نسبة إلى **كاؤه الحداد** ، وزينوها باللاله والجراهر وكانت أنفس ما يعز به ملوكها .



فرق قلبه لـ واقتداـ بيـ عشرـة دـنـاـير وـ أـخـذـنـي مـعـهـ إـلـىـ حـلـبـ .  
وـ كـانـ هـذـاـ الصـدـيقـ بـنـتـ فـعـقـدـلـ عـلـيـهاـ بـصـدـاقـ مـائـةـ دـينـارـ ،  
وـ كـانـتـ هـذـهـ الـبـنـتـ سـيـئـةـ الـحـلـقـ ، قـاسـيـةـ الـطـبـعـ ، وـ طـالـمـاـ تـحـمـلـتـ منـ  
عـنـفـهاـ وـ غـلـظـتهاـ ، فـذـاتـ يـوـمـ نـطاـولـتـ عـلـيـ قـائـلـةـ :

أليست أنت الذي اشتراك أبي بعشرة دنانير من أسر الفرجنج .  
فقلت : بلى يا سيدني اشتراك أبيك من الفرجنج بعشرة دنانير  
وسلمت إليك أسيراً بعاتة دينار مثل كثيل الشاة أتجاهها الرجل من  
الذئب في الصباح ، وأجري على رقبتها السكين في المساء .

(کلستان)

## ٥٤ الملك والغلام العربي

ركب ملك سفينة ، وكان في هذه السفينة غلام لم ير البحر من قبل ، ولم يعرف مخنة ركوب السفن ، فلم تكن السفينة تسير حتى بدأ الغلام يبكي ويصيح وارتعدت فراصه ، وحاول رجال الحاشية أن يهدئوا من روعه فلم يفلحوا ، بل ازداد عویله . فغضب الملك من صراخه ، وحار الرجال في إسكاته .

وكان في السفينة حكيم فسأل الملك أن يسمح له بتهذئة الغلام فرجاه الملك أن يفعل ، فأمر الحكيم بالقاء الغلام في الماء ثم أمساكه من شعر رأسه ورفعه للسفينة ، عدة مرات ، فكان الغلام يمسك الدقة كلما ألقى في اليم ، ويحمد الله إذ أمسكه من شعر رأسه فرفعوه فأنجوه من الغرق .

وآخر مرة رفعوا الفتى وتركوه بغرى إلى زاوية في السفينة وجلس صامتا هادئا فسر الملك من تدبير الحكيم وسألة الحكمة في سكوته ؟ وقال :

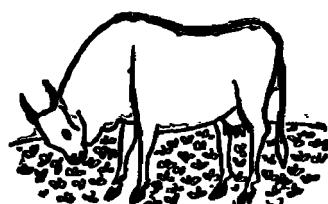
إنه لم يكن قد ذاق مخنة الغرق حتى يعرف قدر سلامته السفينة ، والصحة يا مولاي تاج على رءوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى .  
« كلغان »

مرض أحد أمراء البوهين باللآخر ليا ، خليل إلينه أنه بقرة ،  
وكان يصبح على كل من يرى من أصحابه وحاشيته : « اذبحوني فإن  
لكم من لحمي هريرة طيبة » ، وبلغ به المرض إلى حد أنه امتنع  
عن الطعام ، وعجز الأطباء عن معالجته .

وكان ابن سينا في ذلك الوقت وزيراً ، فالتتسوا منه أن يذهب  
لمعالجة الأمير المريض ، وقصوا عليه قصته ، فقال : بشرروا الأمير  
بأن القصاب آت لنذبحه . فلما سمع الأمير بهذا سرر رواً عظيمها .  
ودخل ابن سينا ومعه رجلان ، وسأل : أين البقرة التي جئت لنذبحها ؟  
فلما سمعه الأمير ، قلد خوار البقر ، فأمر بحمله في وسط ساحة القصر  
مع قيده وإلقائه على الأرض ، ولم يكدر المريض يسمع هذا حتى جرى  
إلى وسط الساحة ونام على جنبه الأيمن فأوقوا رجليه بشدة ، وجاء  
الطيب فسن السكين سنأ ، ثم جلس ووضع يده على جنب المريض ،  
كما يفعل القصابون ، ثم قال : « يا لها من بقرة هزيلة ، إنه لا يحل  
ذبحها ، اعلفوها حتى تسمن فنافى وندبحها » ؛ ثم أمر بغض وثاقه  
وانصرف من أمامه .

ونصح أقاربه بأن يكثروا من تعذيبه ، وأن يفهموه أن عليه  
أن يأكل كثيراً ليس من حتى يحل ذبحه ، فأقبل الأمير البقرة  
على الطعام كالنهم ، ودسوا له معه ما وصف ابن سينا من  
الدواء ، فشفى .

( جهاز مقاله )



## ٥٦ الرزق الحلال

كان تاجر ظالم يشتري من الفقراء بالثمن البخس ويبيع للناس  
بفاحش الأمانة ، فر به رجل صالح وزجره قاتلا :  
أتعبان أنت تلدع كل من ترى ، أم بومة أنت توذن بالخراب .  
خف من قضاء ربك إن رأيتنا نحمل بغيك ولا تعلون على الناس  
حتى لا يعلو دعاوهم إلى السهام .

فغضب التاجر الظالم من هذا القول ، وأخذته العزة بالإثم ،  
ولم يجب .

وذات ليلة طارت شرارة من مطبخه فسقطت في خزن الحطب  
فاشتعل وأحرق بيته وأمواله خرج وجلس فوق كومة من  
الرماد حزيناً .

ومر الرجل الصالح فسمعه ييكي ويتساءل من أين جاءت الشرارة  
التي أشعلت النار ولم تبق شيئاً في الديار ، فأجابه الرجل الصالح :  
إنها جاءت من قلوب الفقراء المحترقة يا أخي .

( كلستان )

أودع رجل صديقا له مائة من الحديد ثم سافر ، فلما عاد من السفر طلب أمانته ، وكان صاحبه قد بدها ، فأعتذر له بأنه وضع الحديد في ركن المنزل فأحاطت به الفيران فأكلته ولم تبق منه شيئاً . فتعجب الرجل ونظر لصاحبه ولم يتبين شفته .

وفي اليوم التالي جاء إلى صديقه وقال : إنني عازم على السفر وأسأودلك مالى مرة أخرى ، أمانة ، على شرط أن تحافظ عليه . فسر الصديق الخائن بهذه الفرصة ، وأخذ يتودد لصاحبه بعذب الكلام ، مؤكداً أنه سيحرس ماله بروحه ؛ ثم التمس منه أن يشرفه بتناول العشاء غداً في بيته .

\* \* \*

في مساء اليوم التالي ذهب الرجل إلى بيت صاحبه ، فأكرم هذا وفادته وأجلسه في صدر المكان ، ثم أجلس من حوله أبناءه ، إظهاراً للود ، وتوكيداً للصداقة . وبعد تناول العشاء استاذن الرجل وانصرف ، ولكنه أخذ معه ابن صاحبه الصغير خفية . وظل الرجل يبحث الليل كله عن ولده ، مشتت الفتواد ، شارد

اللب ؛ ولم يكد الصبح يتنفس حتى خرج يبحث في كل مكان ، ولكن جهوده ذهبت عبثاً . وأخيراً توجه إلى بيت صاحبه وشكا إليه فقد ولده .

قال الرجل : إني سمعت ، وأنا خارج من دارك بالأمس : صوتاً من السماء يقول إن البغاث يحمل طفلاً في مخلبه ويطير به . فقال الصديق الخائن : لعلك جذلت ، كيف يحمل بغاث الطير آدمياً في مخلبه ؟

قال الرجل : صه يا صاحبي ، فالبلد الذي تأكل فيه الفيران مائة من الحديد يستطيع بعثاته أن يحمل طفلاً من بنى آدم . فقطن الصديق الخائن إلى حقيقة الأمر ، وقال لصاحبه : لا تحزن فإن الفieran لم تأكل الحديد . فقال الرجل : وأنت أيضاً لا تحزن فإن البغاث لم يحمل ولدك .

\* \* \*

وهكذا استطاع الرجل بالحيلة أن يحمل صاحبه على رد وديعته إليه .

إن الحيلة والمكر لازمان لدفع مضررة الماكر المحتال ، فكن وردة مع الوردوشوكه وسط الأشواك .

(جامع المكاليمات )

## ٥٨ الزاهد والدنيا

اتخذ عابد من عباد الشام مقامه في غابة ، وكان يعيش على أوراق الأشجار . وكان ملك هذه الناحية في رحلة فر بهذا الزاهد ، وسأله أن يحضر إلى المدينة ، ووعده بأن يجيئ له مكاناً للعبادة ، وذلك حتى يستفيد الناس من فيض بركته . فرفض الزاهد .

وتوسط أركان الدولة وأقنعوه بالاتصال . فإن أعجبه الحال أقام ، وإذا تضائق عاد إلى مكانه في الغابة ؛ فجاء الزاهد للمدينة وأعد الملك مكاناً في حديقة قصره الغناء ، وأرسل إليه جارية ذات حسن ودلال ، وأعقبها بغلام بديع الحال ، لطيف الاعتدال . وأكل الزاهد من الأكل الطيب ، ولبس ثواب الحرير ، وأخذ يمتع نظره بدلال الجارية وجمال الغلام .

وانصرف الزاهد عن العبادة ، وما إلى الدنيا وغروتها . ورحب الملك في رؤيته . فرأه قد تبدلت حاله . فقد احمرت وجنتاه ، وأبيض وجهه وغاظ ، وقد اتكأ على وسادة وعلى رأسه غلام بيده مروحة من ريش الطاووس . فسر الملك من حسن حاله ثم قال :

إِنَّ أَحَبَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الدُّنْيَا : الزَّهَادُ وَالْعُلَمَاءُ ؟  
 وَكَانَ فِيلِسُوفٌ مُجْرِبٌ يَسْمَعُ كَلَامَ الْمَلِكِ فَقَالَ :  
 شَرْطُ حُبِّ هَاتِئِنِ الطَّائِفَتَيْنِ أَنْ تَقْدِمَا لِهَا الْخَيْرَ يَا مُولَايِ .  
 فَقَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟  
 قَالَ الْفِيلِسُوفُ :  
 أَعْطِ الْعُلَمَاءَ النَّذْهَبَ لِيُوسِعُوا مَدَارِكَهُمْ بِالْقِرَاءَةِ ، وَلَا تَعْطِ  
 الزَّهَادَ شَيْئاً لِيُقْوِيَا زَاهِدِينَ .

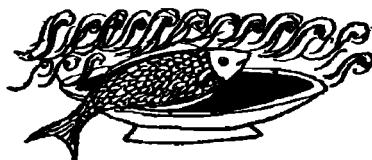
( كلستان )



## ٥٩ الصياد والسمكة

وَقَعَتْ سُمْكَةٌ كِبِيرَةٌ فِي شِبَاكِ صَيَادٍ ضَعِيفٍ ، فَلَمْ يُسْتَطِعْ إِمْسَاكُهَا  
وَأَفْلَتْ مِنْهُ مَعَ الشَّبَكَةِ ؛ فَلَامَهُ الصَّيَادُونَ قَالَ لَهُمْ :  
يَا إِخْرَانِي ، لَمْ يَكُنْ لِي نَصِيبٌ فِيهَا ، وَكَانَ لَهَا بَقِيَّةٌ مِنْ أَجْلِهِ  
أَلَمْ تَسْمَعُوا الْقَوْلَ الْمَأْتُورَ :  
الصَّيَادُ الضَّيقُ الرِّزْقُ لَا يَصِيدُ فِي دَجْلَةٍ ، وَالسُّمْكَةُ الَّتِي لَمْ يَنْتَهِ  
أَجْلُهَا لَا تَمُوتُ فِي الصَّحْرَاءِ .

( كلستان )



## زال

جاء دور الملك منوچهر ، فازدان عهده ، وقويت دولته ؛  
 بفضل سام والد الأبطال ؛ فقد كان سام هذا من القوة والجرأة  
 والرأى بحيث كانت شتون المملكة كلها بين يديه . وقد جلس ذات  
 يوم حزينةً كثيراً ، بطييل الفكر في أنه قد أصبح شيئاً كبيراً ،  
 ولا ولده ، وجامته البشري بأن الله قد سمع دعاءه ، وبأن زوجه  
 حامل ، فأخذ بعد العدة لاستقبال هذا المولود الذى كان يتمناه .  
 وولدت الزوجة غلاماً ذا شعر أبيض كأنه رجل مسنّ قد اشتعلت  
 رأسه شيئاً ، وتعجب الوالد من ياض شعر ولده ، وحدثته ألسنة  
 السوء بأن من يولد بهذا الوصف يكون ابنًا للشياطين ، وأنه لا يجوز  
 أن يئيه في داره .

وقطّير سام ما سمع ، وكانت أعصابه خائرة من كثرة ما انتظر  
 ومن ضياعة الآمال بعد أن رأى المولود وسمع عنه ما سمع . وفي  
 صورة من الغضب ، وفورة من التفكير المظلم أخذ الطفل وألقاه  
 فوق الجبل .

وأبصرت العنقاء وهي تخلق فوق الجبل طفلاً رضيعاً . فرأى  
في وجهه دلائل السعادة والحظ العظيم ، ووجده وحيداً لا يرثى  
بأمره أحد ، فأشفقت عليه أن يموت في شعاف الجبل جوعاً وبرداً ،  
فنزلت إليه فأخذته بين مخالبها ، وطارت به إلى عشها ، وربته مع  
أفرانها .

وشب زال وبدت عليه مظاهر الفتورة ، ورجاحة العقل ، وصدق  
التفكير ، وكان ينزل من عش العنقاء فيسيراً في الجبال ، على قدميه  
حينما ، وعلى ظهر الحيوان البرية أحياها ، وكان يصطاد السابع  
وغيرها من الورحش ، وكانت الحيوانات الضاربة إذا رأته تولى  
منه فراراً وتملاً منه رعباً .

وكانت القوافل ، وهي تسير ، يرى رجالها الفتى ذا الشعر  
الآبيض ، ينتقل في خفة ليس لها لها عهد في بين الإنسان ، والعنقاء  
من فوقه تخلق كأنها تصاحبه وتحمييه ؛ فأخذ الناس يتحدثون عنه ،  
ويضعون القصص حوله .

أما سام فإنه أحسن أنه أخطأ إذ ألقى ابنه في شعاف الجبل ،  
وشعر أنه أنكر النعمة التي أنعم الله بها عليه ، وأنه بدلاً من أن  
يعنى بولده وبنته ليل مكانه بعد موته ،.. وليسكون بطلاً لدى  
الكيانين ، ألقاه في فورة من اليأس وسوء الظن على قمة الجبل ،  
وهو يعلم أن ليس هناك من يُعنى بعذاته وإيوائه . وأفضلت الأفكار

مضجع الشيخ ، فبدا هزيلا علاه ألم والوَصْب . وذات ليلة رأى  
في منامه رجلا يركب حصاناً عريياً ، فيقف يباه ويدخل عليه  
فينهر نهرأ شديداً لأنه ألقى ولده على قمة الجبل ، فأخذته العنقاء  
وربته مع أفرادها ، وجعلته ولدتها ، ثم يأمره أن يذهب إلى حيث  
تسكن ، فيطالها بابنه الذي هو أجمل أبناء إيران . وينهض الشيخ  
من نومه ، كأن المنام الذي رأى حقيقة . فتادي الموابذة من أهل  
الحكمة ، وحدثهم بما كان من أمر زال وسلوكه معه ، فعاب عليه  
الموابذة ما فعل ، ونصحوه بأن يذهب إلى الجبل الذي ألقى ابنه فوقه  
فيصل ويترسّع إلى ربه ، ويسأله أن يرد ولده إليه . فسار سام إلى  
حيث أمر ، وأخذ يتبعه ويدعوه ويستغفِرُ ؛ وأحسست العنقاء بما  
يفعل الشيخ ، ورأيت أن خير الولد في أن ترده لآبيه ، ليأخذ  
مكانته في بلاده ولتصبح عظيم أبطالها . فحدثت « زال » بما فعل  
أبوه ، ونصحته أن ينزل إليه ، وأن يسير معه ، وأن يبدأ حياته  
مع الإيرانيين ، وأنباته بأنه سيكرن بطليهم الذي يزود عنهم الترك ،  
والذي يفارقه به ملوك الكيانيين .

وبكي زال وأخذ يتسلل إلى العنقاء أن تقيمه معها ، فإنه سعيد  
 بحياته في عشها ، وأنه ينظر إليها كأنها أمه ، وشكراً إليها أباها الذي  
ألقاه صغيراً بلا شفقة ولا رحمة .. ولكن العنقاء خفت من  
حزنه ، وهذّلت من روعه ، وقالت : إنك ستعود لبلادك ،

وساعطيك ثلاث ريشات من صدري فإن حزبك أمر فاحرق  
واحدة منها ، آتك قبل أن يرتد إليك طرفك ، فأفرج لك كربتك .  
وانزعت الريش من صدرها وأعطيته إياه .

ثم هبط الفتى إلى حيث أبوه يركع ويصلّى ..

\*\*\*

لم يكدر سام يرى ولده حتى عرفه ، فهرع إليه وأخذه بين  
ذراعيه وقبله ، وسارا إلى الملك متوجهاً ، فأخذ الملك يتحدث إلى  
ـ زال ، فأعجب بحسن جوابه إعجاباً بما هو عليه من مظاهر الفتوة  
والبطولة ، وأما سام فإنه منذ رأى « زال » ، قرط عينه ، واطمأن  
قلبه ، وأيقن أن سيكون له في بطولة إيران خليفة قد يفوقه  
قوه ومحتملاً .

ووجه بالموايذه يعلمنـ « زال » ، الحکمة ، فكان كل يوم يزداد  
ثقافه وعلماً ، وكلما خرج أبوه إلى القتال ولاه سistan فكان يحکمها  
وكأنه من على فن الحکم منذ صباحه ..

وخرج « زال » ذات يوم للصيد ، وتوغل في رحلته ، فإذا به  
على أبواب كابل التي يملکها « مهراپ » ، من أبناء بیورسب ، ولم  
يکدر هذا الملك يسمع بأن « زال » قد اقترب من عاصمة ملکه حتى  
قام مع حاشيته وخاچته فاستقبله أحسن استقبال ، وسأله أن يعطف  
عليه فیزوره في بيته . ولكن « زال » خشي أن یجیب الملك إلى

رغبتة قبل أن يستشير أباه، فإن الخصومة بين الإيرانيين والملوك من نسل بیورس ب قاتمة على أشدتها بين القومين ، فأمهل « زال » الملك حتى يأتيه جواب أبيه على رسالة وجهها إليه بلتمس فيها الإذن بزيارة مهراب .

وخرج مهراب من عند « زال » فأخذ هذا يحدث أفراد حاشيته بما عليه « مهراب » من جمال ومهابة وجلال ، خدثه أحد خاصته بأن « مهراب » بنتاً تفرقه حسناً وجمالاً ، وأنها أجمل من في بيت الملك من مخدرات ، وأخذ « زال » يسأل محدثه في أمر هذه الفتاة وكلما طال الحديث عنها زاد بها شفقاً وحباً ، ولما براها .

\* \* \*

وعاد « مهراب » إلى بيته فأخذ يتحدث إلى زوجه وبناته « روزبه » عن اعتدال قامة « زال » ، وحلو حديثه وما يبدو عليه من مخايل البطولة والنجلابة والذكاء ، فشغفت « روزبه » به حباً ، ولما تراه . وأخذت الفتاة تفكك في « زال » ، وفي حبها له ، فهى بالنهار شاردة البال ، حائرة النظرات ؛ وهى بالليل مسيدة لا تعرف جفونها النوم . وذات يوم باحت بسرها لجواريها ، فهدأن من رواعها وداعبها ، وأكدى لها أن الحب إذا تمكّن من قلبين صادقين فليس إلى قتلها من سبيل . وفي صباح يوم مشرق من أيام الريّع النضرة ، ذهب الجواري إلى نهر يفصل معسكراً « زال » عن المدينة ، ومن حوله

الخدائق الغناه ، وأخذن في جمع الورود في أطباق الذهب ، ورأى  
«زال» من خيمه فسال عنهن فقيل له هن جواري «روذبه» يجتمعن  
لها الأزهار ، فامسك قوسه وضرب ظاثراً في الهواء فرقع عند  
الجواري ، فامر غلاماً من خدمه بان يعبر النهر ويحضر الطير .

والتقى الغلام بالجواري فسألته عن الرامي ، فقال إنه «زال»  
بطل إيران وابن بطلها ، وأخذ يحذثن عن جماله وصفاته ، فقلن له :  
ترفق ولا تحدثنا عن الجمال ، فإن في القصر بنتاً هي ملكة الجمال التي  
لا تبارى ، والتي تفوق صاحبتك حسناً ودللاً . ورجع الغلام إلى  
سيده بالطير ، وقص عليه حديث الجواري ، فأعاده إلىهن بالمداديا  
والجواهر ، وطلب إلى كييرهن أن تقابلة .

فلما رأى «زال» كبيرة جواري «روذبه» أضنى إليها بجهه  
المكثون ، وحطثها بأنه راغب في زواجه ، ولكنها يود لو رآها  
قبل أن يخطو هذه الخطوة ، ومهد مع الممارية السبيل لمقابلة «روذبه»  
وجامت «روذبه» إلى سطح القصر ، خارج المدينة ، وكان على  
«زال» أن يصعد إليها ، فدللت ضفائر شعرها ليمسك بها وبصعد ،  
شكراً لها معاونتها واستعان بمحبل على بلوغ مرقاها . وفي هذه المقابلة  
الأولى اتفق الحبيبان على أن يتزوجاً مهما تكون الصعاب ، ثم كتب  
 بذلك إلى سام .

وشاعت أخبار ما بين «زال» و«روذبه» من العشق ، وتحلى

الناس عنها في بلاط «مهراب»، وبلاط «منوچهر». أما «مهراب» فقد غضب غضبة جاهلية وأراد أن يقضى على هذه الصلة فهدأته زوجه ونصحه بالتريث والانتظار، فكم يكون خيراً لبلاده أن تم أواصر النسب بينه وبين بطل إيران، وأما «منوچهر» فقد أتذر بأن صلة كهذه ستخدم بيت مهراب، وتضم بلاده إلى إيران.

\* \* \*

وأما سام فقد بلغته رسالة ولده، وكانت أخبار عشيقه «رودزبه» قد شاعت قبل قدوم رسوله، فأخذ يفكر في العواقب الوخيمة التي تترتب على الزواج، ولكنه لم يكن ميلاً لاختياب ولده، فجمع المرايا وسالمهم الرأى فيما يقدم عليه «زال»، فاستشاروا نجومهم ورجعوا إلى كتبهم وعادوا إليه يرجونه الموافقة على تزويج ابنه من بنت «مهراب»، فإن هذا الزواج سيستحب ولدأ يكون خير إيران كلها وأعظم أبطالها جميعاً، فأرسل إلى ولده يوافقه على زيارة «مهراب»، ويزيده في خطبة «رودزبه». وينها «سام» مجلس فرحاً بولده إذا برسول الملك «منوچهر» يحضر حاملاً إليه الأمر بالقيام فوراً لغزو بلاد «مهراب»، فلم ير بدأ من تنفيذ أمر الملك، وأسرع ليلحق بالرسول الذي بعثه لولده.

وعلم «زال» برغبة منوچهر في القضاء على «مهراب»، وعلم أن هذا الملك قد هلهل من الأخبار التي سمعها عن غزو قريب لبلاده

فأراد أن يظهر إخلاصه ووفاءه لملك إيران منوچهر فعزم على أن يقتل زوجه وبنته «روذبه»، وبذلك تقطع صلات النسب التي يريده «زال»، أن يعقدها معه، والتي جر التفكير فيها جيشاً جراراً يغزو بلاده.

وطارت نفس «زال»، شعاعاً مما سمع، فإنه هو السبب في أن يغير الملك القوي على الملك الضعيف فينزع منه ملكه، ويذل بلاده فأرسل إلى «مهراب» يسأله التربث والصبر، وأسرع لملاقاة أبيه وهو حاضر على رأس جيش إيران. فلما قابل «زال»، أباه أكد له أنه سيدافع عن «مهراب»، لأنه يحب ابنته وسيزورها مهما يكن رأي ملك إيران، ولأنه هو السبب في هذه الغارة التي لن تنجح إلا إذا قطعت رأسه. فرأى «سام» أن يوفد ولده «زال»، إلى الملك «منوچهر»، لعله يقنعه بالموافقة على زواجه فتفتف الحرب ويكون الله المؤمنين القتال، وبينما الشر الذي صرخ أو كاد.

ويذهب «زال»، عند «منوچهر»، ويشرح له قصته وكانت قوى المرابدة قد بلغت مسامعه، وأصبح راضياً عن زواج «زال»، بنت «مهراب»، وأسكنه أراد أن يستوثق من ذكائه فأمر بإحضار الموابدة وأمرهم أن يسألوه أسئلة ليبين مدى فطنته وقدرته على حسن الإجابة، فكان «زال»، يجيب إجابات بازعة حقاً. وفي آخر الجلسة أمر «منوچهر»، بالخلع والهدایا «نزال»،

ثم أمر بعودة الجيش من الغزو ، وبأن يذهب « سام » مع ولده  
لحظبة « روذبه » ، بنت « مهرا ب » .

وسار « زال » مع أبيه وأعد « مهرا ب » لاستقبالها حفلا  
رائعاً . وَمَ الزواج في أبهج مظهر عرقته كابل والمدائن . وعاد  
« سام » وأسرته إلى سistan ، وحملت « روذبه » ، فلما جاءها المخاض  
تعذرت عليها الولادة ، وأصبحت حياتها وحياة ولدها في خطر  
دائم . وجئ بالآطباء فلم يفلحوا في إنقاذ الأم ، وكاد « زال »  
يُمس من رحمة ربها ، فبكى وقعد حزيناً يكاد يشق ثوبه . وأخيراً  
تذكر أن العنقاء أعطته ريشات ثلاثة من صدرها ، ليحرق واحدة  
منها إذا أمر حزبه ، ففرق ريشة منها ، فإذا العنقاء تهبط من السماء  
وعلى فها ابتسامة ، فتحدث إليها « زال » ، عما هو فيه من ضيق  
بسبب تعذر ولادة « روذبه » ، فتهته عن البكاء ، لأن الأبطال  
لاتزعزعهم الخطوب ، وأمرته بإعداد نصل ماض ليشق به جنب  
« روذبه » ، ثم يخرج الطفل من جنبها .

وهكذا فعلوا ، فلما نزل الولد وأفاقت « روذبه » ، وكانت قد  
أوشكت على ال�لاك ، قالت « برستم » ، أى قد نجوت ، فسمى الولد  
« رستم » ، وقد رباه « زال » وتعهده جده « سام » ، فنشأ أعظم أبطال  
إيران .

## رسم حامى الملوك

وشب رسم قى مديد القامة ، عريض المنكبين ، مقتول الذراعين ثابت الجنان ، جليل القسمات ، ولم يكن أربع منه فى ركوب الخيل ، ولا أقدر منه فى القنص ، ولا أقوى منه فى القتال والمصارعة ، وقد اختار لنفسه حسانا ، له من طاقة الاحتمال ، وسرعة الجرى ، والقوة ما لم يكن لحسان آخر ، وكان رسم يحب حسانه ويؤثره على سائر الحيوانات ، واسمه « الرُّخش » .

وذات يوم ركب رسم الرخش ، وسار في الصحراء يتريضن ويصطاد ، فأخذته سنة من النوم ، فربط الرخش بحجر ، وأسلم عيونه للكرى ، فلما أصبح لم يجد حسانه . ذلك أن جماعة من الترك قد حضروا فرأوا الحسان ، وكانوا كأنهم يبحثون عنه ، فحاولوا سرقة ، فبطش الرخش ببعضهم قبل أن يتسكن الباقيون من إلحامه وسوقه إلى المدينة . صحا رسم من نومه فلم يجد حسانه فعز عليه أن يفارقه ، وعزم على السعي لإنقاذه ، وأبصر حوله فرأى آثار أقدام اللصوص وحواجز الرخش ، فسار على الأثر ، حتى إذا أرخى الليل سدوله اتى إلى مدينة فدخلها ، فعرفه أهلها وخسوا بأسه ، وأسرعوا إلى ملوكهم فأخبروه أن « رسم » البطل قد أتى يبحث عن رخشة وأنه يظن أن سارقه في المدينة يقيمون . فسارع الملك

لملقاته ، ودعاه إلى قصره ، وأكده له أنه سيبحث عن الفرس  
وسيرده إليه . ثم أمر بإعداد مائدة للعشاء فأكل رستم وشرب  
كثيراً ، ثم دخلوه مخدعاً ملكياً ليقضي الليل فيه ، فدخل وخلع  
ملابسها وأسلم نفسه للنوم .

واتصف الليل ، وأحسن رستم وقع أقدام في غرفته ، ففتح  
عينيه فرأى فتاة لم تقع عيناه على أجمل منها ، وفي يدها شمعة من  
الكافور تضيء بها المكان ؛ فنهض رستم من فراشه وسألهما من هي  
وكيف دخلت ؟ فأجابته بابتسامة ساحرة راضية : « أنا ثمينة ، بنت  
الملك ، أنا التي تتبع أخبارك منذ صباك فاشتقت إلى روياك ،  
فمسكت ثم ذرت ثم أمرت خدمي بسرقة رخشك حين عرفت أنك  
في صحراء قرية تقطاد ، ولم يكن يارستم من وسيلة حملك على  
دخول مدینتنا وبلغ المني من مقابلتك بغير هذه الحيلة ، فإنك  
حريص على حسانك لأنك عزيز عليك .. فإن أنت تقدمت غداً  
إلى الملك فطلبتك يدي وصيرتني زوجة لك فإني رادة فرسك الذي  
تحب ». وأعجب رستم بالفتاة ، ورأى فيها من الجمال ، وظهر البداؤة ،  
وحسن المنطق ماقربها إلى قلبه وحبيها إليه ، فوعدها بالزواج  
وأمehrها إلى الغد .

وتعلق قلب رستم بالفتاة ، وبات يفكر فيها بقية الليل ،  
وفي الصباح قابل الملك وطلب يدها منه ؛ فسر هذا بالحسب سروراً

عظيمها ، وأقيمت الأفراح في المدينة ، وشارك الناس ملوكهم  
في احتفاله بزواج ابنته ثمينة من بطل إيران رستم .

ولبث رستم أياماً مع زوجه ، وبينما هو معها في حديقة القصر  
إذا به يسمع الرخش يحصل صريله إذا وقعت بالبلاد واقعة ، فأدرك  
أن الرحيل قد آن أو انه ، وأن ليس بد من وداع زوجه . ولم يكن  
يستطيع أن يصحبها معه لأن الناس في سistan يتذرون أن يتزوج  
بنتا من بيوت إيران العظيمة ، وكانت ثمينة حاملا ، فأعطالها بستم  
خرزة زرقاء وقال إذا ولدت أثني فضعي الخرزة في شعرها ، وإذا  
ولدت ذكرأ فاجعليها في ذراعه يذكر بها أباها ، ثم قبلها ، وودع  
الملك وركب رخصه ، وسار إلى سistan .

\* \* \*

لم يكدر رستم يصل إلى أبيه «زال» حتى طلب هذامنه أن يسرع  
لإنقاذ الملك كيكاؤس من الجن في مازندران ، وعجب رستم كيف  
جرؤ كيكاؤس على السير إلى مازندران ، ولقد ناه أكثر من مرة  
عن هذه الخطارة ، فإن الجن حربهم لا يستهان بها ، وقد يكون فيها  
فناه الدولة إذا فني في الحرب أبطالها ، قال «زال»: إنك يابني تعرف  
ما عليه كيكاؤس من ضعف الإرادة وخور الرأى ، وإنك لتعرف  
ضعفه وتراخيه في مجالس الغنا ، وقد قيل له: إن مغنى بالباب يريد

أن يسمع الملك صوته ، فناداه فتنه أغنية عن مازندران وما فيها من حدائق كالجنان ، فلم يطق صبراً ، وقام يغزو بلاد الجان ، من غير أن يرجع إلى أو إلى أحد من مستشاريه . فلما ذهب إلى مازندران استعان ملوكها بملك الجن « سيدديبو » ، فسارع هذا إلى نصرة الملك ، فأظلم الدنيا في رجه كيكاؤس ثم أوقع المزينة بجيشه وأسره وأفقدمه البصر ، وهو اليوم حبيس قلعة الظلمات ، وإن عليك يا بني أن تندى ملكك مما ألم به من سوء ، وأن تعده إلى عرشه ، وأن تأذن بعذاب أعداءه الذين اعتدوا عليه .

فركب رستم الرخش ، وسار يقطع الفيافي والقفار ، ولقي في الطريق من الأهواز ما تشعر له الأبدان ، ولكنه هو ورخشة تغلبا على كل صعوبة حتى بلغا قلعة في وسط الصحراء ، فانبىء ملوكها ، أولاذ ، لقتال رستم خاربه هنا وأسره ، وطلب إليه أن يدله على مازندران وما فيها على أن يعطيه ملوكها بعد أن يخلص كيكاؤس . قبل أولاذ ، ودله على الطريق .

وسار رستم ومعه أولاذ حتى بلغا حدائق عظيمة فقال له : هذا هو باب مازندران . فتقدم رستم غير هياب وقتل الحراس ثم دخل المدينة فإذا به يرى قلعة فوق الجبل ، فقال له أولاذ : إنها القلعة التي أسر فيها كيكاؤس ؛ فضل الرخش صلة عالية سمعها ملك إيران فأدرك أن « رستم » قد جاء لإيقاذه . واقتصر رستم القلعة ، وقتل

من قابله من حراسها ، ثم دخل فوجد كيكاووس مقيداً وقد فقد بصره ، فعاققه وشكره على النهوض لإنقاذه ، ثم قال : إن نصر جيشنا لا يتم إلا بقتل ملك الجن « سيدديو » ولكن تبلغه عليك أن تجتاز الجبال السبعة ثم تجده وراءها في مغارة عميقة من الصخر ، وقد أخبرني الحكام أن بصرى يرد إلى « إن أنا غسلت عيني بدماء كبدك ، فإذا بلغت المغارة وقتلته فلا نفس أن تشق بطنه وتحمل كبدك معك .

وخرج رستم من القلعة ومعه أولاد ليدله على الطريق ، فاجتاز الجبال السبعة ، وبلغ باب المغارة فربط أولاده في حجر ، ودخل وفي يده سيفه ، فهوى على من قابله من الحراس ، ثم سار حتى بلغ ملك الجن نفسه ، فرجده راقداً كالتيتين العظيم والنار تقدح من عينيه فهوى عليه بسيفه فشقه نصفين ، بعد صراع عنيف ، ثم انزع كبده وخرج .

وعاد إلى القلعة فأعطى كيكاووس كبد ملك الجن فسح به عينيه فعاد بصرأ .

\* \* \*

وجلس كيكاووس يفكر مع رستم في إخضاع مازندران بعد أن قتل رستم من فيها من الجن الذين لن تقوم لهم قامة بعد موته ملوكهم ، فأرسل إلى ملوكها رسولًا يدعوه إلى الخضوع وتقديم الطاعة ،

فاستغشى ثيابه واستكبار استكباراً ، ورد الرسول متوعداً ملك إيران  
مهدداً بحرقه في عقر داره ، إذا لم يعدل عن رأيه في إخضاع  
مازندران .

وعاد الرسول فقص على كيكاووس ما صرخ به الملك ، وسمع  
رسنم الحديث فقضب وقال : هذا أمر لا تجدى فيه السفاره وحدها ،  
إذن وعدت أولاد بعرش مازندران ، وإن ذاهب لقتل ملوكها  
وأضع أولاد فوق عرشه ؛ واستأذن الملك وسار .

ولما اقترب رسنم من قصر ملك مازندران استقبله رسنه على  
الباب ، وكان بينهم فارسون لا يشق له غبار ، عرف في مازندران  
 بأنه أقوى رجالها وأمهر فرسانها ، فشد على يد رسنم ، وهو يحييه  
يريد أن يظهر له قوته ، فصر هـذا يده حتى قذفت الأظافر من  
أصابعه ، ثم أدرك رسنم أن الآية تتجه إلى توهين عزمه ، وتنبيط  
همته . فانزع شجرة عظيمة من جذورها ، وأمسكها بيده ، كأنها  
عصا ، ودخل القصر . وعلم الملك أن فارسه الذي يعتمد عليه قد  
ُحضرت يده هصراً وهو يسلم على سفير كيكاووس ، فأدرك أن  
السفير الجديد هو بطل إيران ونفر نبلاؤه رسنم ، هقام وأحسن  
استقباله ، ولكنه لم يذعن لمطالبه ، فبارزه رسنم فضر به ضربة  
قاضية ، فانقلب الملك حيناً كأنه قطعة من جبل ، فحمله رسنم  
وسار به إلى كيكاووس .

فليا اقترب رستم من مكان ملکه ، أبصره الناس ، وبين  
يديه ملك ما زندران ، وقد سحر نفسه حجرا ، فأخذوا يكرون  
ويملون وينثرون عليه الزهور والجواهر . فليا دخل على كيكاووس  
ألى الملك المسحود على الأرض وهده وأوعد ليحطمه إذا لم يرفع  
عن نفسه السحر ، فظهر الملك على حقيقته ، فلله رستم بالسيف  
فشقه نصفين .

ثم كافأ « أولاد » ملك الصحراء بأن حرم إليه ملك ما زندران ،  
وجعله من أتباعه الخصيان .

\*\*\*

عاد كيكاووس إلى المدائن فاستقبل فيها أحسن استقبال ،  
بفضل ما أتيح له من النصر على الشياطين وقتلهم ملك الجن واستيلائه  
على ما زندران .

وكان كيكاووس ضيق الفكر ، سقيم الرأى ، فلم يكدر رستم  
يستريح من غزوته وعراكه مع الجن ، حتى اضطره إلى خوض  
معركة أشد هولا من هذا كله ، مع العرب والترك .

\*\*\*

ذلك أن كيكاووس ، بقصر نظره ، حسب الفضل في قتل ملك  
الجن راجعاً إليه . فلم يكدر يبلغ المدائن حتى أمر بإعداد الجيش لغزو

هاماوران ، فسار على رأس جماعة وعبر البحر وأوقع المزيمة  
بملكتها . وكان لهذا الملك ابنة واحدة ، رائعة الجمال ، فطماع كيكاووس  
في زواجهها ، فطلبتها من أبيها ، فأعتذر بادي " ذى بدء . ذلك أنه  
أبصر نفسه ، وقد فقد سلطانه ، وأصبح ملكاً تابعاً — وما أشقي  
الملوك التابعين — ثم أبصر نفسه سيحرم من أعز الناس عليه ،  
وهي ابنته ، فأعتذر ؛ لكنه لقى من ابنته ميلاً لـ كيكاووس ، فاضطر  
إلى قبوله زوجاً لها وهو راغم .

\* \* \*

وعاد كيكاووس ظافراً ومعه زوجة الجديدة ، فأخذ أبوها يفكر  
في حيلة ينتقم بها بنفسه ، وتعيد إلينه ابنته . فبعث إلى كيكاووس  
يدعوه لزيارة بلاده صديقاً ونسيناً ، فقبل كيكاووس الدعوة ، رغم  
ما نصحت به زوجة ابنة ملك هاماوران ، فاستعد للرحلة وأخذ  
زوجه وسار مليئاً .

\* \* \*

أما رستم فإنه بلغ سistan رافع الرأس ، مشرق الجبين ، فقابلته  
أبوه زال واحتفلت البلاد بعودته ، وهناك أتاه رسول من عند  
زوجه ثمينة تنبه أن الله قد رزقه بنتاً ، فحزن رستم لهذا ، فقد كان  
يريد ولذا يختلفه في بطولته ، ولكنه أرسل المدايا من الجوائز

وآنية الذهب لزوجه وابنته ؛ والحق أن ثمينة لم تكن صادقة فيها ابأت .

وجلس رسم يحدث والله زال بأن ثمينة قد رزقت منه بنتا ،  
فسر الجد بهذا النبأ ، وأخذ يتحدث مع ولده في هذه ودعة .

وبجأة دخل رسول مقبل من المداش ، وأخبر « زال » أن كيكاؤس قد ذهب لزيارة ملك هاماوران الذي تزوج ابنته . فاتهز هذا الملك فرصة مجئه زائراً بغير جيش يحميه ، وأسره في قلعة عنده ؛ وأن أفراسياط ملك الترك لم يكدر يسمع أن ملك إيران أسير في بلاد العرب ، حتى أسرع فهاجم إيران واكتسح أراضيها ؛ وجلس على عرsha ؛ وأن البلاد اليوم في أيدي الترك يسومون أهلها العذاب ، وأن الأمل في تخلص الملك من يد العرب ، وتحرير إيران من جند الترك ، معقود على زال وولده رسم . فقام البطلان من سistan ، وسارا لللاقاة أفراسياط فلقياه وهزماه وطرداه من إيران ، ثم اتجه رسم إلى هاماوران فركب البحر وخلص الملك من الأسر ، وأعاده وزوجه إلى المداش .

وادرك كيكاؤس أن « رسم » ، أنقذ حياته المرة تلو المرة ، وأنه في سبيل هذا قد اقتحم من المصاعب ، وركب من المخاطر مالا قبل البشر به ، وأنه آخر مرة أنقذ إيران كلها من يد الترك وأوقع في قلب ملوكهم أفراسياط من الرعب والذعر ما اضطرب إلى أن

يولى منه فراراً ، فأعد كيكلاوس حفلاً عظيماً ونادى النبلاء والموابدة ، وخلع الخلع والهدايا على رسم ثم قلده بهلوانية العالم.

## سهراب ورسم

لم تكن بنتاً تلك التي أنجبتها ثمينة زوج رسم ، إنما ولدت طفلاً باسم التغر فسمته « سهراب ». وكبر « سهراب » ، فوجد نفسه أشجع أقرانه وأقوامه ، وبدأ بين الترك متميزاً عنهم ، في ذكائه ، وإقدامه ، وفقرته في الصيد ، وجده في الصراع ، فأخذ يلح على أمه أن تحدثه عن أبيه ، فإنه يرى نفسه من سلاله غير سلالات زملائه ، وكانت أمه متربدة أشد التردد في إجابته ، فهى تريد أن تبوح له بسر أبيه لأن في هذا خرفاً أى خرق لفتاه ، وهى في الوقت نفسه تخاف أن يسافر إلى حيث أبوه إذا عرف الحقيقة ، وحيث تذبذبها وحيدة ، وهى لا تريد ذلك . وأخيراً أخبرته أنه ابن رسم بطل إيران ، وحدثته عن الخرزة الزرقاء التي يضعها فوق ذراعه ، إنها رمز من أبيه إليه . وأصر الشاب على أن يذهب إلى أبيه ، فإنه أصبح لا يطيق صبراً على فراقه ، وهو يريد أن يكون بجانبه في غزواته وحروبها ، واشتد حب الفتى ل أبيه إلى حد أنه أزمع السير إلى إيران ليعزل ملوكها ويولى أباها مكانه ، فإنه هو الذي يحمي عرش إيران ، وهو أولى بأن يجلس

على عرشه .. وعبنا حاولت الأم أن تثنى عن عزمه ، فبكت  
وتسللت ؛ إنه هو الذي بقى لها ، وإنها وقد حرمت من زوجها  
فقد وجدت في ولدتها العزاء ، ثم هي وجفة أن يقتله أفراسياب  
إذا عرف أن ابنًا لرستم يعيش في بلاده ؛ ولكن الشاب لم تضعفه  
دموع أمه ، ولم يبطئه توسلها ، وكشفها بأنه ذاهب إلى ملاقاة  
ملك إيران ليخضنه عن عرشه ويرفع أبياه رستم عليه .

وجاء الرسل لأفراسياب خديثه بالأمر ، وكان يعلم ما عليه  
سهراب من قوة وذكاء ، ويرى أنه بطل الترك الذي لا يبارى ،  
فليا علم أنه ابن رستم وأنه ذاهب لقتال ملك إيران ، قال إذاً  
فلنحط في هواء ، ولنذهب بمحنود من عندنا ، فإن رستم ذاهب لقتاله  
ما في ذلك شك ، والوالد لم يرب ابنه من قبل ، وكذلك الولد  
لا يعرف أبياه ؛ وجاء « هومان » مستشار ملك الترك ، فصاحب  
« سهراب » في رحلته ، لأنه يعلم المسالك والمقواز إلى إيران ،  
ولأنه مثل « أفراسياب » في حاشية « سهراب » . وكان « هومان »  
حكيمًا من حكامهم المشهورين ، وكان « سهراب » يسمع عنه ،  
ويعجب بسيرته ، وغزاره عليه ، وغالى نصحه ، فأولاًه ثقته ،  
وأتخذه مشيرًا له يسأله كلما احتاج إلى رأى .

وهكذا سار الجيش يتقدمه «سهراب» و«هومان»، ملقاء  
جيش ملك إيران.

\* \* \*

وفي الطريق وجد «سهراب» قلعة فاجتازها وقتل ملوكها،  
وطلعت ابنة الملك في زي الرجال، فبارزته وكانت يقتتلها فكشفت  
القناع عن رأسها فتدلى شعرها، فأنزل «سهراب» يده، فإن  
الأبطال لا يقتلون النساء. وبلغ الخبر كيکاووس فأضجع مضجعه،  
وخشى مغبة هذا المجرم، فإن الناس يتحدثون عن بطل جديد في  
بلاد الترك، لو صاحب «أفراسياب» لكتب له النصر، فبعث  
إلى رستم يطلب منه الحماية ويستعجله القيام فإن الخطيب جلال. وجاء  
الرسول إلى رستم فدعاه هذا إلى الشراب، وتناول في النهر، ضم إلى  
الحرب، فإنه لم يكن يعبأ بالترك، وهو يعلم أنه يغلبهم حينما يدركهم،  
 وأن «كيکاووس» جبان رعديد، يخيل إليه ضعفه وخوره أن الترك  
على أبواب داره وليس إلى دفعهم من سهل.

وبعد أيام قام «رستم» ومعه الجناد، وتحث المسير للقاء  
«سهراب»، وفي وسط الصحراء تلاقى البطلان: أما «سهراب»  
فقد تقدم وفي نفسه أن يعرفحقيقة خصمه، فإنه شعر بقلبه يتحقق  
حين رأه، وما خفق قلبه من قبل وهو يلاقي الأهواز جويا وجهه

الجبارة ، وأحسن السيف يرتد في يده ؛ إنَّه يُريد أن يلقى السلاح وأن يجلس جانباً مع هذا الخصم ليتحدث معه ؛ هو يحب هذا الخصم ولا يُريد أن يلقاء كاً يلقى العدو عدوه ، إنَّما يُريد أن يلقاء كاً يلقى الحب حبيبه ، أيكون هذا الخصم «رسْم» ، أَهُو أَبُوه الذِّي يحمل خرزَتِه فوق ذراعِه ؟ .

أَمَا «رسْم» فيتقدم حافقاً ، حافقاً على هؤلاء الترك ، يغرهُنَّ أن يجعوا اقْتَي شجاعاً في بلادهم فيخيل إليهم أنَّهم قادرون على غزو إيران ، حافقاً لأنَّه لم يكُد يستريح من حلتهم الفاشلة التي طردُهم فيها وألحقوا الهزيمة بملكهم أفراسياپ ؛ وإذاً فليتقدم على هذا البطل الجديد ، وليرعلمُهم أنَّ في إيران ملِكًا له بطل يحميه .

وأقبلَ البطلان ، وفي أيديهما سيفان :

ورفع «رسْم» سيفه يُريد أنْ يقضي به على عدوه ، فقال «سهراب» القوى الجبار في رفق واحترام : تمهل يا صاحبِي أَتَكون أنت رسْم ؟

— كلا ياقتي ، لست أنا رسْم ولكنَّ عبدَه .  
ولم يُرد رسْم أن يوح باسمه لسهراب لأنَّه يظن أنَّ هؤلاء الفتىَان الترك لهم من الصلف والغرور والخبث والاستكناة وقت الخرج ما يحملهم على تغلق الأبطال لينصرفوا عنهم بغیر قال ، ليَكسبوا شرف الوقوف معهم للمبارزة وليغنموا السلامة بالعدول

عن القتال ، ومن يدرى فقداً يذهب هذا الغلام لافراسيب فيحدثه بأنه لقى رستم بطل إيران ، بعد أن قتل من بارز من القواد ، فلم يقدر أحدهما على خصميه ، فتصالحا وشربا معاً وانصرفا صديقين ! وإذا فلينكر أنه رستم ، وليخيل سهراب أنه عبد له ، وليدياً القتال ليقضى على هذا الشاب الذي يراه وقد غلب حياؤه على جرأته ، ورفقه على إقدامه .

وتتبه سهراب فإذا خصميه عنيد جبار ، إنه ليس بrstم ، فليقدم إذا على صراع لا هوادة فيه ولا رفق ، فإنه لا يقاتل أباه ، وهو قد عرّف بنفسه بما يكنى لازالة كل ليس ، ولو كان خصميه رستم لأدرك الحقيقة ، ولجاش في نفسه من العوامل ما يضطرب له صدر سهراب .

وبدأ السيفان عملهما بلا جدوى ، حتى تكسر النصلان .

وعاد الوسواس إلى نفس سهراب ، إنه خصم جبار ، إنه لا يتصور هذه القوة ، والجرأة ، والمهارة في إمساك السيف ، عند غير بطل إيران رستم ، فهو إذا يعيد السؤال ؟ ألسنت أنت رستم ؟ فإذا بخصمه العنيد يجيبه :

إلى عمودك يا فتي الترك ، وما ضرك أن تحمل من أنا ؟ إلى عمودك فإن الوقت أضيق من أن تتحدث ، وأسرع رستم فأمسك عموده ، كما أسرع سهراب إلى عموده ، فالتهم الرجالان ، كل يهوى

على صاحبه ، كأسدين امتلأ قسوة وعناداً وشراً ، وتحطم العمودان  
وتمزقت الدروع ، وُفل الحديد ، ولما تدرك الرحمة قلوبًا فلت  
من الصخور .

وجلس النصمان ، ينظر كل منهما إلى صاحبه ، وسهراب يريد  
أن يتكلم ، ولكن ما جدوى الكلام بعد الذي قال ! ورسم يحب  
لهذا الفتى من أين له هذه القوة ؟ ثم ما هذه العظمة التي تبدو عليه في  
القتال ؟ ولقد حارب أقوى الإنس وأثبت الجن ، ولكنه لم  
يصارع مثل سهراب ، كأنه من نسل سام ؛ كأنه واحد من أسرتنا .

ولا يكاد هذا الخاطر يمر بذهنه حتى يتبدد ، من أين يكون  
وليس لي ولد ؟ ! حدثني ثمينة أنها وضعت أثثى ، فبعثت إليها بالجواهر  
وآنية الذهب ، ولو ولدت ذكرأ لكان بطلاً يجري على أثر أبيه  
جريان رسم على أثر زال ؛ وزال على أثر سام ؟

ومضت ساعة استراح فيها البطلان ؛ فقاما وتلاحموا ، وأمسك  
كل منهما بتلابيب صاحبه ، ها هو رسم يمسك معقد منطقة سهراب  
ويجذبه منها ، وسهراب كالمطرد لا يتحرك . وها هو سهراب يحاول  
أن يوقع رسم أرضاً ، ونفسه لاتطاوعه . وتعب النصمان وتراجع  
سهراب إلى الوراء قليلاً يكاد يتميز من الغيط : ألا ترحم شيخوختك  
أيها الشيخ ؟ ألا تخاف فوق وشبابي ؟

ويقدم «رسم»، كالأسد المنك : تقدم إليها الشاب ، تقدم فإنى صارعك صرعة يتحدث بها الناس في إيران وتوران ، ويتقدم «سهراب» غاضباً كالليث المصور فيرفع «رسم» بذراعيه ثم يلقيه على الأرض .. ولا يقتله ؛ إنه يغلبه ولكنه لا يقضى عليه .. إن يده لا تطاوشه على إخراج مديته يجز بها رقبة خصمه ؛ كلا ، كفى إنه غلبه .. ويفيق «رسم» فيطلب المدد من الفتى الثائر الغالب ، فينظر «سهراب» إلى خصمه الجاثم على الأرض ويقول :

ابن مكافك ، فإن حسابي ليس معك ، إنما حسابي عند كيكاووس إني ذاهب إليه ، أقتلع خيامه وأقتل جنده .. وانصرف «سهراب» إلى معسكر «كيكاووس» ، وأفاق «رسم» فأراد أن يذهب إلى معسكر «أفراسياب» ، ولكنه خشي على «كيكاووس» ، أن يقتله «سهراب» ، أو يأسره ، إنه بطل إيران وحامي ملوكها فليسرع إذا لإنقاذ الملك . وجرى فلحق «سهراب» ، وكان الليل قد أقبل بظلماته ، وهدوئه فطلب المهلة من «سهراب» ..

أى مهلة يطلب الشيخ البطل ، ألم ير إلى وقد اقتلعه من على الأرض اقلاعاً وأقيمه مجندلاً على الأرض . ألم ير أنه كاد يلقى حتفه من شدة ما ارتطم بالصخرة جسده ، ولكن أليس من الخير أن أهادنه وأمهله إلى اللند ، إنى أريد أن ألقى «هومان» ، فأسأله إذا كان هذا الخصم هو «رسم» ، والدى ؟ إن يدى لا تطاوعني على قتله مهما بدا من قسوته وجفانه .

ونظر «سهراب» إلى «رسم»، وقال : إذن إلى صباح الغد  
كما تريده، وانصرفاً .

\* \* \*

اللاترى يا «هومان»، أن هذا البطل أقرب ما يكون إلى «رسم»،  
ولقد والله ألححت في سؤاله فألح في النقى ، إنه يقول إنه عبد من  
عييد «رسم» . ولكنني لا أرى هذه القوة لغير «رسم» ؟ أرأيت  
«رسم» يا «هومان» ؟ نعم يا «سهراب» ، رأيت «رسم» وأعرفه  
جيداً ، والحق إن هذا الرجل يشبه «رسم» ، كثيراً ولكنـه ليس  
هو . ولعـت عـينا «هومان» الخـيـث الأـثـيم بالـشـر ، إنه يـهـيـهـ القـتـلـ  
«رسم» ، فإـنه مـقـتـول لاـحـالـةـ ، إنـقـلـهـ «سـهـرـابـ» ، فـقـدـ قـضـيـ  
الـأـمـرـ ، وإنـقـلـهـ هوـ «سـهـرـابـ» ، فـقـدـ قـتـلـ وـلـدـهـ وـفـضـيـ الـأـمـرـ أـيـضاـ.  
فـهـوـ إـذـنـ يـؤـكـدـ أـنـ «رسم» ، رـجـلـ آـخـرـ ، وـهـكـذـاـ اـطـمـآنـ «سـهـرـابـ»  
وـإـذـنـ فـلـيـذـهـبـ «سـهـرـابـ» ، إـلـىـ فـرـاشـهـ ، وـلـيـمـ هـادـئـاـ ، فإـنهـ  
لاـ يـقـاتـلـ «رسم» ، إـنـماـ هوـ يـقـاتـلـ عـبـدـاـهـ . وـمـعـ ذـالـكـ فـقـدـ ذـهـبـ  
«سـهـرـابـ» ، إـلـىـ فـرـاشـهـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـنـامـ ، إـنـهـ شـارـدـ اللـبـ ،  
إـنـ شـيـئـاـ خـفـيـاـ يـقـلـقـهـ وـيـذـهـبـ عـنـهـ النـوـمـ ، وـعـيـئـاـ يـحـاـوـلـ أـنـ يـقـنـعـ  
نـفـسـهـ بـأـنـ يـنـامـ لـيـصـبـحـ مـسـتـعـداـ لـمـاـ هـوـ مـقـبـلـ عـلـيـهـ ، إـنـهـ يـفـكـرـ فـيـ مـحـادـثـةـ  
خـصـمـهـ ، وـهـوـ غـيـرـ مـرـتـاحـ لـقـوـلـ هـوـمـانـ .

أمارستم قدذهب وقام مستريحاً استعداداً للعد ، إنه شيخ مجرب ،  
وهو يدرك أن الراحة لازمة لنصب العراك ، وجلد الصراع ،  
يحدث نفسه : « ولكن ما بال هذا الفتى التركي يتقرب مني كلاماً يمكن  
من ذلك ؟ إنه لم يقتلني وكان يقدر على ذلك ، إنه يتلطف معى في قتاله ،  
إن شيئاً يمنع هذا الفتى من الفتاك بي ، ولكن ماذا عسى أن يكون  
هذا الشيء ؟ إنه نقص في تجربة الفتى ، إنه شاب في مقتبل العمر  
أو قى من القوة ما لم أر لشاب مثله ، ولكنه لم يجرب الحياة بعد أو  
لعله يرهبى ». وذهب فقام وقام مستريحاً مستعداً .

\* \* \*

وجاء الصباح والتى رسمت سهراب . إن سهراب لا يرفع يده  
بالضرب ، ولا يقبل على صاحبه للصراع ، إنما هو مقبل عليه باسم  
النفر راضى النفس ، حياً تحية الصباح ، سائلاً عما كان عليه نوم  
المساء ! ورسم يعجب لهذا الذى جاء للقتال فسى نفسه ، فهو ينهر  
صاحبه ويقابل رقته بخشونة ، وإقباله بصدود ، وتحيته بخفاها !  
إلى القتال !

واشتباك الرجال ، وعاد سهراب إلى غيظه ، وخيل إليه أنه  
يتملق الشيخ ، « ومن يدرى ، لعل الشيخ يحسيني أخلف منه أو أنى  
عن غلبه عاجز ، ألا فلارينه بأسى وإنداى ، ولا ضربته ضربة  
يدرك منها أنى ابن رسم » . وهجم سهراب فألقى خصمه على الأرض

واستل سيفه يريد أن يقطع رأسه . ولكن رسم حدثه بأنه ليس من عادة الأبطال أن يقتلو المغلوب أول مرة ، إنما يحق له ذلك إذا أوقعه مرة ثانية ، وطلب إليه أن يمهله للغد ، وسهراب موافق على هذا الرأي ، مسارع إلى إجابته ، إنه واثق بقوته ، موقن أنه قادر على غلبه ، ولكنه لا يريد أن يقتله أبدا .. فليمهل يوما آخر.

\* \* \*

« يا هومان إن قلبي لا يطأو عنى على قتل هذا الشيخ ، إن أقوى منه لآن شاب وهو شيخ كبير ، إن أخاف أن يمسه منضر ، فأنا أرفق به ، وأحسن معاملته ، يا هومان إن قلبي يحذثني أنى أقتل أبي ، ولو والله تأكيدت أنه ليس أنى لصرعته بضربه واحدة . إنه يا هومان وقع أمامي اليوم ولكنه حدثني أن ليس من شيم الأبطال أن يقتلو من وقع منهم لأول مرة ، وطلب أن يمهله إلى غدا فآمنت به ، وأبرقت عينا هومان ، الشقيق الشرير القاسي ، « أتركته اليوم ياسهرا ب ؟ إنك كمن أوقع الأسد في كين فلم يقض عليه ، يعود الأسد فيفترسه . إنه سخر منك يا سهرا ب ، وإن أخاف أن يغدر بك غدا ، فاحترس منه ، ولا توان في القضاء عليه ، ودع عن نفسك الوساوس ، فإنه ليس برسنم ، ألم أحدثك أنى أعرف رسم خير المعرفة ، إنه ليس برسنم »

\* \* \*

وفي اليوم الثالث التقى البطلان ، وأقبل سهراً بيلاتف رستم  
فلم يأبه هذا له ، بل هجم عليه كالأسد الجائع فألقاه على الأرض ،  
ثم استل سيفه فهو بيه عليه ، وصاح صيحة ساعات النصر . رستم !  
« رستم ! من رستم ؟ أبي ، إنه قاتلك ، إنه سيقطعك إرباً انتقاماً  
لقتل ولده سهراً ! » ورفع رستم السلاح ونظر إلى سهراً ،  
يكاد ينفطر قلبه ، « لم يكن لرستم ولد يা�قى » ، « كلاً بل إن له ولداً  
هو سهراً الذي قتله » .

وعاد رستم بذلك الأيام الحلوة التي قضتها مع ثمينة  
وتخيل ابنه منها وقد شب وبلغ عمر سهراً ، ولكن ثمينة أخبرته  
أنها رزقت أثني .

وكادت نفسه تطير شعاعاً ، وقال أفعص يا سهراً إنى أنا رستم !  
فكشف سهراً عن ذراعه ، فرأى رستم الحزرة التي أعطاها  
ثمينة .. فأدرك الحقيقة التي حاول أن يفهمها له سهراً ، فلم يلق  
إليه بالاً . ولم يستطع رستم أن يضبط نفسه ، فهو بجانب ولده  
واحضنه وعلت بالآنين زفاته ، كالأسد الجريح .. وصهل الرخش  
صهيله في الملأت ، وأسرع خبشاً بجوار سيده والدموع يتتساقط من  
عينيه الحزيتين .

وجاء العظاء من معسكر كيكلاوس ، فرأوا بطلهم وقد شق

قيصه وارتمي بجانب ولده ييكه ، وشاهدوا سهراپ والمع  
يتفرق في عينيه ، والدماء من جرحه تسيل ، وذهبوا ليحضروا  
دواء عسى أن ينفع الدواء ! وأفاق رستم فرأى ابنه مضرجا في  
دمائه ، ورأى السيف الذي قتل به ولده ، فأمسكه وأراد أن يقتل  
نفسه ، فند سهراپ يده في عطف ورفق ومنعه .

«في الجزع يا أباها ، لقد أجريت البطولة في دمي ، فشئت  
أشجع شبان بلدي وأقوام ، وطالما بذلت حياتي رخيصة في سبيل  
بلادي ، ومنذ ثلاثة أيام وأنت تعم بي ، وتحمّن ناظرك برؤيائي ،  
ولقد لمست ما وهبني من قوة وجدة ، فلتعش يا أبا قرير العين ،  
راضي النفس ، ولتشع بأنك كان لك ولد ، لقيت فيه نفحة من  
بطولتك ، وصورة من قوتك ، حتى إذا مات ، مات على يديك  
ميته الأبطال ، يا أبا ارع أمي ولا تدعها وحيدة يقتلها الحزن ،  
وادع إلى الصلاح بين قومك وقومها ، فلا هؤلاء بملاقين مثل سهراپ  
من بعدك ، ولا أولئك مثل رستم من بعدهك ، فليرض كل منهما  
بأرضه ، وليعيش فيها سعيداً .

أما هو مان فليجزه الله بسوء صنعه ..

ثم نظر سهراپ إلى رستم نظرة الوداع ، وفاحت روحه  
إلى بارتها .



## الملك والشجرة

٦١

أودع شاب شيخاً كبيراً مائة تومان (عملة فارسية) ولما طلب  
أمانته من الشيخ أنكرها وقال إنك لم تودعني شيئاً ، فذهب الشاب  
ورفع قضيته للملك ، فطلب الملك الشيخ وسأله لماذا لم يرد لهذا  
الشاب أمانته . فقال الشيخ إنني لم آخذ منه شيئاً .

قال الملك للشاب : ألم يرك أحد وانت تسلمه النقود ليشهد بذلك ؟  
فقال الشاب : كلا يا مولاي ليس لدى شاهد على ما أقول .  
فسأل الملك الشيخ أن يحلف بأنه لم يأخذ مال الشاب ، ولكن  
الشاب لفت نظر الملك إلى أن مثل هذا الشيخ الخائن يحلف حانثاً  
ولا يبال .

فسأل الملك الشاب : عندما أسلمته مالك أين كنت تجلس ؟  
قال الشاب : كنت أجلس تحت شجرة في الصحراء ، فقال  
الملك : إذن كيف تقول أن ليس لديك شاهد ، إذذهب إلى الشجرة  
وسرها أن تحضر فوراً عندي . فقال الشاب متعجباً : إنني أخاف  
ألا تطير الشجرة أمر مولاي ، فقال له الملك : إذاً خذ هذا الخاتم  
وأرها إياه ، لتأتي معك .

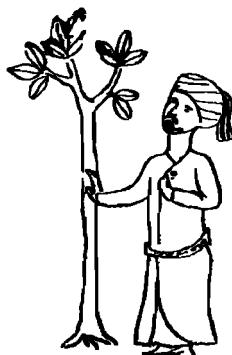
قبسم الشيخ الماكر وظل صامتاً ، وأما الشاب فقد ذهب ينادي  
الشجرة ؟

وبعد مدة سأله الملك الشيخ قائلاً : ترى هل بلغ هذا الأحمق  
الشجرة ؟

فقال الشيخ : كلا يا مولاي إنه لم يصل إليها بعد .

وبعد ذلك حضر الشاب فأخبر الملك أنه أرى الشجرة خاتمه  
فلم تحرك ساكناً ، فضحك الملك وقال له . ولسكنها شهدت يا بني .  
ثم أمر الشيخ برد المبلغ وعاقبه .

( جامع الحكایات )



## ٦٢ الدرويش المثالف

جلس أحد الملوك في مجلس سهره ، يشرب مع حاشيته ويلهو ،  
فصاح قائلاً : ما أطيب وقتاً هذا ، فإنما لا تفكر في خير أو شر  
أو إنسان .

وكان تحت النافذة درويش ينام في البرد عارياً فسمع قول الملك  
فقال : يا ملوكنا إذا صفا لك الجو فإنه يصفو لنا .

فسر الملك بهذا الكلام وأطل على الدرويش وقال له : أعد  
ذيل قيصك فإني ملق إليك صرة بها ألف دينار .

فقال الدرويش : ليس على قيص يا مولاي .

فبعث إليه الملك بخلعة ومعها الألف دينار .

فأتلف الدرويش المال في بضعة أيام . فإن المال لا يبقى في يد  
الأحرار ، هو كالصبر في قلب العاشق ، أو كالماء في الغربال .

\* \* \*

وأبلغ بعض رجال الحاشية الملك بما كان من أمر الدرويش المثالف ،  
ولم يكن الملك منشرح الصدر في هذا الوقت ، فغضب غضباً شديداً

وأمر بطرد الدرويش ، قائلًا : إن هذا الدرويش لا يعرف أن  
خراته يبت المال لقمة المساكين وليست طعمة إخوان الشياطين .  
إن الأبله الذي يشعل الشمع السكافوري والنثار مضى ، لا يجد  
زيتاً يضي ، مصباحه في الليل البايم .

فقال الوزير الطيب :

إن الخير أن نقتط لهؤلاء الفقراء في المنح ، فنجعلها قليلة  
ودائمة ، حتى لا يسرفوا في إنفاقها ، أما أن فتح لهم صدورنا فرسخ  
عليهم الرزق ، ثم نضيق بهم ذرعاً فنملأ قلوبهم باليأس ، فليس من  
الخير في شيء .

إن عطشى المجاز لا يلتلون حول عين ماء مالح ، وحيثما وجد  
الماء العذب يجتمع حوله الناس والطير والثلل .

( كلستان )



رأبت في سو منات (في بلاد الهند) صننا من العاج ، مرصعاً  
بالجواهر ، كنات في الجاهلية . وقد أحسن المثال صورته ، مخرجاً  
أحسن ما يستطيع إخراجه . ورأيت القوافل أقبلت من كل  
حدب وصوب ليرى رجالها هذا التمثال الذي لا روح فيه . لقد  
طمع في رضاه هذه الصورة ملوك الصين وچكل ، كما طمع سعدى  
في رضا حبيبه الذي قدّ من الصخر قلبه . واتجه القوم من كل مكان  
يتضرون إلى التمثال الأصم الأبكم ؛ ووقفت حائراً في كشف  
ما أرى . كيف يعبد الإنسان الجماد ؟ .

وكان لي صديق مجوسي ، نسكن سوياً في غرفة واحدة ؛  
وتربطنا صدقة وثيقة ، فقلت له :

يا برهمى إني من أمر هذا البيت لني عجب عجائب . إني أرى  
الناس قد فتنهم هذا الصنم ، قتيلهم في بئر الضلاله . إنه لا قوة في  
يديه ، إنه لا تقوى على الحركة رجله ، وإنك لو أقيمه أرضاً  
لما استطاع من العترة فهو ضاً .

ولم أكدر أفرغ من حديثي مع المجوسي حتى ضاق صدره ،

واستشاط من غيظاً ، ثم ذهب إلى المجنوس وشيخ بيت النار  
فحذهم بما كان مني ؛ فأدركت أن موقفهم أصبح عسيراً ، وتيقنت  
أن لن ألقى منهم خيراً .

وتهافت على المجنوس قراء البازند ( تفسير الأقواسة كتابهم  
المقدس ) كما يتهافت الكلاب على العظم . إن الطريق المضل عندهم  
هو الطريق السوي ، والطريق السوي هو المضل . والرجل مهما  
يكن عليه وفضله جاهل عند أهل الجهل .

ونظرت فإذا القوم يحدجون بأنظارهم وقد صاقوا بي ذرعاً ،  
فكنت كالغريق لا يجد له في لجة البحر التاثر خلاصاً . وإذا رأيت  
جاهلا قد غضب ، فإن السلامة في اللين والتسليم . فرفعت صوتي  
مثنياً على كير البراهمة قائلًا : يا شيخ التفسير وأستاذ الزند ، إني  
أضاً يطيب لي حسن هذا الصنم إنه جميل الشكل ، تجذب قامته  
القلوب . لقد أبغضت منظره ولكن لا أعرف معناه . لقد جئت  
هذا المعبد زائراً منذ أيام ، وإنه لمن العسير على الغريب أن يفرق  
بين الحسن والقبيح . ولذا فإني أتساءل منك أن تدلن على الحق فيما  
أرى ، فإنك كير هذا المعبد ، وأنت تعلم أن العبادة لا تتأتى بالتقليد ،  
وإنه سعيد من يطلع على الحقيقة ويعمل بها . ألا حدثني عن حقيقته  
حتى أعبده عن معرفة وإيمان . فأضاء وجه البرهمن من السرور  
وقال لسعدى :

يا صديق إن سؤالك صواب وصنعك جميل ، وإن من جد  
وجد ، ومن سار على الدرب وصل . وقد رأيتُ مثلك أصناماً  
في أسفاري ولكنني لم أحط بسرها خبراً . إنك ستجد هذا الصنم  
يرفع يديه إلى الله في الصباح ، فإذا شئت فابق هنا الليلة ، حتى تراه  
يتجه يديه إلى الله .

\* \* \*

وبات سعدى في بيت النار تلك الليلة ، مؤتمراً بأمر الشیخ ،  
مثله كمثل يیزن حفید رستم بطل ایران ، الذى أحبتہ بنت أفراسیاب  
خدمته قهراً إلى بيته فلما رأه أبوها سجنه في بئر بعيدة الغور :  
كذلك كان سعدى في بيت النار .

وطال ليل سعدى كأنه يوم من أيام القيامة ، ورأى الجنوس  
من حوله يصلون بلا وضوء . إنهم لا يستخدمون الماء ، وتفوح  
رائحتهم التنة ، كما تفوح رائحة الجيف في الشمس . لعله ارتكب  
أمراً إمراً ، لقد لقي جزاءه عذاباً أثيمًا تلك الليلة . وقضى ليه في  
هذا الشقاء ، واضعاً يداً على قلبه ، رافعاً الأخرى يدعوه ربها ؛ حتى  
انقضع الليل بظلماته ، وتنفس الصبح بضيائه ، كأن خطيب الليل  
ذا الرداء الأسود قد امتشق حسام النهار بلا حرب ؛ وصاح الديك  
منادياً البراهمة في الفضاء .

وأضاء النهار ، وأقبل البراهمة الفاسدون الذين لم يغسلوا

وجوهم ، أقبلوا من كل باب وواد وشارع ، حتى لتبطن أن التمار قد أقبلوا من زنجبار . لم يبق رجل في المدينة لم يحضر إلى بيت النار ، وازدحم بهم الفناء حتى لم يكن مكان لإبرة بينهم .

وكان سعدى منهوكا ، مثقل الجفون ، فإذا به يرى المثال ، فجأة وقد رفع للسماء يديه . وهنا ارتفعت أصوات البراهمة ، دفعة واحدة ، حتى لتبطن أنك تسمع بحراً صاخباً متلاطم الأمواج . ثم أخذ الواقفون في الانصراف رويداً رويداً ، حتى إذا خلا المعبود منهم نظر إلى شيخه مبتسمًا وقال : ما أشك أن الحقيقة تكشفت إليك ، وأن الباطل قد ذهب . فلما رأى سعدى أن الرجل قد استوى عليه الجهل ، لم يستطع أن يعارض أو يقول الحق ، بل جأ إلى التقية ، فأخفي الحق عن أهل الباطل .

وإذا رأيت نفسك ضعيفاً غالية الضعف أمام القوى الجبار فيليس من الخير أن تظهر الرجولة فتكسر أصابعك .

رأى سعدى أن الخير في أن ينافق ، فبكى معتذراً عما قال ، نادما تائباً . فرق له قلب الشيخ وما إلهيه ، ولا عجب فإن السيل يحرك الصخر . ولما رأى الناس أن شيخهم قد رضى على سعدى ، أقبلوا عليه وسعوا إلى خدمته ، وأمسكوا بذراعيه إجلالاً وتبجيلاً . وقدم سعدى من المثال العاج الذي ركب فوق كرسى من الذهب على تخت من الساج ، تقدم إلى هذا المثال وطلب

الشفاعة وقلم الاعتذار ، ثم قبل يد الصنم ، لعنة الله عليه وعلى  
عبدة الأصنام . وصار سعدى كافراً عدة أيام ، تقليداً للبراهيم ،  
كما أصبح من البراهيم يتلو الزند ومقالاته مثلهم ، حتى أصبح نادما  
على ما صار إليه من حظوة في بيت النار .

\* \* \*

وأبصر سعدى فإذا تحت مقعد شيخ البراهيم ستار مكبل  
بالذهب ، وخلفه جبل متصل بيد الصنم ، فأدرك على الفور سر  
تحريك يدي التمثال ، فإن الشيخ يحركه ، في يسر ، كأنه داود يصير  
الحديد شمعاً في يديه . وهكذا كان الصنم يرفع يديه للسماء حين  
يجدب البرهمي الجبل .

وعرف الشيخ أن سعدى قد كشف السر ، فنجّل ، ومن  
الخطيئة أن يذاع هذا السر ، فجرى من أمام سعدى فلحق هذا به ،  
وأنسلك بتلاييه وألقاه في بئر في الطريق :

فإن أعرف أنه إذا عاش يهدى حتى لا أبوح بالسر الذي  
رأيت ، ومن الخير ألا تتوانى عن القضاء على خصمك إذا سنت  
لك الفرصة ، فإنه لن يرجو غير هلاك ما عاش .

قال سعدى :

وأخذت أرجم الكافر بالحجارة حتى هشمته تهشماً ، ثم هربت

من هذا البلد . فإن عليك تهرب من أن رائحة قصب السكر إذا  
أشعلت في مزرعته النار . وإذا قتلت ابن الأفعى التي بعض الناس  
فلا تبق في البيت الذي قتله فيه ، وإذا حطمت عش التحول فلا تنتظر  
أمامه فإن الخطر لا يليث أن يتحقق بك . ليس في أوراق سعدى غير  
هذه الصيحة : لا تقف بجوار جدار هدمت أساسه .

وانتقلت بعد ذلك من الهند إلى اليمن ثم إلى الحجاز ، ومن شدة  
ما لقيت من الهمول في بيت النار لم يحل مذاقى حتى اليوم .

( بنان )



## وزير

٦٤

ذهب جماعة إلى وزير السلطان محمود ، حسن الميمendi ،  
و سأله ماذا قال السلطان في قضية تعنيهم .

فقال الميمendi : إن السلطان لا يخفي عنكم شيئاً .

قالوا : ولكنك وزير المملكة ، والسلطان يسر إليك برأيه  
حين لا يريد أن يوح به لنا .

قال الوزير : وما دام الأمر كذلك ، فهم تسألون وأتم تدركون  
أنى لا أفضى له سراً .

(كستان)



## ٦٥ الملك صالح

خرج الملك صالح ، من ملوك الشام ، مبكراً من قصره ليتفقد  
شتون رعایاه ، وقد سار في الشوارع والأسواق ملثم الوجه ، كعادة  
ملوك العرب ، حتى لا يعرفه الناس ولا يخفي عليه من أحواهم شيئاً .  
وقد كان هذا الملك صادق النظر ، محباً للدراوיש ؛ ومن توفرت  
له هاتان الصفتان فهو الملك صالح حقاً .

وساق حب الاستطلاع الملك إلى الدخول في المسجد ، حيث  
بيت الدراوיש ، فوجد به درويشين راقدين ، كلامهما حزين القلب  
كسيف البال ، كانا راقدين ولكن النوم لم يزد جفونهما ، وأدى لها  
الكري وهو عريانان والجو برد زمهرير ، كانا راقدين يرقبان طلوع  
الشمس ، كأنهما الحرباء تنتظرون الدفء والنور .  
فدنى الملك منهما فسمع أحدهما يقول لصاحبه :

سيكون علينا ملك ي يوم القيمة ، ولو أتيح لملوك الدنيا هؤلاء  
الذين يعيشون منغمسين في اللهو ، دائرين على اللذات ، أن يدخلوا  
الجنة مع أمثالنا من العاجزين ، فإني لن أرفع رأسى على حجر قبرى .  
إن الجنة مأواتنا ، نحن الذين نعيش وأغلال أهوم في أرجلنا . ماذا

أَفْدَنَا مِنْ هُؤُلَاءِ الْمُلُوكِ حَتَّى يَصَاغُونَا بِوُجُودِهِمْ مَعَنَا فِي الْآخِرَةِ ،  
وَلَوْ وَجَدْتُ مَلْكَنَا «صَالِحٌ» يَدْنُو مِنْ جَدَارِ الْجَنَّةِ فَإِنِّي سَاحِطُ رَأْسِهِ .

\* \* \*

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ صَالِحُ كَلَامَ الدَّرْوِيشِ أَدْرَكَ أَنَّ الْخَيْرَ فِي الْأَيْمَقِ  
بِجُواهِمَا وَتَرَكَهُمَا وَخَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ . وَمَضَتْ بِرَهَةٍ وَتَجَلَّ الصَّبَحُ ،  
وَبَدَا النَّاسُ يَوْمَهُمْ . فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ رَجُلَيْنِ مِنْ قَصْرِهِ لِيَحْضُرَا  
الْدَّرْوِيشَيْنِ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ . وَدَخَلَ الدَّرْوِيشَيْنِ الْقَصْرَ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ  
يَا كَرَامَ وَفَادِتَهُمَا ، وَتَهْيَةَ الْوَسَائِلِ لَهُمَا ، حَتَّى يَمْتَلَأَا فِي مَجْلِسِهِ . وَأَدْخَلَا  
عَلَى الْمَلِكِ وَقَدْ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، فَخَيَاهُمَا وَأَجْلَسَهُمَا قَرْبَيْنِ مِنْهُ .

وَتَغَيَّرَ حَالُ الْفَقِيرَيْنِ الْحَاضِقَيْنِ ، وَأَصْبَحَا يَرْفَلَانِ فِي قَشِيبِ الْحَلَلِ ،  
وَزَالَتْ عَنْهُمَا آثارُ الْفَقْرِ ، وَبَدَتْ عَلَيْهِمَا مَظَاهِرُ النِّعَمَةِ ، وَقَدْ اتَّخَذَا  
مَجْلِسَهُمَا مَعَ رِجَالِ الْمَلِكِ ، فِي الْقَصْرِ الْمَنِيفِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَا فِي خَشِيشَةِ  
مِنَ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ وَالسَّلِيلِ ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَا عَارِيَيْنِ ، يَرْتَدِدُانِ مِنَ الْبَرْدِ ،  
لِبْسًا أُثُوابًا مَعْطَرَةً بِرَأْتِهِ الْعَوْدِ .

فَقَاتَ أَحَدُهُمَا هَامِسًا فِي أَذْنِ الْمَلِكِ : أَيْهَا الْمَلِكُ الَّذِي وَضَعَ حَلْقَ  
حَكْمَتِهِ فِي أَذْنِ الرَّمَانِ ، إِنَّكَ تَرْفَعُ مِنْ تَعْجِبِهِمْ مِنْ رِعَايَاكَ إِلَى  
أَسْمَى الْمَرَاتِبِ ، فَأَيْ شَيْءٍ رَأَيْتَ فِينَا فَأَعْجَبْتَ بِهِ فَرَفَعْتَنَا إِلَى هَذَا  
الْمَقَامِ ؟

\* \* \*

فتفتحت أسرار الملك ، كما تتفق عن أكمامها الأزهار ، وضحك  
في وجه الدرويش وقال :

لست أنا الملك الذي يشيح بوجهه عن المساكن عتواً وغوراً  
فائز عن نفسك ما تملكتها من غل علىٰ فلاتؤذني يوم القيمة عندما  
تقف أمام ربك ذي الجلال ، إني قد فتحت باب الصلح لك اليوم ،  
فلا تغلق ببابك في وجهي غداً .

\* \* \*

هذا هو الطريق السوى لمن يعني السعادة من الملوك ، أن يأخذ  
يد الدرويش . إن الملك لا يمكن أن يجني ثمرة من شجرة « طوبى »<sup>(١)</sup>  
ما لم يكن قد زرع بيديه ما يريد أن يحصل عليه من ثمار .  
إذا لم تكن لك على الخير إرادة فلا تبحث عن السعادة ، فإنك  
« بصولجان العبادة تستطيع أن تحمل كثرة السعادة »  
متى تنهى كالمصباح ؟ فإليك من الأنانية أصبحت كالقنديل مع الماء  
إن الرجل الذي يشع بنوره على الجماعة يظل نوره مضيئاً في  
صدره كالشمعة .

( بستان )

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوى لهم وحن  
ما به . ( ٢٠ - ١٣ )

## ٦٦ رقيق في السوق

كاد قلي يتغطر يوم مررت بالسوق فسمعت عبداً يقول لسيده  
وهو يبيعه :

واحرس تاه ، إنك واجد عبداً خيراً مني ، ولكنني لن أجد  
مثلك سيداً .

(ستان)



## ٦٧ الملاكم الميائش

كان ملاكم قوى البنية، شديد الضربات، ولكنه مع قوته كان عاشر الحظ، ضيق الرزق، لا يكاد يجد قوت يومه، فهو في الصباح يبحث عن كسرة تسد رمقه، وفي المساء يبيت على الطوى.

وكان نهماً، ولم يكن يستطيع أن يقهر معدته على القناعة بالقليل، فأخذ يحمل الأثقال فوق ظهره، ليحصل على قوته، بعد أن ينس من الحصول عليه بقوة ذراعيه. وعلاه الهم، وضاقت في وجهه الدنيا، فقلبه حزين وجسمه مضى، كان يقضى وقته يفكر في سوء حاله، فجئناه يستسلم إلى الهم والغم من الدنيا وقد أناخت بكل كلها عليه، وأحياناً يضيق صدره حين يرى الناس في خفض من العيش وهو محروم، فيحس الماء مراً في حلقه، وأحياناً أخرى يكىء مایلقة من المشقة والجهد في حياته متسائلًا : أفي الدنيا من يشقى شقاً؟ إنى أرى أنساً يشربون شراباً سلسيلاً ، وبطعمون من الطعام أشهاء؛ بينما لا يرى رغيف أرخص أنواع المكسرات.

وإذا كنت منصفاً ، فليس من الإنفاق أن أكون عارياً، وعلى القطة كساء من الجلد . وأأسفا ، لبت السماء تلقى إلى بكفر

من عندها ، إذن لنقضت الغبار من على جسدي وروحي ولا نعمت  
في النعيم .

\* \* \*

سمعت أن هذا الملاكم الشاكي كان يحفر في الأرض ذات يوم  
فرأى فم رجل ميت ، وقد تكسرت منه عظام الفك ، وتناثرت  
منه الأسنان التلوثية . فلما رأه سمع صوتاً من هذا الفم الآخرين  
يقول :

لاتضيق بالفقر صدراً يا سيدي . فهكذا ترى حال الفم تحت  
التراب ، شهداً أكل أو كان غذاؤه حسرة في القواد . فلا يحزنك  
دور الفلك فإن دهوراً تقضى على غير مرادنا .

فلما سمع الرجل هذا القول ثاب إلى رشده وأطرح الغم :  
أيتها النفس التي لا رأي لها ولا حكمة فيها ولا تدبر ، تخلصي  
من همومك ولا تقتل نفسك ، يستوى من حمل أثقال الهموم فوق  
رأسه ، ومن رفع رأسه مزهوأ نحو السماء . هما سواه عندما تخين  
الساعة التي لا مفر منها ، فتتغير الأحوال ، ولا ترين تفاوتاً بين  
من أثقلته الهموم ومن كان خارجاً في اللهو واللذات .

إن الغم والسرور لا يدومان ، إنما الدوام لجزاء العمل الصالح  
والذكر الطيب .

إِنَّ الْكَرْمَ يَبِقُ ، فَأَنْفَقَ مَا رَزِقَتْ حَلَالًا ؛ وَلَا تَسْكُلْ عَلَى  
الْمَلْكِ وَالْجَاهِ وَالْعَظَمَةِ ، فَهَذِهِ كُلُّهَا أَحْوَالٌ كَانَتْ مِنْ قَبْلِكَ ،  
وَسْتَكُونُ مِنْ بَعْدِكَ ، فَاتَّشْ الْذَّهَبُ فَإِنَّ الدُّنْيَا فَانِيَّةٌ لَا تَدُومُ ،  
إِنْ سَعْدِيَ يَنْثُرُ دَرَرَ الْقَوْلِ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ ذَهَبًا .

( بستان )



تشاحن رجلان ، وامتلاً قلبا هما حقداً وبغضاً ، وأضمر كل منهما لصاحبه السوء ، وكانا ، إذا تقابلوا ، رفع كل منهما رأسه على أخيه ، كأنهما نيران . وكانا يتحاشيان المقابلة ، حتى أقلل في وجهيهما باب السماء . وراح كل منهما لا يألو جهداً في قذف صاحبه والتشنيع عليه بالحق وبالباطل ، وأخذ الناس يتناقلون حديث خصومهما في ملال منهما وسخط عليهم ما جمياً .

وأدرك الموت أحدهما فقضى نحبه ، وانقضت أيامه . وعرف خصمه ذلك فسره ما عرف ، وأخذ يفكرون في صاحبه الذي جندله الموت ، وفكروا في أن يراه ميتاً شهادة . وراح إلى القبر فوجده مغلقاً على الرجل الذي عاش في قصر طلاوه من الذهب . راح إلى القبر ولم يبك ، سره أن عاش بعد عدوه .

فتح الرجل باب القبر ، فرأى تاج رأس الميت في حفرة من طين ، ورأى عينيه وقد ملتتا بالتراب ، ورأى الحشرات والنمل تسرح على جسمه الذي قر في القبر سجينًا . ورأى وجهه الذي كان كالبدر صيّره دوران الفلك كالملاك ، وأما قده السروى فقد

أصبح كالخلال . وفككت راحة يده وتأثرت أصابعه .

\* \* \*

لم يكدر الرجل يرى خصمه ، وقد أجرى الموت حكمه فيه ، فأصاره هشيمًا وتركه فريسة لهوام الأرض ، حتى رق قلبه ، وامتلاً أسفًا على ما كان بينهما ، ففاض دموعه حتى ابتل تراب القبر وأصبح طينا . ندم الرجل على الضغينة التي كان يحملها لخصمه بين جنبيه ، وأمر بأن يكتب فرق صخرة القبر :

لا يسرنك موت أحد ، فإن الدهر لن يملاك بعده طويلا .

\* \* \*

وسمع رجل من عباد الله الصالحين هذه القصة فبكى وقال : اللهم يا قادر ، عجيب إذا كنت لم ترحمه ، فقد أنت عدوه اللدود حزيناً باكيًا عليه .

إن جسدي سيؤسد يوماً الثرى وسيبكي عليه أعدائى ، ولاشك أن قلب صديق سيرق لي ، حين يرى عدوى يبكيني وقد عفا عنى . إن عاجلاً أو آجلاً يأتي يوم تكون رموسنا ولا عيون فيها .

\* \* \*

ضربت مرة بالفالس في قل من التراب فعلا صوت مؤثر إلى سمعي يقول :

ترفق إذا كنت رجلا ، فهنا عيون وآذان ووجه ورموس .  
ترى هل يسمعون ؟  
( بستان )

رأى رجل ثعلباً مقعداً ، لا رجل له ولا يد ، فتعجب من لطف صنع الله ، إذ كيف يعيش هذا الحيوان ومن أين له الأكل وهو عاجز لا يقوى على السعي لرزقه . وبينما كان الدرويش حائراً في هذا ، إذا بأسد يدخل حيث الثعلب قاعد ، وفي مخلبه ابن آوى ، فأكل الأسد من فريسته التعسة وبقى منه ما يكفي الثعلب حتى يشبع . ورافق الرجل الثعلب فوجده الأسد يرعاه في اليوم التالي ، وهكذا الرزاق بعث بقوته إليه . فتيقن الرجل أن الله يرزق عباده . فانصرف وتوأكل على ربه . قال : سأذهب إلى ركن آوى إليه ، فإن الفيلة لا يأتيها رزقها بالقوة . وجلس محنياً رأسه مخفياً إياها في جيبيه ، متظراً الرزاق بيعث إليه قوته من الغيب : وظل الدرويش حتى برح به الجوع ، لم يسع إلى إطعامه غريب أو صديق ، خلارت قراه ونخل جسمه ، وأصبح كالربابة عصب وعظم وجلد . فلما نفد صبره وعقله من شدة الضعف سمع صوتاً يقول له من خلف الجدار :

أخرج إليها الوغد وكنأساً مفترساً ، ولا تحسن نفسك

كالثعلب الأشل ، واسع حتى تأكل وتشبع ويفيض منك كاً يفيض من الأسد ، لماذا تكون كالثعلب المقد المقد تشبع الفضلات ؟

إن من له رقبة غليظة كالأسد ، الكلب خير منه إذا توأكل وارتقي كالثعلب المقد . إسع إلى رزقك يديك ، وعش سعيداً مع الآخرين ، ولا تجلس متضرراً ما يجود عليك به الناس ، وكل ما استطعت من جهد ذراعيك ، فإن جهده لك . كن كأرجال ، يتبعون أنفسهم ويريحون غيرهم ، فإن المحنث هو الذي يأكل من كدة الآخرين .

خذ أية الشاب يد الشيوخ من الفقراء ، ولا تلق بنفسك هكذا مستعيناً بالناس : إن الله يرضي عن عبده الذي يسعد الناس من وجوده بينهم ، وإن الخير العاقل هو الذي يجود بما له ، أما أدنياء المهمة فلا عقول لهم .

إن الخير الذي يحسن إلى الناس هو الذي يسعد في الدنيا وبهنا بالآخرة .

(ستان)



شك أحد المریدین إلی شیخه مضايقة الناس له وکثرة ترددہم  
علیه ، ما یضیع علیه وقتہ الغالی ، فقال له الشیخ :  
أفرض فقیرہم واستعن غنیمہم ، ینقضوا جمیعاً من حولك ،  
ولا ترى فی یتک منہم أحداً ، ویطیب لک الزمان .

(کلستان)



اختار الملك أفريدون وزيرًا من أعزائه ، واختصه بجهة ،  
وأثره بعطفه ، وأولاً ثقته ، فكان يركن إليه في كثير من شؤون  
الدولة ، كما ترك إليه تصريف كثير منها . وكان هذا الوزير رقيق  
الخاشية ، بصير القلب ، بعيد النظر ، وقد جهد حياته كلها في إرضاعه  
ربه وخدمة ملكه ، فكان يقوم بواجباته الدينية خير قيام ، ثم  
يقضى بقية وقته مكتباً على عمله بالنهار ، ساهراً على أدائه بالليل ،  
عاملًا دائمًا على أن يكون أهلاً لثقة ملكه فيه .

• • •

ولكن الوزير الطيب لم يسلم من لسان السوء الخبيث يسعى  
ضده عند الملك ، فقد ذهب رجل إلى الملك ذات صباح وقال له :  
مولاي : لا تحسين نصحي لك عن غرض في نفسك ، فإني  
ما أردت غير النصح خالصاً لوجه الله ، إن وزيرك الذي تق به  
وتنزله من نفسك مكاننا علينا ، هو عدو لك مبين ، فإنه دائمًا جميع  
أهل المدينة ، جنداً ومدنيين ، وقد اشترط على مدينته أن يوفوا  
ديونهم حينما يموت الملك العظيم ، فهو لا يريد لك طول الحياة ،

خاتمة ألا تخل دينه ؛ أبقاك الله وحفظك يا مولاي من أهل السوء

\* \* \*

ف لما سمع الملك حديث الرجل آلمه أن يخدع في الوزير بعد طول ثقته به ، واعتقاده عليه ، ووجه له ، فناداه يوماً ونظر إليه نظرة المغيبط المتوعد ، فأدرك الوزير أن قلب الملك قد تغير ، وأن ساعياً بالشر قد سعى بينهما فألق إلهي الملك أذناً صاغية ؛ ثم لم يلبث الملك أن قال له :

إنك تظهر لى المودة ، وتضمر السوء .

وهنا أيقن الوزير أن أمر إقراضه الناس ماله هو الذي بلغ الملك فرأى أن التصریح بالحق أجدى من الكتمان . فقبل الأرض والثخت . ثم قال :

« إنك تسألني يا مولاي وسائل الحق ، شأفي معك في عملي ، حتى تجلى الغمة ويدهبا عن نفسك ما ظنت بي من سوء . إنني أردت أن يصفو لك حب رعاياك جميعاً ، وأن يتمتنوا لك السعادة وامتداد الأجل ، فإني حين جعلت من موتك موعداً لوفاء دينهم ، كنت أدرك أنهم سوف يدعون لك بطول البقاء ودوام المهناء . أفلما تريد يا مولاي أن يدعوك الناس صادقين مخلصين بأن تحيا حياة طويلة هنية ؟ إن الناس يعتقدون إن دعاء أهل الخير درع

يتقون به سهام البلاء ، فلتكن أصواتهم الصاعدة إلى السماء بطول  
أجلك ، ودوام سعدك ، مستجابة عند ربك .

فلياً سمع الملك كلام وزيره ، سره حسن تصدّه ورضي بعد  
الغضب وعادت إليه ابتسامته ، وفتحت أسارير وجهه كالوردة  
النضرة إشراقاً ونوراً .

\* \* \*

إني لم أر شرآ من غماز نكد الطالع ، عاشر الحظ ، إنه يلقي  
العداوة والبغضاء بين صديقين ، بجهله وضلالة ، ولا يدرك بعقله  
الضيق أنه إذ يلقي النار بين رجلين سيحترق في وسطهما .

\* \* \*

إذا كنتَ ، كسعدي ، قد تذوقت لذة الخلوة ، وكففت لسانك  
عن التحدث في أمور الدنيا ، فقل ما تعلم من النصح الخالص  
ولو لم يعجب أحداً .

إن الذي لم يستمع إلى نصحك سيصبح غداً وهو نادم :  
ليتني استمعت إلى لسان الصدق .

( بستان )



**مطبوع دار القاسم**  
**بالمقاهرة**





## دار الفاتح

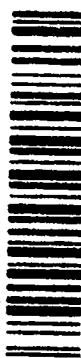
الطباعة والتشر و التوزيع  
١٨ شارع سوق التوفيقية  
טלפון : ٠٠٠٣٢

صدر عنها لمشروع  
الولف كتاب

مليم

- ملن ندق الأجراس ..... ٢٢٥
- الحرية الحمراء ..... ١١٥
- ميكانيكا السيارات ..... ٢٣٠
- فصص عالية ..... ٢٤٥
- إيزيس وإيزوريس ..... ١٢٥
- حكايات فارسية ..... ٢٠٥
- الجيولوجيا في خدمة الإنسان.

Bibliotheca Alexandrina



٠٦٦٩٥٥٥٥٩